عِلم البيان

تأليف

الاستاذ الشيخ عثمان ابو النصر

المدرس بدار العلوم العليا



مطبعة فايون شارع ابو الحسن نمرة ٦ بالموسكى

علم البيان

تأليف

الاستاذ الشيخ عثمان أبو النصر
المدرس بدار العلوم العليا

١٣٥٧ — ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٨ — ١٩٣٩ م

مطبعة فاروق شارع أبو الحسن نمرة ٦ بالموسكي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الاستاذ نجاتى

اما بعد حمد الله حق حمده ، والثناء عليه بما هو أهله ، والصلاة والسلام على نبيه أفصح خلقه ، وعلى آله وصحبه فان لعلوم البلاغة فى اللغة العربية وآدابها جليل الخطر وعظيم الأثر ، فمراعاة قوانينها تجعل الكلام بالمنزلة العليا وتحله المكانة السامية ، والمتمكن منها علماً وعملا يسهل عليه أن يؤدى المعانى التى تحوك فى نفسه ، والأغراض التى تجيش فى صدره ، وأن يفهمها غيره تامة فى صورة بديعة يقبلها الطبع ، ويفتح لها حجابه السمع فتبلغ من النفس أحسن أثر ، وتقع منها ألطف موقع ، وتصيب من المخاطب مواضع الاقناع الشافى من عقله ، ومواقع التأثير البالغ من قلبه ، وبها يفرق البليغ بين مقبول القول ومردوده ، ويميز بين غثه وثمينه ، ويكون فى الأدب نظمه ونثره الحكم الذى ترضى حكومته يقول فصلا ويحكم عدلا ، وبها يعرف إعجاز القرآن من جهته الخالدة الباقية على وجه الدهر ، والتى منها كانت الحجة البالغة الصادعة ، والبرهان الدائم الظاهر ، وهى المعجزة الحقة التى حجتها معها ودليلها فى أثنائها .

وعلم البيان من بينها واسطة عقدها ، ودرة تاجها ، فهو الذى يبصر

باساليب القول ومناحيه، ويقف على الافتنان فى تصريفه، وتمثيل معانيه وعلى ضروب التجوز والكنايات فيه، ويقرب ما بعد من مقاصده ومغازيه، ويعرض المعنى فى ضروب مختلفة من العبارات الأنيقة، ويصوغه فى قوالب متفاوتة من الأساليب العجيبة ويبرزه فى معارض متنوعة من الصور البليغة البديعة . ولولاه كما يقول شيخ البلاغة « عبد القاهر الجرجانى » :ـ لم تر لسانا يحوك الوشى، ويصوغ الحلى، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقرى الشهد، ويريك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر :ـ

ولم تكن سليقة العربى تهمل القوانين البلاغية بل اهتدت إليها بالفطرة السليمة، فان العربى الخالص الذى لم تشب لسانه هجنة لم يكن يقتصر فى كلامه على صحته الاعرابية النحوية، وسلامة مفرداته بموافقة الأقيسة الصرفية، ولكنه بفطرته أيضاً كان يراعى أسرار اختلاف الأساليب باختلاف الأغراض، ويفطن إلى مغازى التراكيب، وتفاوتها بتفاوت الأحوال فيتصرف فى فنون التعبير بتباين الأغراض، ويفتن فى تأدية المراد على حسب واقعات الأحوال، فكان لكل مقام عنده مقال، ولكل ميدان من ميادين القول لديه مجال . كما أنهم قد يعبرون عن المعنى بلفظ لم يوضع له إذا كان متصلا بمعناه الأصلى أو كان سببا من أسبابه أو مجاورا له، أو كان بين المعنيين مناسبة واضحة تسوغ نيابة لفظ أحدهما عن الآخر وقد يستعيرون الكلمة لغير ما هى له، اذا كان بينهما مشابهة فى بعض الأحوال، ومشاركة فى شىء من الخواص فيأتى الكلام بذلك

أقوى دلالة، وأبلغ تأدية ، وأجمل صوره وأحسن معرضا وأشد فى النفس تأثيرا . وتصوير القول على الأساليب المجازية أو الكنائية إذا اقتضاها المقام مما يثقل ميزانه ، ويرفع شأنه ويغلى قيمته ، ويظهر حسنه وبهجته ، ولولا ذلك الافتنان الساحر لذهبت طلاوته ، وضاعت حلاوته وجف ماؤه ، وزال بهاؤه . كان العربى يطبع كلامه على هذا الغرار ، لا يهتدى فيه إلا بسليقته من غير أن يعرف أن هناك علوما تقاس الأقوال بمعيارها ، وتعرض للحكم عليها على موازينها ، وإنما تلك العلوم قواعد مستحدثة ألجأ إليها انحراف الطبع عن الجادة ، وزيغ اللسان عن مقتضى الفطرة استنبطت من كلام هذا العربى الذى يجهلها ، واستقريت من حديثه ، واستشهد على صحتها بقوله ، وأتى بالأمثلة البليغة لها من نظمه ونثره ، إذ كانت لديه ملكة فطرية روحية ، وأريحية فى جبلته نفسيه ، قوامها عنده قوة الحجة فى حسن معرض، وسرواة اللفظ مع صدق المعنى . وإنما يعنينا أن نقول إن كثيرا من هؤلاء المؤلفين جعلوا البلاغة صناعة لفظية محضة ، وجعلوا كتبها ميادين للمناقشة فى العبارة والمجادلة فى الألفاظ ، ولولا كتب عبد القاهر الخصبة التى تفيد البلاغة العملية قبل البلاغة العلمية ، للعب البلى برسوم هذه العلوم ومعالمها ، وأقوت بعد دروس أهلها آثارها ومغانيها .
ومما عاق كثيراً من الدارسين عن الوصول إلى البلاغة عكوفهم على تلك الكتب الجافة المجدبة التى ضلت طرق البلاغة ، وجهلت أسرارها ، والغرض المقصود منها فحسبتها قواعد جامدة ، يطول الحوار فى ألفاظها وعباراتها ، ويغفل العمل بها والتطبيق الكثير عليها ؛ وذلك أن مؤلفيها

وإن وسموا بسمة العلم لم يكونوا بلغاء ، ولم يكونوا كما هو الواجب من اللسن الأبيناء ، ومن الأدباء الفصحاء ، فجاءت أساليبهم فى كتب البلاغة نابية عن البلاغة ، فعظمت جنايتها على المشتغلين بها ، والواقفين على دمنها وأطلالها . وقد صنفت فى هذه النهضة الحديثة عدة رسائل وكتب مدرسية فى البلاغة وعلومها ، ولكنها لم تسد الثلمة ، ولم تف بالغرض ، إما لأنها غير جامعة ، وإما لأن مؤلفيها لم يحسنوا التصرف فيها ، حتى تحبب البلاغة إلى الطلاب وترغبهم فى دراستها ، وتذيقهم لذة حلاوتها ، وربما وضعوا أمثلة مباحثها فى غير مواضعها ، وأرادوها على خلاف ما قصد منها ، ومنهم من أراد أن يبتكر ، وقد شغفه حباً ما يسميه التجديد حتى فى دين الله ولغة كتابه ، فحاول أن يضع للتلاميذ الأغرار بلاغة عصرية ، ذات طراز بزعمه مدنى وصبغة حضرية ، فتمخض بعد طول الطلق وعنائه عن بلاغة سوقية مبتذلة ، وبيان فج عامى ، لا يربى ملكة ، ولا يهب بلاغة وإنما يكون من آثاره لو قدرت له الحياة أن ينتج العقم ، ويفسد الذوق ، ويعقل الألسنة ، ويبدلها من الفصاحة عياً وحصراً ، ومن رصين الأساليب لغواً وهذراً . وأكبر مقتاً عند العلم والدين واللغة والأدب من هؤلاء وهؤلاء فريق من الأدعياء ، منيت بهم هذه اللغة الشريفة ، يلوون ألسنتهم بدعاوى فارغة لا يؤيدها دليل ، ولا تنهض بها حجة ، ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، زاعمين إفكا أن الاشتغال بتلك العلوم عبث لا طائل تحته ، وأن دراستها مما يضيع على الطالب وقته .

ولقد كادوا يصدون الناشئين عنها ، وفاتهم أن لدين الله ولغة كتابه ربا يحميهما ، وقد أتاح الله لكنانته فى أرضه ملكا جليلا صالحا ، صنعه على عينه ، وأيده بروح من عنده ، وأمده بتوفيقه ، وهداه ورشده : ذلك هو مولانا الفاروق زينة الشباب ، وفخره وقرة عين مصر وموضع أملها ، والذى يحل من بنيها فى كل قلب ، ويدين بولائه ومحبته كل فرد من أفراد الشعب . وبمصر وزارة حازمة رشيدة ، يرأسها ذلك الزعيم النبيل والرئيس الجليل ، سليل المجد الشامخ والشرف الباذخ : حضرة صاحب المقام الرفيع «محمد محمود باشا» الذى شب مغرما بالدين الحنيف ولغته ، ذا حظ عظيم من آدابها ، وذوق سليم فى الوقوف على أسرار بلاغتها ، فليطمئن قلبا أولو الغيرة الحميدة على اللغة وبلاغتها . وفى مصر بعد هذا رجال تمكنوا من ناحية البلاغة ، يدرسونها بالأزهر الشريف ودار العلوم دراسة مثمرة مجديه ، ومن هؤلاء صديقنا المؤلف ، ذلك البحر الزاخر والعالم المدقق الشيخ « عثمان أبو النصر » زميلنا الفاضل فى تدريس علوم اللغة العربية والبلاغة بدار العلوم ، حصن اللغة والأدب وموئلها ، ومعهد الفصاحة والبلاغة وموطنها . عرفت الأستاذ منذ ثمان وثلاثين سنة ، والشباب نضير غض والعود لدن رطب ، حين انتظمنا فى يوم واحد ، طلبة فى سلك دار العلوم وكلانا يومئذ ماأربت على العشرين سنه ، وما تأود لغير نعمة الشباب غصنه ، ولم تنقض السنون وصروف حوادثها ظهره ، وفى الأمل يومئذ سعة وفسحة ، وفى العواطف نبل ورقة . ولعل الأستاذ المؤلف كان أول أبناء فرقتي اتصالا بى وتعرفا إلى ، فكنا خليلى صفاء ، وخدنى وفاء

وقد تمازج روحانا كأنهما ٭ تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن

بل كنا مع سائر إخواننا كذلك ليس فينا إلا محبة عامة متبادلة ، وعطف شامل متناوب ، يشع فيما بيننا سرور الأمل الباسم ، ويشيع فينا ضياء الرجاء الصالح ، وتتقاضى منا الأخوة الصادقة محبة وودا ، وتستزيدنا المنافسة الشريفة اطلاعا وجدا ، ونجزى دار العلوم على حسن تثقيفنا ثناء وحمدا ، ولم يسر فينا ذلك الروح الثائر المتمرد ، ولم تدب بيننا تلك الثورات الجامحة الطائشة ، ولكن دأبنا رغبة فى إجلال المعلم وحرص على كرامة الطالب ، ووفاء بحق المعهد ، ورعاية لحرمته ، والخضوع طوعا لقانونه نتعاون على طلب العلم والأدب ، وتتنافس مع المودة فى المزيد منهما ونستبق الخيرات ، راجين من الله أن نفلح . والحمد لله أن حقق ببركة الاخلاص رجاءنا ، واستجاب بفضله لسلامة صدورنا دعاءنا ! تلك أيام مرت ولم يبق إلا حلاوة ذكراها ، وسنون تقضت وليس يجدى غناء أن نتمناها . وعسى أن يظن ظان أنى لهذه الألفة القديمة ، والصداقة المتينة حابيت الأستاذ فى تقريظ كتابه ، وملت إلى جانب المبالغة ، والافراط فى وصفه ومديحه ، وأنى نظرت إليه بعين الرضا ، وهى لا تبصر إلا محاسن من تحب ، ولا ترى إلا مزايا ما تهوى ، وهو يرى أن فئة من جهلة الأدعياء يتقارضون فى الظاهر المدح والثناء ، وما عاد على العلم والتحقيق منهم طائل ولا غناء ، ولكن يلج شياطينهم فى هراء القول يرسلونه جدلا وحوارا ، ويتمادون فى سخف الآراء يطلقونها نقاشا مهذارا . فأقول لهذا الواهم مهلا ، رعاك الله ! فلعمر الحق إن بعض الظن إثم ، وإن كثيرا مما يخطر بالنفس خيال

ووهم . أعد نظرا فى هذا الكتاب القيم، وأجل طرفك فى رياضه وأعمل فكرك فيما اشتمل عليه ، فانك بعد تحسن الظن ، وتعلم أنى ما تجاوزت النصف[1] فى الاشادة به ، ولا تعديت الحد الوسط المحمود فى التنويه بفضله ، وتعرف أنى مقتصد فيما قلت ، وأنى ما شهدت إلا بما علمت ولقد عهد الناس فى «الأستاذ أبى النصر» طالبا وأستاذا عالما مغرى بالتحقيق وفاضلا مولعا بالبحث والتدقيق ، ومدرسا مبرزا مارس التعليم فى درجاته المختلفة[2] فكان ملء صدور تلاميذه فى كل مرتبة ، وملء مسامعهم وأفواههم ، يحبونه عن إكبار وتجلة ، ويجلونه عن مودة ومحبة ، وإنما يكبر الطلبة من يفيدهم ، ويحبون من يشفق الشفقة الحكيمة عليهم . والأستاذ الفاضل يعرف حق المعرفة أنه لا شىء أعون على الوصول إلى البلاغة ، وأدعى الى تربية ملكة الافصاح وحسن البيان ، من إيراد الشواهد المختلفة البليغة وعرض الأمثلة الكثيرة فى المعنى الواحد ، فى معارض مختلفة وأساليب متفاوتة ، والموازنة الدقيقة الفنية بين الكلامين يتفقان فى المعنى ويختلفان فى قوة التأثير ، والبلوغ إلى جوانب النفس مع بيان أسباب هذا التأثير والاشارة إلى مواضعه بقدر الاستطاعة ، وبهذه النفس التواقة إلى البحث والتحقيق ، والمولعة بالفهم والتدقيق وبهذا الذهن الثاقب ، والذوق

---

(١) النصف بكسر فسكون الانصاف والنصف أحد شق الشىء ففى الكلام توريه والأول هو المقصود

(٢) مارسه فى المدارس الابتدائية ثم فى تفتيش التعليم الأولى ثم كان ناظرا للمدرسة الأولية للمعلمين بقليوب ثم مدرسا بالمدارس الثانوية ثم بمدرسة المعلمين العليا فدار العلوم

السليم ، والطبع المستقيم ، والفكر الذى يمعن فى حقائق الا شياء حتى يقف على دقائقها ، ألف الأستاذ كتابه، بعد أن جال جولات موفقة فى ميادين كتب البلاغة ، وغاص فى بحارها فاستصفى جواهرها ، ونبذ ظهريا أصدافها وقشورها ، وميز من معادنها الزيف البهرج من الذهب المصفى ، ثم نفخ فيما انتقاه فيها من روحه ، فأخرجه سبيكة عسجدية ، بل جوهرة نفيسة صافية ، بل درة ثمينة نقية ، وعبر عن بعض قواعد البيان ، وشرح كثيرا من أمثلته بعبارة سليمة سهلة طلية ، وبسط أسرار البلاغة فى غير قليل من نماذج البيان ، بلغة رقيقة أديبة ، بان منها الغرض ، ووضح المراد ، وكشفت للناظرين كثيرا من أسرار البيان ، ووجه البلاغة فى العدول عن الحقيقة إلى المجاز أو الكناية . وربما أعرض عن عبارات المؤلفين القدماء لأنها قد تكون عسيرة متكلفة ، وإن رآها بعض المقلدين الجامدين آيات يتعبد بتلاوتها ، وأثرا باقيا يتقرب إلى العلم زلفى بالحرص عليه ، وطول الحوار فيه . ولقد آثر المؤلف الاكثار من الشواهد البليغة ، والأمثلة اللطيفه . من آى الذكر الحكيم التى هى فى الذورة العليا من سنام البلاغة، ومن الأحاديث النبوية التى نطق بها أفصح العرب بيد أنه من قريش ، ومن كلام العرب البلغاء ، والمفلقين من مجيدى الشعراء فى عصور اللغة المختلفة ، وزف الأستاذ إلى القراء عرائس تلك الأمثلة الجميلة التى قد أحسن اختيارها وأجاد انتقاءها ، وكشف بحذقه الحجاب عن محاسنها ،وقد كانت مستورة خفية ، وأبان عن مزاياها بعد أن كانت محجوبة مطوية ،فأباحت تلك العرائس لقارىء كتابه حماها ، وأرشفتهم بعد طول الامتناع والاباء

لماها ، وبدت لهم مشرقة سافرة ضاحكة مستبشرة : من تشبيهات رائعة تسرى فى الأسماع مسرى الكهرباء ، ويحسن وقعها لدى سليم الطباع من الأدباء ، ومجازات حسنة رائعة يسيغها الذوق السليم ، وكنايات بديعة فائقة ، يقبلها الفكر الحكيم والطبع المستقيم ، واستعارات بلغت غاية اللطف والدقة ، واستوفت أسباب الحسن والرقة ، ومختارات جيدة ، هى لدى الناقد الخبير أحسن مماوشى الربيع ، وقد أخذت الأرض زخرفها وازينت ، راعى فيها كلها جودة السبك ، وإتقان الرصف ، وحسن العبارة وحلاوة اللفظ ، وكثرة الماء والرونق ، وانتقاها مما يشحذ القريحة ، وينبه الفطنة ، وما يهب لمن يجيد فهمها لطف الذوق ، وحسن البيان وشهامة الخاطر ، ويجد فيه الطالب متعة النفس ، وسرور الروح ، ويجذبه إليه شوق شديد بما يلذ له : من أعمال فكره فى توجيه تمريناته ، وشغل قريحته فى حل كثير من مسائله وتجربة فطنته فى الاجابة عن الأسئلة المختلفة التى طلب إليه أن يجيب عنها ، وقد مهد الأستاذ لها الطريق ، ووطأ السبيل ، ودل السائرين عليها ، وهداهم إليها ، بالنماذج الكثيرة التى كشف عن دقائقها ، وبسط القول فى شرح مزاياها ، وأسرار بلاغتها ، فقدم بذلك للطلاب نماذج بليغة لحسن الاجابة يقيسون عليها ، ويرجعون فيما يحلونه بأنفسهم إليها . هذا ولم يخل المؤلف الفاضل كتابه القيم من الأدب القومى المصرى ، الذى تجب العناية بدراسته ، بل أورد فيه كثيراً من شعر المصريين ، من مثل المرحومين « محمود سامى البارودى باشا » وأمير الشعراء « أحمد شوقى بك » وشاعر النيل « محمد حافظ بك ابراهيم » وغيرهم

ممن نرجو الله أن يمتع مصر بطول حياتهم ، فلهؤلاء الشعراء القدح المعلى فى البلاغة التى تظهر فى أشعارهم تستشف منهـــا الروح المصرى ، والذوق العصرى ، وتدرك منهـا ذوق مصر السليم ورقة ديباجة شعرائها ، كرقة هوائها وصفاء سمائها

ولا أكتم القراء أنى اطلعت على هذا الكتاب ، وأنعمت النظر فيه قبل طبعه وقرأته قراءة ناقد متعقب ، وخالفت المؤلف الفاضل فى بعض ما رآه وذهب اليـه ، (١) ولم أوافق متقدمى المؤلفين فى بعض ما نقله عنهم (٢) واقتدى فيه بهم ، فسلم به بعد الاقتناع برأيى وتقبل ذلك منى بقبول حسن ولم يغفل فى كتابه التنبيه عليه ، وتلك عادة الراسخين فى العلم ، لا يتعصبون لأفكارهم ، ولا يتشيعون بدون حجة فى آرائهم بل يقبلون الحق متى ظهر ويسرون لوضوحه ولا غرو أن يكون «الشيخ عثمان أبو النصر» كذلك فعهدى به ينشد الحقيقة أنى يجدها . وقد تعرض له المسألة العلمية الدقيقة فيقتلها بحثا وتحقيقا ، ثم لا يقنعه بعد ذلك إلا أن يثلج صدره برد اليقين، وهو يعلم أنه ليس الرأى فى صدر واحد ، فيقصد إلى من يثق بجودة رأيه، وفهمه ، ويركن إلى عقله وعلمه ، ويعرض الأمر عليه ويسأله الحكم فيـه ،

(١) فى مثال من أمثلة التزيين فى باب أغراض التشبيه

(٢) وقد كان هذا فى استعارتين الأولى فى باب الفرق بين التشبيه والاستعارة إذ اعتبر العلماء من الاستعارة قوله :قد زر أزراره على القمر ويراه الأستاذ تجاتى من التجريد البديعى كما سيأتى والثانية فى الاستعارة التبعية إذا أعتبر العلماء فى كلمة مرقد من قوله تعالى من بعثنا من مرقدنا استعارة والاستاذ تجاتى يراها حقيقه وهذا رأي لبعض المفسرين كما فى الألوسى

فاذا تجاذبا الحديث ، وتجادلا فى ميدان المناقشة رأيت من الأستاذ حسن إصغاء إلى المحاورة ، وراقك منه أدب بحث ومناظرة حتى إذا صدع نور اليقين ظلام الشك ، وبان الحكم القاطع الذى تطمئن اليه النفس - تبلج الشيخ عثمان عن وجه الرضا ، فأسفر محياه ، وأشرق جبينه ، وتهلل وجهه ، وانبسطت أساريره ورأيت طلعته طلقة قد سطع فيها نور السرور لظهور الحقيقة وهى بنت البحث ، ونور ظفره بالفوز بها واليقين بمعرفتها ، فكان جديرا أن يدعى عثمان ذا النورين

وختام القول أن الأستاذ المؤلف استخلص زبدة البيان بعد أن مخض كتبه ، ونفث فيها بحذقه من عقد السحر الحلال ، واستخرج بكيمياء فكره من البحر الملح الأجاج الماء العذب ، والفرات السائغ الزلال ، فعرض على الطلاب البيان سحرا ، أو السحر بيانا ، ومثل للقارىء أسرار البلاغة حتى يحسها سمعا . ويشعر بها عيانا : فكتابه بأن يسمى سحر البيان أحق وأحرى ، وإن من البلاغة لاعجازاً وإن من البيان لسحرا .

١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ — ١١ يونيه سنة ١٩٣٨

احمد يوسف نجاتى

الأستاذ بدار العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المستعان، خلق الانسان وعلمه البيان، وأرسل نبيه صلى الله عليه وسلم بكتاب أعجز ببلاغته أمراء الكلام، وبقى وسيبقى نور الأسلام على مر الأعوام. وبعد فهذا كتاب فى علم البيان، وضعته بعد الاطلاع على كثير من موجزاته ومطولاته، فجمعت فيه شتاته، وأوضحت مجمله، ووفيته حقه من التمثيل بالآيات القرآنيه، والأحاديث النبوية، وغيرهما من مأثور البلغاء فى العصور المختلفة، مشيرا أحيانا إلى بعض ما اهتديت إليه من أسرار البلاغة، تنبيها للطلاب على محاسن العربية وما فى أساليبها من الروعة والجمال. وقد حرصت على أن يكون سهل التناول، قريب المأخذ كثير التطبيق، ولعلى أكون قد وفقت لما أردت. وهأنذا أخرجه لأبناء أمتى رجاء أن يعم نفعه، ويكون لى لسان صدق فى الآخرين. حقق الله الآمال، ووفقنا لما يرضيه من صالح الأعمال! ؟

عثمان ابو النصر

الجمعه ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ — ١٠ يونيه سنة ١٩٣٨

علم البيان

البيان لغة الأيضاح والظهور (١). واصطلاحا علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق تتفاوت دلالتها عليه وضوحا (٢). كقول المتنبي يمدح بالشجاعة والسخاء

حمالة ذا الحسام على حسام   وموقع ذا السحاب على سحاب(٣)

(١) فاذا كان بمعنى الايضاح كان متعديا ، وإن كان بمعنى الظهور كان لازما : يقال : بنت الشيء أوضحته وبان الشيء ظهر واتضح ، وكذلك تقول أبنت الشيء وأبان الشيء قال تعالى (حم والكتاب المبين) أى البين أو الذى يبين الحق من الباطل ، وكذلك بينت الشيء أظهرته ، وبين الشيء ظهر ومنه قوله تعالى (آيات مبينات) بالكسر والتشديد ، وقوله تعالى (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) وكذلك تبينت الشيء وتبين الشيء واستبنت الشيء واستبان الشيء . قال تعالى: (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) برفع سبيل ومن نصبها فعلى تأويل لتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين ، فبان الشيء وأبان وبين وتبين واستبان بمعنى واحد : والتبيان بالكسر البيان والكشف والايضاح لأن المصادر إنما تجيء على التفعال بالفتح والتكرار الا التبيان والتلقاء فبالكسر

(٢) فائدة علم البيان فهم ما فى الكلام العربى من المجاز و الكناية والتشبيه للوقوف على أسرار بلاغته ، ولا سيما ما كان منها فى كتاب الله وأحاديث نبيه

(٣) يقول حمالة هذا الحسام على رجل كالحسام فى المضاء ، وموقع هذا السحاب على رجل كالسحاب فى العطاء ففيه استعارتان

وقوله: فلم أرقبلي من مشى البحر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الأسد(١)

وقوله: وتحيي له المال الصوارمُ والقنا ويقتل ما تحيي التبسمُ والجدا (٢)

وقوله: إلى كم ترد الرسل عما أتَوْا له كأنهُمُ فيما وهبتَ مَلام (٣)

وقول الآخر: وصاعقة من نصله تنكفي بها على أرؤس الأقران خمسُ سحائب(٤)

وقول غيره: { دكّ طودَ الكفر دكا صاعقٌ من وقع سيفك
أرسلته خمسُ سُحْبٍ نشأتْ من بحر كفك

فقد عبروا عن كل من الشجاعة والجود بعبارات مختلفة، بعضها من الكناية وبعضها من المجاز، وبعضها أوضح من بعض. وتفاوت الدلالة في الوضوح لا يتأتى في دلالة المطابقة (٥)، وإنما يتأتى في الدلالة العقلية

---

(١) يريد من مشى نحوه رجل كالبحر في كثرة العطاء، وقام يعانقه رجل كالأسد في الشجاعة ففيه استعارتان أيضا

(٢) يقول إن ممدوحه يجلب المال مما يغنمه بالقتال ضربا وطعنا ثم يفنيه عطاؤه وتهلله للسائلين، والأول كناية عن شجاعته، والثاني كناية عن جوده

(٣) جاء رسل العدو يطلبون الهدنة والصلح فردهم مرة بعد أخرى، ثم هو من عادته إذا لامه أحد في كثرة عطائه ألا يقبل هذا اللوم، فهو يقول له الى كم ترد طلاب الصلح ردك لوم اللوام في كثرة ما تهب، وهذا كناية عن حرصه على مداومة الحرب وعلى مداومة العطاء وهذا يقتضي أنه شجاع كريم:

(٤) أراد بقوله خمس سحائب أصابع يده الخمس وكذلك هي في المثال الذي بعده، ولكنها في الأخير أظهر.

(٥) دلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له كدلالة الانسان على الحيوان الناطق وهي لا تحتاج في الفهم لأكثر من العلم بالوضع، ولذا لا تتفاوت وضوحا وخفاء

التى تشمل عند البيانيين دلالتى التضمن[١] والالتزام[٢]، لجواز أن يكون للشيء الواحد لوازم بعضها قريب وبعضها بعيد[٣].

---

(١) دلالة التضمن هى دلالة اللفظ على بعض ما وضع له: كدلالة الانسان على الناطق أو على الحيوان، فاذا رأيت شبحا من بعد فقلت: أصاهل هذا أم ناطق فقيل: هذا إنسان. فهم منه أنه ناطق (٢) دلالة الالتزام هى دلالة اللفظ على لازم مسماه، فاذا رأيت شبحا من بعد فقلت: أجماد هذا أم متحرك ماش فقيل لك هذا أسد فهمت أنه متحرك ماش، لأن التحرك والمشى لازمان له

(٣) يكفى فى اللزوم عند البيانيين أن يكون تصور الملزوم سببا فى تصور اللازم إما على الفور وإما بعد التأمل فى الأمارات والقرائن. وعلى هذا قد يكون اللزوم عقليا لا يمكن انفكاكه، وقد يتسرب إلى الذهن بسبب العرف العام أو العرف الخاص أو القرائن، فالزوجية بالنسبة للأربعة من اللزوم العقلى الذى لا يمكن انفكاكه، ولقاء الحبيب بالنسبة لاختلاج العين من اللزوم الذهنى الذى لا يسلم به العقل، ولكنه سرى إلى كثير من الناس من طريق العرف العام: أى أن كثيراً منهم يعتقد أن اختلاج العين يبشر بلقاء الحبيب، فاذا قلت لواحد من هؤلاء: عينى تختلج. فهم من ذلك أنك ستلقى حبيبا. وإذا سألك فقيه شافعى: أهذا الماء ينجس إذا وقعت فيه نجاسة؟ فقلت: إنه قلتان: فهم أنه لا ينجس، وهذا من العرف الشرعى، وإذا قلت: هذا قَدُوم زيد: فهم السامع أنه نجار: وإذا قلت لانسان يسيء إليك: أنا لست بغادر فهم من مقام التعريض أنك ترميه بأنه غادر وهكذا:

هذا ومنشأ التفاوت فى الوضوح بعد اللازم وقربه، أو اختلاف القرينة وضوحا كما فى المثالين الأخيرين: فان ذكر الكف فى ثانيهما زاد القرينة وضوحا:

ثم إن قامت قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى كان اللفظ مجازا ، وإن لم تكن مانعة من إرادته كان كناية . والمجاز منه الاستعارة وهى مبنية على التشبيه ، فوجب التعرض له أيضا فى هذا العلم ، ولذا عرفه بعضهم بأنه علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية

التشبيه

التشبيه لغة التمثيل . واصطلاحا إلحاق أمر بأمر فى معنى بأداة لغرض ويسمى الأمر الأول مشبها ، والثانى مشبها به ، وهما طرفا التشبيه والمعنى المشترك بينهما يسمى وجه الشبه

صور التشبيه الاصطلاحى

التشبيه الاصطلاحى اما أن تذكر فيه الأداة : كقوله تعالى (وله الجَوار المنشَآتُ فى البحر كالأعلام [1]) أو الوجه نحو : رأيت أسداً فى

(١) الجارية السفينة صفة غالبة : قال تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) : والمنشآت المرفوعات الشُّرُع : والعلم الجبل الطويل : شبه السفن ذوات الشرع المرفوعة فى البحر بالجبال الراسيات على اليابس من سطح الأرض . فروعى فى السفن كبرها وعلو شرعها واستقرارها استقرارا تطمئن له النفوس على سطح الماء الذى من طبعه ألا تستقر عليه الأجسام الثقال صغيرة أو كبيرة ، وروعى فى الأعلام عظمتها وثباتها وتمكنها التمكن كله من سطح اليابس ، فوجه الشبه أن كلا هيئة عظيمة مرتفعة قارة على سطح آخر : وفى تشبيه السفن فى قرارها على الماء بالأعلام فى قرارها على اليابس إيماء إلى مزيد قدرته تعالى : ففائدة هذا التشبيه بيان قدرته فى تسخير الأجسام فى أعظم ما يكون من الماء

الشجاعة . وإما أن يحذفا والمشبه به خبر للمشبه (١) ، أو فى حكم الخبر من حيث إفادة الاتحاد وتناسى التشبيه : كما إذا كان مفعولا ثانيا لفعل من أفعال اليقين أو الرجحان ، أو حالا من المشبه ، أو صفة ، أو مضافا له أو مصدرا مبينا لنوعه أو كان المشبه به مبينا بالمشبه . ولا فرق فى الخبريين أن يذكر مع المبتدأ أو يقدر .

فمثال الخبر قوله صلى الله عليه وسلم فى كلام للأنصار : أنتم الشعار والناس الدثار (٢)

وقول الشاعر : وكفّاك الغمامُ الجَوْنُ يَسرى ☆ وفى أحشائه ماءٌ ونار

وقوله : أسد علىّ وفى الحروب نعامةٌ ☆ فتخاءُ تنفر من صفير الصافر (٣)

ومثال المفعول الثانى قوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوها كراسىّ

---

(١) أو خبر لما دخل على المشبه من النواسخ نحو إن محمداً قذى فى عين ابراهيم وكقول البحترى :

بنْتَ بالفضل والعلوِّ فأصبحتَ سماءً وأصبح الناس أرضا

فان كان الخبر معرفة حسن تقدير الكاف فتقول كفاك كالغمام : وإن كان نكرة قدرت كأن ، لأنه لا يحسن فى زيد أسد أن تقول زيد كأسد على تفصيل فى ذلك

(٢) يريد أنتم أقرب الناس منى كالشعار وهو الثوب الذى يلى بدن الانسان ، والناس كالدثار لأنهم بعيدون عنى ولأنكم بينى وبينهم . ومثل هذا فلان بطانة فلان تشبيها له ببطانة الثوب التى تلى الجسد ، لأنه قريب منه مختص به

(٣) أسد خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو ، والمقدر فى الاعراب فى حكم المذكور . والفتخاء لينة الجناح

لأحاديثكم فى الطُرقِ والأسواق (١)

ومثال الحال قول الشاعر :

بدتْ قمرا ومالتْ خوط بان وفاحت عنبرا ورَنَتْ غزالا

ومثال الصفه قولك : فلان رجل بحر ، وهذه امرأة قمر .

ومثال المصدر المبين للنوع قوله تعالى : (وترى الجبالَ تحسَبُها جامدةً وهى تمر مرّ السحاب) (٢) . وقوله صلى الله عليه وسلم : واضطمتكم الدنيا اضطام الوالدة ولدَها (٣) وقول أبى العلاء :

هرب النومُ عن جفونىَ فيها هربَ الأمن عن فؤاد الجبان (٣)

ومثال ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه قولَ الشاعر :

والريحُ تعبَث بالغصون وقد جرى ذهبُ الأصيل على لُجَين الماء

ومثال ما بين فيه المشبه به بالمشبه قوله تعالى : (وكلوا واشربوا حتى

---

(١) نهى لمن يتنازعون الأحاديث وهم على دوابهم الواقفة بهم : شبه الدواب والرواحل عند إطالة الوقوف بها مركوبة بالكراسى التى يجلس عليها ، بجامع أن كلا ثابت فى موضعه ، لا يزول إلا بمزيل له : (٢) أى تمر مرا كمر السحاب فى السرعة . فالمشبه مصدر محذوف استغنى عنه بفعل من لفظه ، وهكذا ما كان من هذا النوع : وقيل إن المشبه الجبال فى مرورها والمشبه به السحاب كذلك : والأول هو الوجه (٣) نص الحديث : « لن تبرحوا مبتلين ما كنت بين أظهركم فاذا أنا هلكت أقبلت إليكم الدنيا وأقبلتم إليها واضطمتكم الدنيا اضطام الوالدة ولدها » يريد أن الدنيا بعده ستكثر فوائدها وتتصل مراغدها ، فشبه نفعها لأهلها بحفاوة الوالدة بولدها ، إذ كانت ترضعه درها ، وتمهده حجرها ، وتشبل عليه جهدها (أى تعطف) (٣) يصف إحدى لياليه

يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)[١] وقول الشاعر :

وحُقَّة مسْك من نساء لبستها شبابى وكأس باكرتنى شَمُولها
جديدة سرْبال الشباب كأنَّها أباءة بردى سقتها غُيولها[٢]

وقول الآخر :

فما زلتُ فى ليلين شعرٍ وظُلمة وشمسين من خمر ووجه حبيب[٣]

وقول شوقى :

ودخلت فى ليلين فرعك والدُجى ولثمت كالصبح المنور فاك[٤]

ومن هذا ترى أنه لا بد فى التشبيه الاصطلاحى من ذكر الطرفين

---

(١) الفجر مشبه بالخيط الأبيض وقد جاء بعد المشبه به مبينا له أى حتى يتبين لكم الفجر كالخيط الأبيض (٢) جعل المرأة لطيب رياها مثل حقة من عاج ونحوه ملئت مسكا وأراد بقوله لبستها شبابى تمتعت بها زمن شبابى : قال تعالى : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » : والعرب تسمى المرأة لباسا على التشبيه : قال الجعدى :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا

والمراد بالشمول الخمر : والبردى نبت أبيض الساق ، وأباءته قصبته : وإنما شبه تلك المرأة الشابة بالبردى لنقاء اللون ورقته : والغيل الماء يجرى بين الشجر وأصول القصب

(٣) شبه الشعر بالليل : وذكر الشعر وما عطف عليه بيانا لقوله ليلين : وكذلك شبه الخمر ووجه الحبيب بالشمس من حيث الاشراق ، وذكرهما بعد قوله شمسين بيانا للشبه به بالمشبه (٤) الفرع الشعر التام ذكره بيانا للشبه به فى قوله ليلين

لفظا أو تقديرا ، ولا بد فيه من أداة ملفوظة أو مقدرة ، ولهذا لا يعتبر من التشبيه الاصطلاحى التشبيه على طريق الاستعارة لخلوه من أحد الطرفين ومن الأداة والوجه نحو : أقبل الأسد، وأنشبت المنية أظفارها بفلان ، ولا التشبيه على طريق التجريد نحو لقيت من فلان أسدا ، ورأيت به أو فيه أسدا .ولا التشبيه الضمنى لخلوه من الأداة لفظا وتقديراً نحو : نور الشمس مسروق من جبين فلان .وهذا النوع من التشبيه لا تبنى عليه الاستعارة ويسمى مكنيا ولعله بالكناية أشبه وإن اتفق فى أغراضه مع التشبيه ، ولذا لاتجد علماء البيان يذكرونه فى باب التشبيه إلا استطرادا أو عند التمثيل لغرض من أغراض التشبيه .

تمرين

١ — متى يكون المشبه به منصوبا فى تشبيه حذفت أداته ومتى يكون مرفوعا ؟ بين ذلك بالتفصيل والتمثيل

٢ — فى التشبيه الذى حذفت أداته قد يجر المشبه به فمتى يكون هذا وما الجار له حينئذ ؟ — مثل

٣ — فى التشبيه الذى حذفت أداته قد يكون المشبه به تابعا فى إعرابه للمشبه ؟ وقد يكون متبوعا له فمتى يكون كل منهما — مثل لما تقول

٤ — من صور التشبيه صورة يعرب فيها المشبه به حسب العوامل فتارة يكون فاعلا وتارة يكون مفعولا وهكذا فما هى تلك الصورة وما أمثلتها ؟

٥ — هات للتشبيه

(ا) مثالا فيه المشبه به مجرور بباء زائدة

(ب) مثالين فى كل منهما المشبه به مضاف للمشبه

(ج) ثلاثة أمثلة فيها المشبه به مبين بالمشبه

(د) مثالين حذف فى كل منهما أحد طرفى التشبيه لفظا

أغراض التشبيه

من أغراض التشبيه ما يعود على المشبه ، ومنها ما يعود على المشبه به

الاغراض التي تعود على المشبه

يعود الغرض على المشبه كقول الشاعر :

فتى عيش فى معروفه بعد موته   كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

كأن هذا الشاعر بعد أن جاء بالمشبه توهم أن السامع قد ينكر عليه دعواه ، أو يشك فيها فضرب لها مثلا مسلما به هو السيل يغمر الأرض ، حتى إذا انقطع عنه وجف مجراه ، نبتت فيه المراعى ، فرتعت فيه الماشية ما شاءت أن ترتع ، فجاء بالمشبه به برهانا على صحة دعواه وبيانا لامكان مدعاه وكذلك البحترى حين قال :

دان إلى أيــدى العفاة وشاسعٌ   عن كل ندّ فى الندى وضريب

كالبدر أفرط فى العــلو وضوءه   للعصبة السارين جــدّ قريب(١)

---

(١) دنا منه وإليه قرب وإنما عدّاه بعلى ليدل على أن دنوه منه دنوّ علوّ والعافى الذى يأتى سائلا والند المثل وكذا الضريب

لو وقف عند البيت الأول وسكت عن الثانى لجاز للسامع أن ينكر دعواه، أو يشك فيها؛ لما فى البيت الأول من الجمع بين صفتين متناقضتين لشخص واحد فى وقت واحد: هما شدة القرب وشدة البعد؛ فدفعا لهذا الانكار أو الشك جاء فى البيت الثانى بالتشبيه برهانا على صحة دعواه، وبيانا لامكان مدعاه.

ولو أنك قلت لمن تمدحه: أنت أطهر الناس سيرة، وأنقاهم أحدوثة، لم نجرب عليك سوءا، ولم نقف لك على زلة، لم يجد هذا القول من الأنس به والاستحسان له ما يجده قول الأستاذ الجارم بك:

لك سيرة كصحيفة الا   أبرار طاهرة نقية

لأن السير تتفاوت طهارتها تفاوتا كثيراً، وصحف الأبرار بلغت من الطهارة والنقاء إلى أقصى المبالغ، وانتهت إلى أبعد الغايات، فجاء التشبيه بها كاشفا عن المقدار الذى يريده الشاعر لسيرة الممدوح من الطهارة، محركا فى النفس قوى الاستحسان مثيراً كامن الاعجاب مؤديا الغرض أداء لا يكاد يتوصل إليه بغير التشبيه، على ما فى لفظه من الايجاز

كذلك لو قلت لممدوحك: أنت أعم الناس نفعا، وأكثرهم فضلا، تجود بالطارف والتليد، وتهب الجزيل للقريب والبعيد، ما نال هذا القول من الأنس به والاستحسان له ما ناله قول المتنبى لممدوحه بعد أن وصفه بالجود:

كالبحر يقذفُ للقريب جواهراً   جوداً ويبعثُ للبعيد سحائبا (١)

---

(١) قبله: هذا الذى أفنى النضار مواهبا   وعداه قتلا والزمان تجاربا

لأن السخاء فى الناس متفاوت ، وقد بحث المتنبي عن قسطاس معروف يزن به سخاء ممدوحه ، فقاسه بالبحر وعظمته معروفة وقاس عطاءه للقريبين منه بجواهره ونفاستها معروفة ، وقاس ما يبعثه لمن بعدوا عنه بالسحب التى تتكون من البحار ، فتساق إلى مختلف الأقطار لتتكون منها الأنهار ، فتحيي الأنفس والنبات (وترى الأرض هامدةً فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوْج بهيج)

فانظر إلى أى مدى من الجود بلغ التشبيه بذلك الممدوح من حيث المبالغة فى وصفه بالسخاء وعموم العطاء ، وما كان ليصل إلى هذا لولا التشبيه على سهولته وإيجازه

وكذلك النابغة لو قال للنعمان : أنت أوسع الملوك نفوذا ، وأقواهم سلطانا ، وأكثرهم أعوانا ، وأسرعهم إدراكا لمن تطلبه ، لا مهرب لمن يفر منك مهما ظن فى الأرض منأى عنك ، ما وجد هذا القول وأمثاله من الأنس به والاستحسان له ما وجده ذلك التشبيه الذى سار سير الأمثال فى قوله :

فانكَ كالليل الذى هو مُدركى   وإنْ خلتُ أنَّ المُنْتأَى عنك واسع (١)

---

(١) من قصيدته التى قال فيها يعتذر للنعمان ويستعطفه :

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى   وتلك التى تستك منها المسامع

مقالة أنْ قد قلت سوف أناله   وذلك من تلقاء مثلك رائع

فأفاد بهذا القول أنه مخوف ثم قال :

فان كنت لا ذو الضغن عنى مكذب   ولا حلفى على البراءة نافع

لأن التشبيه على إيجازه أخرج مالا يحس من سطوة النعمان وسلطانه وإدراكه مطلوبه إلى ما يحس من شمول الليل أنحاء المعمورة بسرعة لا تماثلها إلا سرعة النهار . ولكن المقام مقام خوف ورهبة ؛ فكان التشبيه بالليل أوقع ، وكانت النفس بالمعنى آنس .

مما تقدم يتبين أن المعنى الذى سيق له التشبيه قد يكون عرضة لأن يخالف فيه ويدعى امتناع صحته ، وحينئذ يكون الغرض من التشبيه بيان

ولا أنا مأمون بشىء أقوله وأنت بأمر لا محالة واقع
فانك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقد علق بهذا المعنى جماعة من الشعراء منهم سَلْم الخاسر إذ قال يعتذر إلى المهدى

إنى أعوذ بخير الناس كلهم وأنت ذاك لما تأتى وتجتنب
وأنت كالدهر مبثوثا حبائله والدهر لاملجأ منه ولا هربُ

وعبيد الله بن طاهر إذ قال :

وإنى وإن حدثت نفسى بأننى أفوتك إن الرأى منى لعازب

وعلى بن جبلة إذ قال :

وما لامرىء حاولته عنك مهرب ولو رفعته فى السماء المطالع
بلى هارب لا يهتدى لمكانه ظلام ولا ضوء من الفجر ساطع

واختار العلماء قول ابن جبلة لأنه عارض النابغة وزاد عليه ذكر الصبح كأنه استدرك ليرد قول من قال : إن النهار أولى بهذا المثل ، فان إدراك الصبح وسرعة انطباقه على الأرض كادراك الليل وسرعة انطباقه . ومقام المدح يناسبه التشبيه بأمر لطيف لا بليل مظلم ، وفاتهم أن النابغة إنما شبه النعمان حال سخطه ووعيده : فتشبيهه بالليل الذى هو محل الرهبة أليق

إمكان المشبه ، وقد يكون ذلك المعنى غير ذلك . وحينئذ يكون الغرض شيئا آخر هو بيان حال المشبه ، أو بيان مقدار حاله ، أو تقريره ، أو تزيينه ، أو تهجينه ، أو استطرافه .

(١) فبيان الامكان كقول البحترى :

خلق منهم تردد فيهم ولبته عصابة عن عصابة
كالحسام الجراز يبقى على الدهـــر ويفنى فى كل حين قرابه (١)

(٢) وبيان الحال فيما إذا كان المشبه به معروفا والمشبه مجهولا ، أو فى حكم المجهول : كقول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقول الآخر :

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

والتشبيه لهذا الغرض يكثر فى العلوم والفنون لمجرد البيان والايضاح، فلا يكون فيه حينئذ أثر للبلاغة لخلوه من الخيال وعدم احتياجه إلى التفكير ، ولكنه لا يخلو من ميزة الاختصار فى البيان ، وتقريب الحقيقة إلى الأذهان كقولهم للمتعلمين : الأرض كالكرة ، والذئب كالكلب فى الحجم .

(٣) وبيان مقدار الحال فيما إذا كان حال المشبه معلوما ، ثم أراد المتكلم أن يبين للسامع ما يعنيه من هذا المقدار كبيتى الجارم والمتنبى السابقين وكقول الشاعر :

---

(١) الجراز كغراب بوحدة فى آخره القاطع

فيها اثنتان وأربعون حَلُوبةً سودا كخافية الغراب الأسحم (١)

وقول النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سُورةً ترى كل ملْك دونها يتذبذب

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يَبْدُ منهن كوكب (٢)

وقول الآخر :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الأصابع (٣)

---

(١) أشار بقوله سودا إلى الصفة المشتركة بين الطرفين ثم جاء بالتشبيه كاشفا عن مقدار السواد إذ السواد متفاوت فى الموصوفات به . وبالتشبيه اتضحت الصورة التى يريدها منه ، واستقرت فى الذهن هيئه خاصة ومقدار معين (٢) أبان النابغة بقوله ترى كل ملك دونها يتذبذب فوقان الممدوح من عداه من الملوك ، وعلو درجته بالنسبة إليهم ، وعجزهم عن أن يصلوا إلى ما وصل إليه غير أن هذه الفوقان يتفاوت وتختلف درجاته فجاء بالتشبيه فى البيت الثانى كاشفا عن حده ومبلغه فى القوة ، فأراك أنه بلغ فى رفعته وتفوقه إلى أقصى المبالغ ، وانتهى إلى أبعد الغايات . ومتى كان هذا قصده كان الغرض من التشبيه بيان مقدار الحال . أما إذا كان قد أراد أن يزيد معنى المشبه تقريرا فى النفس ، فنظر إلى مافى المشبه به من قوة الظهور والتمام ، فانتقل بالسامع من أمر معنوى إلى آخر حسى مألوف، كان هذا من تقرير حال المشبه (٣) هذا كالذى قبله : إن قصد صاحب ليلى إفهام السامع مقدار خيبته كان التشبيه لبيان مقدار الحال ، فقد أراك رؤية لا تشك معها أنه بلغ فى بوار سعيه إلى أقصى المبالغ ، وانتهى إلى أبعد الغايات فلم يحظ بقليل ولا كثير . أما إذا كان قد قصد أن يزيد معنى المشبه تقريراً فى النفس ، كان هذا مثالا لتقرير حال المشبه .

(٤) وتقرير المشبه وتمكينه فى نفس السامع بأن تأتى بمشبه به حسى(١) يزيد معنى المشبه إيضاحا لما فى المشبه به من قوة الظهور والتمام: كقول الشاعر

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر (٢)

وإن شئت المثل الأعلى لهذا النوع فعليك بكتاب الله تعالى. وأين قولك: من أنفق فى سبيل الله مالا كان له من مثله عند الله سبعمائة من قوله تعالى: «مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة». وأين قولك مهما تعب الكفار ومهما عملوا فلن يكون لهم من وراء تعبهم إلا الخيبة والندم من قوله تعالى: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا (٣)

---

(١) إنما شرطوا فى تقرير المشبه أن يكون المشبه به حسيا لأن الجزم بالأمور الحسية أتم منه بالأمور العقلية والتمثيل بالمحسوسات يفيد زيادة قوة وتمكين ألا ترى إلى إبراهيم عليه السلام إذ قال: (رب أرنى كيف تحيي الموتى قال: أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فاطمئنان القلب إلى المحسوس أقوى. وكثيرا ما تجد تقرير المشبه يجتمع مع غيره من الأغراض كالتزيين، وبيان مقدار الحال

(٢) تنافر القلوب وتوادها من الأمور المعنوية، ولكن الشاعر نظر إلى ما فى المشبه به من قوة الظهور والتمام، فانتقل بالسامع من تنافر القلوب الذى لا ينتهى إذا وقع إلى كسر الزجاجة الذى لا يجبر إذا حصل، فصور لك الأمر المعنوى بصورة حسية تسكن إليها النفس وتؤمن بها إيمانا قويا.

(٣) قد أظهر فى الآية الأولى ما لا يحس وما لم تجر به العادة من الربح العظيم مظهر

(٥) وتزيينه ترغيبا فيه أو تعظيما له بتصويره بصورة تهيج فى النفس قوى الاستحسان بأن يعمد المتكلم إلى ذكر مشبه به معجب قد استقر فى النفس حسنه وحبه، فيصور المشبه بصورته، فيكسبه ذلك تزيينا أو إعظاما، لما هو مركوز فى الطباع من أن المتماثلين حكمهما واحد ولا فرق بين أن يكون من المبصرات أو غيرها. كقول بعضهم فى وردة أخذت أكمامها تنشق عنها

سبقت إليك من الحدائق وردة　　وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك إذ رأتك فجمعت　　فمها إليك كطالب تقبيلا (١)

وقول الآخر:

له خال على صفحات خد　　كنقطة عنبر فى صحن مرمر

ما يحس وما جرت به العادة، فحرك فى النفس قوى الاستحسان وكامن الأعجاب، ورغبها فى الانفاق فى سبيل الله أعظم ترغيب. وفى الآية الثانية أخرج ما لا يحس من خيبتهم بعد التعب وندمهم على ما فرطوا إلى ما لا يحس بعبارة موجزة توضح المقصود وتمكن المعنى فى نفس السامع أقوى تمكين. وقس على هذا قوله تعالى: ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق وقوله جل شأنه: مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وقوله تعالى: فى الصحابة رضوان الله عليهم: ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع

(١) ما أعظم ما يحدثه فى النفس من الاحساس تصوير الوردة بصورة عاشق هيأ فاه لتقبيل معشوقه!

وألحـاظ كأسياف تنادى على عاصى الهوى الله أكبر (١)

وقول الآخر :

حديث إذا لم تخش عيناً كأنه إذا ساقطته الشهد أو هو أطيب

وقوله :

ســوداء واضحــة الجبـــين كمقلة الظبى الغــرير

(٦) وتهجينه تنفيرا منه أو تحقيرا له بأن تصوره بصورة تمجها النفس ويشمئز منها الطبع ، وذلك أن تعمد إلى ذكر مشبه به قد استقر فى النفوس قبحه أو احتقاره ، وجبل الطبع على الاشمئزاز منه أو استصغاره ، فيسرى منه ذلك إلى المشبه لما تقدم من أن المتماثلين حكمهما واحد كقوله تعالى : « كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهثْ أو تتركه يلهث » (٢) وقولك فلان

---

(١) العنبر طيب ذكى الرائحة يتنافس فى اقتنائه الأغنياء والعظماء . والمرمر جوهر ، صلب أشد صفاء من الرخام مصنوعاته قيمة وآنيته يتنافس فيها الأغنياء والملوك ولذا كان ذكرهما يهيج فى النفس كثيرا من الاستحسان والاعجاب ، وقد ضرب التشبيه فى البيت الثانى على وتر القوة ، بما يصوره من الغلبة ، وتمام الظفر ، على مثال ما كان عليه أبطال المسلمين أيام فتوحاتهم الأولى ، فقد كان هذا النداء من شعارهم ، وتخيل القوة أو ما هو من ظواهرها يهيج فى النفس اعظاما وإعجابا بنسبة تلك القوة . ويرى الأستاذ نجاتى أن الثانى من أمثلة التزيين جدير بأن يكون من أمثلة الاستطراف .

(٢) لهث الكلب دلع لسانه من شدة العطش أو التعب . والكلب إذا حملت عليه نبح وولى هاربا وإن تركته شد عليك ونبح فيتعب نفسه مقبلا عليك ومدبرا عنك ، فيعتريه من ذلك ما يعتريه عند العطش من إخراج اللسان .

فى عوده إلى حمقه كالكلب فى عوده إلى قيئه . وقول الشاعر :

وإذا أشار محدثا فكأنه   قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وقول ابن الرومى يذم الورد

وقائل لِمْ هجوت الورد معتمدا   فقلت من بغضه عندى ومن سخطه
كأنه سُرم بغل حين تفتحه   عند البراز وباقى الروث فى وسطه

وقول الآخر فى ذم القمر

كلف فى شحوب وجهك يحكى   نُكَتا فوق وجنة برصاء

(٧) واستطرافه أما بوضعه فى صورة الممتنع عادة ، وأما بتشبيهه بشىء يندر حضوره فى الذهن : فالأول كقول الشاعر

وكأن محمر الشقيـــق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر   ن على رماح من زبرجد

والثانى كقول ابن الرقاع

تزجى أغن كأن إبرة روقه   قلم أصاب من الدواة مدادها

وقول الآخر

وبين الخد والشفتين خال   كزنجى أتى روضا صباحا
تحير فى الرياض فليس يدرى   أيجنى الورد أم يجنى الأقاحا(١)

وقد ضرب الله للتارك لآياته والعادل عنها أخس شىء وهو الكلب فى أخس أحواله وذلك أن الكلب إذا كان يلهث فهو لا يقدر لنفسه على ضر ولا نفع

(١) الأقاحى جمع أقحوان ولعله جرى على رأى من رفع الراء فى قوله تعالى وله الجوار المنشآت فى البحر ، والنون فى قول الشاعر

لها ثنايا أربع حسان   وأربع فكلها ثمان

فان تحير الزنجى هذا لما تتحير فيه حاسة الاستحسان كل متحير .
ووجه الاستطراف فى الأول وضع شىء مبتذل قلما يؤبه له فى صورة شىء نفيس ممتنع الوجود . وفى الآخرين اجتلاب المشبه به من نيق بعيد ما كان ليخطر بالذهن عند حضور المشبه فيه ، فجمع التشبيه بين المتباعدين ، وألف بين المختلفين .

مما تقدم تفهم أن التشبيه مع ما فيه من ميزة الايجاز فى اللفظ يفيد المبالغة فى الوصف ، ويخرج الخفى إلى الجلى ، والمعقول إلى المحسوس ، ويجعل التافه نفيسا والنفيس تافها ويدنى البعيد من القريب ، ويزيد المعنى وضوحا ، ويكسبه تأكيدا ؛ فيكون أوقع فى النفس وأثبت

والقاعدة المشهورة أن كل تشبيه يعود فيه الغرض إلى المشبه يكون وجه شبهه أتم وأعرف فى المشبه به منه فى المشبه . وبهذا صرح السكاكى ، وعليه جرى أبو العلاء فى قوله

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك   وقاعدةُ التشبيه نُقْصان مايحكى

ولكن شراح التلخيص لم يشترطوا الأتمية إلا إذا أريد تقرير المشبه وتمكينه فى النفس . واشترطوا الأعرفية فيما عدا ذلك من الأغراض إلا عند الاستطراف حيث يشبهون بالوهمى أو الخيالى

إذ يعطون ما قبل المحذوف حكم المحذوف وقد قيل إن من العرب من يسكن ياء المنقوص مطلقا كقوله :

ولو أن واش باليمامة داره   ودارى بأعلى حضر موت اهتدى ليا

لحمل النصب على الرفع والجر

الأغراض التى تعود على المشبه به

قد يعود الغرض على المشبه به وهو ضربان :

أحدهما فى التشبه المقلوب ؛ وذلك أن يقصد المتكلم إيهام أن المشبه به أقوى وأتم من المشبه فى وجه الشبه ، جريا على القاعدة العامة السابقة فيقلب التشبيه كقول محمد بن وهيب الحميرى :

وبدا الصباحُ كأن غُرّته   وجهُ الخليفة حين يُمتَدَحُ (١)

وقول البحترى فى وصف بركة المتوكل :

كأنها حين لجَّت فى تَدَفُّقها   يدُ الخليفة لما سال وَاديها

فان الحميرى أراد أن يوهم أن وجه الخليفة أتم من غرة الصباح إشراقا ونورا .

وقصد البحترى أن يوهم أن يد الخليفة أقوى تدفقا بالعطاء من البركة بالماء

وثانيهما بيان اهتمام المتكلم بالمشبه به : كالجائع الذى يشبه بالرغيف وجها كالبدر فى الانارة والاستداره ، ليدل بهذا التشبيه على اهتمامه بالرغيف ورغبته فيه لجوعه ويسمى هذا إظهار المطلوب

التشبيه والتشابه

قد تقدم أن المشبه به قد يكون أعرف من المشبه فى وجه الشبه أو

---

(١) فى الأطول ما نصه : ساقه مثالا للتشبيه المقلوب وهو أن يجعل الناقص فى وجه الشبه مشبها به قصدا إلى ادعاء أنه زائد ولا يخفى أنه يصح التشبيه المقلوب فى تشبيه للتزيين أو التشيين أو الاستطراف لادعاء أن الزينة فى المشبه به أقوى وأتم ، أو

أقوى منه فيه حقيقة إذا عاد الغرض على المشبه، أوادعاء فى التشبيه المقلوب. فمتى كان الأمر كذلك جيء بالتشبيه لا بالتشابه اشعارا بهذا التفاوت بين الطرفين. أما اذا أريد مجرد الجمع بين شيئين فى أمر من غير قصد إلى تمييز أحدهما فى الأتمية أو الأعرفية أو فيهما معا، فالأفضل ترك التشبيه الى الحكم بالتشابه (١) احترازا من ترجيح أحد المتساويين كقول أبي اسحاق الصابي (٢)

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى   فمن مثل مافى الكاس عينيَ تسكب
فوالله ما أدرى أبالخمر أسبلت   جفونيَ أم من عبرتى كنت أشرب (٣)

وقول الصاحب بن عباد

رق الزجاج وراقت الخمر   فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدحٌ   وكأنما قدحٌ ولا خمر (٤)

القبح أكثر وأشنع، أو ادعاء أن المشبه به أندر وأخفى

(١) التشابه يؤدى بلفظ تشابه وتماثل وتشاكل وتساوى وتضارع، وكذا بقولك كلاهما سواء، لا بما كان له فاعل ومفعول به مثل شابه وساوى فان فى هذا إلحاق الناقص بالزائد

(٢) كان الصابي يحفظ القرآن جيدا ولم يشرح الله صدره للاسلام كما هداه لمحاسن الكلام

(٣) أسبلت : هطلت . يقول انه اختلط عليه الأمر فصار لا يدرى أكان يشرب خمرا فأسبلت عيناه خمرا أم كان يشرب من عبرته فعينه تسكب دمعا ؟ وهذا من تجاهل العارف، لأنه يعلم قطعا أنه يشرب خمراً وأن عينه تسكب دمعا. والشاهد فى البيتين عدوله عن التشبيه إلى افهام التشابه بين الدمع والمدامة (٤) قد يقال إنه

وهذا لا يمنع عند ارادة مجرد الجمع بين شيئين فى أمر تساويا فيه أن يشبه أحد الأمرين بالآخر، لغرض ما: لكون أحدهما موضع حديث المتكلم، أو محل اهتمامه، فيجعله مشبها، فاذا تحدث عن الليل ثم عن ظهور الصبح شبهه بالغرة فى وجه الأدهم كقوله والصبح مثل غرة فى أدهم وقوله:

والصبح فى طُرّة ليل مسفر   كأنه غُرة مهر أشقر

وإذا تحدث عن فرسه وأخذ يصفه ويذكر سواده وبياض غرته شبهه ببياض الصبح فى ظلام الليل كقوله

وجهه صبحٌ ولكن   سائرُ الجسم ظلامُ

لأنه فى كلتا الحالين انما يرمى إلى ما فى كل من الطرفين من مجرد ظهور البياض فى سواد أكثر منه، من غير قصد إلى قوة أو ضعف

التشبيه باعتبار الغرض

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول ومردود: فالمقبول ما كان وجه الشبه فيه وافيا بالغرض المقصود: كأن يكون المشبه به مسلما به فى بيان الامكان، أو يكون الوجه أقوى وأعرف فى تقرير المشبه، أو أعرف فى بيان الحال وبيان مقدارها، ثم إذا تساوى الطرفان فى وجه الشبه عند

اجتمع فى البيتين تشابه وتشبيه، والتشابه يقتضى التساوى، والتشبيه يقتضى التفاوت فيجاب بأن «كأن» هنا للشك لا للتشبيه. ويؤيده قوله ولا قدح وقوله ولا خمر. أو بأن التشبيهين فى البيت الثانى تعارضا لفظا كما تعارضا معنى فى لفظ التشابه فتساقطا، وبقى التشابه

بيان المقدار كان التشبيه كاملا فى القبول، وإلا فكلما كان المشبه به أقرب فى المقدار إلى المشبه كان التشبيه أقرب الى الكمال والقبول.
والمردود ما قصر عن إفادة الغرض بألا يكون على شرط المقبول

تمرين

١ — متى يكون التشبيه لبيان الحال، ومتى يكون لبيان مقدارها. وبم تميز ما كان لبيان المقدار عما كان لتقرير حال المشبه ؟

٢ — اذا أمكن أن يؤدى المعنى بغير تشبيه فماذا يكون فضل التشبيه حينئذ ؟

٣ — على أى الطرفين يعود الغرض من التشبيه فى كل مما يأتى، وما هو . وضح ما تقول :

(١) كأنهن الياقوتُ والمرجانُ (٢) والقمر قدّرناه منازلَ حتى عاد كالعرجون القديم (٣) وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون (٤) مثل المنافق الذى لا يقرأ مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها (٥) النساء حبائل الشيطان

(٦) ولاح ضوء قمير كاد يفضحنا ... مثل القلامة قد قدت من الظفر

(٧) ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب فى الماء جذوة نار

(٨) دنوت تواضعا وعلوت مجدا ... فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس يبعد أن تسامى ... ويدنو الضوء منها والشعاع (١)

---

(١) فكر جيدا فى الطرفين

(٩) حبرُ أبي حفص لُعابُ الليل   يجرى إلى الأخوان جرىَ السيل
(١٠) وكأن صوتك حين يصـــدح صوتُ رعد يرجس (١)

(١١) ورمل كأرداف العذارى قطعته   وقـــد جللته المظلمات الحنادس
(١٢) وكأنها وحَبابُ الماء يَقرعُها   در تحدَّر فى سلك من الذهب (٢)
(١٣) إذا هن ساقطن الحديث كأنه   سقاطُ حصى المرجان من سلك ناظم
رمين فأقصدن القلوب فلم تجد   دَما مائرا إلا جوى فى الحيازم
(١٤) ولا زورْدية تزهو بزرقتهـــا   بين الرياض على حمـــر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها   أوائل النار فى أطراف كبريت
(١٥) يكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً   لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والبدر لو لم يغب والشمس لو نطقت   والأسد لو لم تُصَدْ والبحر لو عذبا

مباحث الطرفين

المبحث الأول

طرفا التشبيه إما حسيان كقوله تعالى (كأنهم اعجازُ نخل خاوية)(٣) ، وإما عقليان نحو رأيك كرأى فلان ، وخلقك كخلقه ، وقول الشاعر :

---

(١) الرجس الصوت الشديد من الرعد ورجس كنصر رجساً فهو راجس ورجاس شديد الصوت

(٢) لمسلم بن الوليد فى الخمر

(٣) أعجاز النخل : أصولها والخاوية : التى خلت أجوافها بلى وفسادا . شبههم فى كبر أجسامهم ، وخلوها من الأرواح بأعجاز النخل الخاوية فى ضخامتها وفراغ جوفها . بجامع أن كلا فقد ميزته مع ضخامته الجسمية ، وأخذ جسمه فى النقص

فرحت وآمالى كَحَظّى كواسفٌ وعزمى يحاكى سعيه فى المكارم

وإما مختلفان والمشبه عقلىَ كقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الغضب جمرة توقَّدُ فى جنب ابن آدم ألم تَرَوْا الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه (١) . » وقوله : « الموت ريحانة المؤمن (٢) : وقولهم إسلام كنور الشمس ، وجهل كظلمه الليل ، وحجة كضوء القمر . أو مختلفان ، والمشبه حسى كقوله :

وأرضٍ كأخلاق الكرام قَطَعتها وقد كَحَلَ الليلُ السماكَ فأبصرا (٣)

وقوله :

(١) الودج : بفتحتين عرق فى العنق . شبه الغضب الكامن فى النفس بالنار التى تعلق بالجسم ، لما يترتب على كل من التهيج والانفعال اللذين يظهر أثرهما فى الأوداج والعينين

(٢) يقول إن المؤمن يستروح إلى الموت تَفَوُّتا من كروب الدنيا ، كما يستروح الانسان إلى طيب المشمومات

(٣) شبه الأرض وهى حسية بالخلق وهو معنوى ، بجامع السعة فى كل ، وهى تخييلية فى المشبه به كما سيأتى . هذا وقد قالوا : إن تشبيه المحسوس بالمعقول غير جائز : لأن إدراك المحسوس أسهل من إدراك المعقول . والعلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها . وإذا كان المحسوس أصلا فتشبيهه بالمعقول يكون من جعل الفرع أصلا والأصل فرعا ، وهو غير جائز . ولو حاول محاول المبالغة فى وصف الشمس بالظهور ، أو المسك بالطيب ، فقال : الشمس فى الظهور كالحجة ، والمسك فى الطيب كخلق فلان كان سخفا من القول ، مع أنه ورد فى أشعار العرب والمتأخرين كقول بعضهم :

وفتكتَ بالمـال الجزيل وبالعدا   فَتْـكَ الصبابة بالمحب المغـرم(١)

والحسى ما يدرك هو أو مادته باحدى الحواس الظاهرة ، والثـانى يسمى خياليا .

فما يدرك طرفاه بالبصر نحو : (والقمر قَدّرناه منـازلَ حتى عاد كالعُرجون القديم (٢)

وبالشم نحو : ريحه ريح الخزامى ، ونكهته أريج المسك

رب ليـل كأنه أملى فيـــــك وقد رحت عنك بالحرمان

وقول الصاحب بن عباد :

يأيها القـاضى الذى نفسى له   فى قرب عهـد لقـائه مشتاقة

أهديت عطرا مثل طيب ثنائه   فـكأنمـا أهـدى له أخـــلاقه

والذى يجمع بين هذا وبين القواعد العقلية أن هذه الأشياء المعقولة لتقررها فى الذهن قويت وصارت بمنزلة المحسوسات ، فصح التشبيه بها ، وأصبح المعقول للمبالغة أثبت فى النفس وأقوى

(١) فى الطراز قال : شبه فتكه بالمال وبالعدا وذلك من الصور المرئية بفتك الصبابة ، وذلك أمر معنوى ، وهذا من ألطف التشبيهات وأرقها

(٢) العرجون العذق أو أصله الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ، قال الطبرى : وآية لهم تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه حتى عاد كالعرجون القديم أى اليابس ، لأن القديم من العذق لا يكاد يوجد إلا متقوسا منحنيا إذا يبس ، فكذلك القمر آخر الشهر قبـل استسراره صار فى انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون ، وقيل كالعرجون القديم فى دقته واعوجاجه مع قلة العرض .

وبالذوق نحو : فى هذا حموضه حموضة الخل، أو حراقة كحراقة الفلفل

وباللمس نحو : نعم نعومة الحرير ، وخشن خشونة جلد القنفذ

وبالسمع نحو صوته رعد ، وغرد تغريد الطيور ، وسجع سجع القمرى، وأنّ أنين الثكلى وأسمع دويا كدوى النحل ، وكقول ابن سناء الملك يصف ساقية :

وساقية نزلت بهـا وإلفى أودّعه كتوديع المَرُوع
فصوت أنينها يحـكى أنينى وفيض مياهها يحكى دموعى(١)

والخيالى (٢) كقول ابن المعتز

كأن عيون النرجس الغض حولها مداهن در حشوهن عقيق (٣)

وقول أبى بكر الصنوبرى

وكأن محمرّ الشقيـق إذا تَصَوّب أو تصعد

---

(١) صوت أنينها مشبه ، وأنينى مشبه به ، والفعل يحكى أداة التشبيه ، ووجه الشبه القوة أو الضعف

(٢) الخيالى هو المعدوم الذى ركبته المتخيلة من أمور موجودة كل واحد منها يدرك بالحس

(٣) المشبه عيون النرجس ، والمشبه به خيالى معدوم فرض مجتمعا من أشياء حسية فان المداهن الدرية ، وفيها العقيق مما لا يوجد ، ولكن المادة التى تركبت منها هيئة المشبه به هى :

المداهن والدر والعقيق وكل منها موجود يحس بالبصر

أعـــلام يـاقوت نشر ن على رماح من زبرجد (١)

والعقلى ما عدا الحسى بنوعيه، فيشمل المحقق ذهنا: كالرأى والخلق والحظ والأمل والعلم والذكاء والشجاعة، ويشمل الوهمى وهو مالا وجود له ولا لأجزائه كلها أو بعضها فى الخارج، ولو وجد لـكان مدركا باحدى الحواس كقوله تعالى: (طَلْعُها كأنه رُءوس الشياطين (٢)) وقوله صلى الله عليه وسلم: النساء حبائل الشيطان (٣)، والجرس مزمار

(١) محمر الشقيق نور معروف وهو المشبه، والمشبه به خيالى معدوم، فرض مجتمعا من أمور كل منها يدرك بالحس، فالأعلام الياقوتية المنشورة على رماح زبرجدية ليست موجودة، ولـكن كلا من الأعلام والياقوت. والرماح والزبرجد، موجود يحس بالبصر

(٢) قال تعالى فى شجرة الزقوم: « إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين قال الألوسى: طلعها أى حملها وأصله طلع النخل، وهو أول ما يبدو قبل أن تخرج شماريخه أبيض غض مستطيل سمى به حمل هـذه الشجرة ثم قال: كأنه رءوس الشياطين فى تناهى الكراهة، وقبح المنظر. والعرب تشبه قبيح الصورة بالشيطان فيقولون كأنه وجه شيطان أو رأس شيطان وإن لم يروه لأنه مستقبح جدا فى طباعه، لاعتقادهم أنه شر محض، لا يخلطه خير. فيرتسم فى خيالهم بأقبح صورة.

(٣) قال الشريف الرضى جعل النساء من أقوى ما يصد الشيطان به فهن كالحبائل المبثوثة والاشراك المنصوبة لأنهن مظان الشهوات ومعارض الخطيات وبهن يستخف الركين ويستخون الأمين ا. هـ. وحبائل الشيطان مما لا يدرك بالحس ولو وجدت لأدركت بالبصر

الشيطان (١) » وقول امرىء القيس :

أيقتلني والمَشرفيّ مُضَاجعي ومسنونةٌ زرق كأنياب أغوال (٢)

ويشمل الوِجداني ، وهو ما يدرك بالقوى الباطنة كالغم ، والفرح ، والشبع ، والجوع ، والعطش ، والرِّي

تمرين

١ — كون تشبيهات خمسة

أولها : يدرك طرفاه بالبصر ووجهه بالشم لغرض التهجين

ثانيها : يدرك طرفاه بالبصر ووجهه باللمس لغرض التزيين

ثالثها : يدرك طرفاه ووجهه بالسمع لغرض التهجين

رابعها : يدرك طرفاه ووجهه بالذوق لبيان الحال

خامسها : فيه المشبه عقلي والمشبه به حسي لتقرير المشبه

٢ — ما الغرض من التشبيه في كل مما يأتي ، ومن أي أنواع الحسي أو العقلي طرفاه .

---

(١) قال الشريف الرضي : لما كان كل صوت مكروه ينسب إلى الشيطان : كضروب الغناء وعويل النساء ، وكان صوت الجرس مكروها حسن أن يضاف صوته إلى الشيطان ، على طريق الاتساع ، ومزمار الشيطان كحبائله لو وجد لأدرك بالبصر

(٢) المشرفي : منسوب إلى مشارف الشام ، والمسنون المحدد المصقول ، ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها ، وكونها مجلوة ، وأراد بقوله أنياب أغوال أن يهول ، وأنياب الأغوال مما لا يدركه الحس لعدم تحققها ، مع أنها لو وجدت لأدركت بالبصر

(ا) وجهه وجه شيطان، وعمله عمل الملائكة

(ب) خود كأن بنانها في خُضرة النقش المزرد
سمك من البلور في شبك تكوّن من زبرجد

(ج) كلنا باسط اليد نحو نيلوفر ندى
كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد

(د) رضاك شباب لا يليه مشيب وسخطك داء ليس منه مطيب
كأنك من كل النفوس مركب فأنت إلى كل النفوس حبيب

(٣) — بين فيما يأتي طرفي التشبيه، والحاسة التي يدرك بها كل منهما، والغرض منه: — مزمار كمزمار داود — النشر مسك — دواء كالصاب ريقها أري الجني — نادى نداء المكروب — طعمه طعم التفاح — أسمع أطيطاً كانقاض الفراريج (١) —

كأنما الماء في صفاء وقد جرى ذائبُ اللجين
تنازعت الخدودَ الحمرَ حسنا فما قد أخطأت منهن وصفا (٢)

الثاني من مباحث الطرفين

طرفا التشبيه إما مفردان، وإما مركبان، وإما مختلفان. والمفردان قد يكونان مطلقين، وقد يكونان مقيدين، وقد يكون أحدهما مطلقا

---

(١) الأطيط: صوت الرحل. وأنقض إنقاضا: صوت. والفراريج: جمع فروج وهو فرخ الدجاج

(٢) الضمير في تنازعت يعود على الشقائق في البيت السابق

والآخر مقيداً (١)

فالمفردان المطلقان كقوله صلى الله عليه وسلم : « أنتم الشعار ، والناس الدثار وقولك لها لحظ كالسيف ، وخد كالورد

والمقيدان كقول الشاعر :

إنى وتزيينى بمدحى معشراً كمعلّق دُرًّا على خنزير (٢)

والمختلفان إطلاقا و تقييدا كقول الراجز :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل (٣)

أو كأن تقول : المرآة فى كف الأشل كالشمس .

---

(١) التقييد : ذكر ما تعلق بوجه الشبه من حال أو مفعول أو مجرور أو صفة أو ظرف أو مضاف إليه ، ولا يعتبر شىء من هذه قيدا إلا إذا تعلق بالوجه ، فاذا قلت : رأيت اليوم كالأسد رجلا يهب الجزيل لا يعتبر المشبه مقيدا ، لأنه لا تعلق للوجه بجملة الصفة ، فهى لا تراعى فى انتزاعه

(٢) لم يرد تشبيه نفسه من حيث هو بالمعلق من حيث ذاته ، وإنما أراد تشبيه المتكلم باعتباره ذا فعل خاص واقع منه وهو مدحه من ليسوا أهلا للمدح بالمعلق باعتباره ذا فعل آخر ، وهو أنه يعلق شيئا نفيسا على عنق شىء خسيس ليزينه به وهو غير قابل للزينة : فالمشبه مقيد بالحال ، والمشبه به مقيد بالمفعول والجار والمجرور ، ولو أزيلت القيود من الطرفين ما كان هناك وجه للمشابهة بينهما فلا يكفى أن يقول إنى كمعلق بل لا بد من الحال فى المشبه ومن المفعول والمجرور فى المشبه به حتى يتم القصد من التشبيه

(٣) شبه الشمس على الاطلاق بالمرآة بقيد كونها فى كف الأشل ، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصلة ، وما يحصل

والمركب من الطرفين ما كان هيئة حاصلة من شيئين أو أشياء تضامت وتلاصقت ، حتى اعتبرها المتكلم شيئا واحدا ، بحيث إذا انتزع الوجه من بعضها دون بعض اختل قصد المتكلم من التشبيه [١] . كقول الشاعر :

له خال على صفحات خَدّ كقطعة عنبر فى صحن مرمر [٢]

مع الاشراق بسبب تلك الحركة من التموج والاضطراب ، حتى يرى الشعاع كأنه ينبسط ثم يرجع من انبساطه إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب . ولولا تقييد المشبه به بالجار والمجرور ما فهمنا فى وجه الشبه أكثر من الاستدارة والاشراق

(١) من هذا يتبين لنا الفرق بين المركب والمقيد فى المعنى ، وإن كان لفظاهما لا يكاد يتميز أحدهما عن الآخر فأجزاء المركب منفصلة بالذات ثم عرض لها الاتصال ، وليس فيها جزء قصد وحده بالتشبيه ، وإن صح أن يشبه بجزء من الطرف الآخر . أما المقيد فالمقصود فيه أحد أجزاء الطرف ولكن بقيد فيه . فالقيد ليس مقصودا لنفسه بل لذلك الجزء

(٢) شبه هيئة الخال الأسود على صفحات الخد النقى اللون بهيئة قطعة من العنبر على سطح صحن من المرمر ، والخال وصفحات الخد متباينان عرض لها الاتصال ، فأحدثا هيئة مخصوصة مكونة من جزء أسود ذى شكل مخصوص على صفحات خد يخالفه لونا ، وكذلك قطعه العنبر وصحن المرمر متباينان مختلفان لونا عرض لها الاتصال ، والخال يشبه قطعة العنبر لونا وشكلا ، وصفحة الخد تشبه سطح المرمر لونا ونقاء ، فكل جزء من أجزاء المشبه له نظير فى الطرف الآخر يمكن تشبيهه به . وبهذا يمكن تحليل التشبيه المركب إلى تشبيهين لكن يمنع منه أن التركيب غرض الشاعر وأن فيه حسنا ليس فى التحليل ، ومثل هذا قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقوله: كأنما المريخ والمشترى قدامه فى شامخ الرفعة
منصرف بالليل عن دعوة قد أسرجت قدامه شمعة (١)

وقوله تعالى (مَثَلُهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهبَ اللهُ بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون. صمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فهم لا يرجعون (٢))

---

(١) المريخ والمشترى من الكواكب السيارة، روعى فى الطرف الأول كل منهما، وأن الثانى أمام الأول، وأنه متلألىء. وكل هذه أمور اجتمعت فكونت هيئة اعتبارية. وروعى فى الطرف الثانى المنصرف ليلا عن الدعوة. والشمعة. وأنها أمامه. فتكونت من هذه هيئة أخرى. والأولى تماثل الثانية. غير أننا لو حللنا هذا التشبيه كالذى قبله إلى تشبيهات متعددة. فقلنا المريخ كمنصرف بالليل عن دعوة. لم يكن لهذا التشبيه معنى. فتفريق التشبيه هنا لا يصح. ونظير هذا قول ابن المعتز:

وكأنه وكأن الكاس فى فمه هلالُ أول شهر غاب فى شفق

إذ لا معنى لأن تقول: كأن الشفة شفق

(٢) قد يعبر عن الطرف المركب بلفظ مفرد كلفظ مَثَل بمعنى القصة أو الصفة العجيبة. وقد عبر بقوله مثلهم فى الآية عن قصة المنافقين المبينة قبل فى قوله تعالى: (ومن الناس من يقول آمنا بالله إلى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. شبه هيئة أولئك المنافقين فى حيرتهم وحسرتهم بعد أن أوتوا ضربا من الهدى فأضاعوه، ولم يتوصلوا به إلى نعيم الأبد، بل تظاهروا بالايمان ليحقنوا به دماءهم ويحفظوا أموالهم، بهيئة من استوقدوا نارا يهتدون بها، فلما أضاءت ما حولهم انطفأت فأخذتهم الحيرة فى الظلمات والحسرة على ما فات واليأس من بلوغ ما كانوا

وتشبيه المفرد بالمركب نحو:

كلنـــا باسط اليد نحو نيلوفر نـــدى
كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد (٣)

وتشبيه المركب بالمفرد كقوله:

ياصـــاحبى تقصيا نظريـكما تريا وجوه الأرض كيف تصور

يريدونه لو بقى لهم ذلك النور. والمتأمل فى طرفى التشبيه يرى أنه لا يظهر لكل من الأجزاء المتضامة فى الطرف الأول نظير فى الطرف الآخر يصح تشبيهه به إلا بتكلف. كأن يقال شبه المنافقين بالمستوقدين وشبه إظهارهم الأيمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الأموال والمشاركة فى الغنائم بأضاءة النار وزوال ذلك عنهم باطفاء نارهم وذهاب نورهم. والمذهب الواضح فى مثل هذا تشبيه الهيئة بالهيئة والقصة بالقصة

ومما تقدم يتضح أن تشبيه المركب بالمركب ثلاثة أنواع: نوع يظهر فيه المتقابلان من كل طرف بلا تـكلف ويصح تشبيه أحدهما بالآخر إلا أن هذا يضيع بهجة التركيب وروعته ونوع يظهر فيه المتقابلان من كل طرف. لـكن التحليل يفسد المعنى فـلا يصح التشبيه. ونوع يظهر فيه المتقابلان بتكلف لا حاجة لنا به. وهذا مع ما فيه من كثرة التـكلف وتعدد التشبيه يضيع ما فيه من الروعة والحسن

(٣) النيلوفر: عرائس النيل. نبت له أصل كالجزر وساق أخضر أملس يطول حسب عمق الماء. فاذا ساوى سطحه أورق وأزهر. والزبرجد: الزمرد. ولونه أخضر. والعسجد: الذهب

شبة النيلوفر بالهيئة الحاصلة من تركيب رءوس مبسوطة نوعا ما من العسجد على قضب دقيقة ملساء من الزبرجد. بجامع أن كلا منهما يتكون من جزء أصفر مبسوط وساق أخضر دقيق أملس يحمله. والمشبه به خيالى. إذ لا وجود فى الخارج لهذا النوع من الدبابيس. ولـكن العسجد والزبرجد موجودان

تريا نهارا مُشْمسًا قد شابه زهر الربا فكأنما هو مُقْمر (١)

ومتى ركب أحد الطرفين لا يكاد يكون الآخر مفردا مطلقا، بل يكون مركبا، أو مفردا مقيدا، ومتى كان هناك تقييد أو تركيب كان الوجه مركبا، ضرورة انتزاعه من المركب أو من القيد والمقيد

تمرين

(١) ما الغرض من كل من التشبيهات الآتية، ثم ما حال كل من طرفيها من حيث التركيب والافراد مع الاطلاق أو التقييد. وإن يكن الطرف مقيدا فبمه، وإن يكون مركبا فممه؟

(١) يوم يكون النـاس كالفَراش المبثوث. وتكون الجبال كالعِهن المنفوش (٢) (٢) فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُر مستنفرة فَرَّت من قَسْوَرة (٣) (٣) الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطبَ

(٤) أين أزمعت أيُّهذا الهمام نحن نبتُ الرُّبَا وأنت الغمام

(٥) وما المالُ والأهلون إلا ودائع ولا بُدَّ يوما أن تُرَدَّ الودائع

---

(١) يريد أن النبات لشدة خضرته مع كثرته وتكاثفه قد صار لونه إلى الاسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر. وقيل إن مراده بزهر الربا أشجار الربا ذات الزهر فهى بالتفافها وأزهارها تظلل ما تحتها، فيضعف ضوءه ولا يبدو ما فيه جليا. شبه هيئة ضوء النهار المشمس وزهر الربا يشوبه فيضعف من ضوئه بليل مقمر. وقيل هو من تشبيه المفرد المقيد بالمفرد المقيد. ووجه الشبه نقص الضوء حتى لا تتضح فيه المبصرات فى كل منهما

(٢) الصوف المنفوش (٣) القسورة الأسد

(٦) فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كقابض ... على الماء خانته فروج الأصابع
(٧) ياطيء السهل والأجبال موعدكم ... كمبتغى الصيد فى عرّيسة الأسد
(٨) والسحب تلعب بالبروق كأنها ... قار على عجل يقلّب مصحفا
(٩) كأن دخان العود والند بيننا ... وأقداحَنا ليل تهاوى كواكبه
(١٠) ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها ... مرآة تبر بدت فى كف مرتعش
(١١) والخلُّ كالماء يبدى لى ضمائره ... مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
(١٢) وإذاَ أشار محدثا فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

(٢) التشبيهات الآتية مركبة . ما رأيك فى تحليل كل منها إلى تشبيهَين أو أكثر ، وإن أمكن ، فما الذى يترتب على هذا التحليل ؟

(١) كأن صغرى وكبرى من فقاقعها ... حصباء در على أرض من الذهب
(٢) يهزُّ الجيشُ حولك جانبيه ... كما نفضت جناحيها العُقاَب
(٣) وكأن أجرام النجوم لوامعا ... درر نثرن على بساط أزرق
(٤) كأنما النار فى تلهبها ... والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبَّكتْ أناملها ... من فوق نارَنجة لتخفيها

الثالث من مباحث الطرفين

قد يتعدد طرفا التشبيه (١) أو أحدهما ، فيترتب على هذا تقسيم التشبيه أربعة أقسام

---

(١) متى تعدد الطرفان معا نتج تشبيهان أو أكثر لا تشبيه واحد

أقسام التشبيه باعتبار طرفيه

الأول التشبيه الملفوف : وهو أن يؤتى بالمشبهات معاً على طريق العطف أو غيره ، ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك كقول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابسا   لدى وكرها العناب والحشف البالي(١)

وقولك : كالقمرين محمد وعلي ، أو المحمدان كالقمر والشمس(٢)

والثاني التشبيه المفروق : وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ، ثم بآخر ، وآخر ، وهكذا . كقول المرقش الأكبر :

النشر مسك والوجوه دنا   نير وأطراف الأكف عنم(٣)

وقول المتنبي :

بدت قمراً ومالت خوط بان   وفاحت عنبراً ورنت غزالا

والثالث تشبيه التسوية ، وهو ما تعدد فيه المشبه دون المشبه به ، كقول الشاعر :

---

(١) شبه الرطب من القلوب بالعناب في القدر ، والشكل ، واللون ، وشبه اليابس منها بالحشف البالي في لونه ، وشكله ، وتكاميشه . والعناب حب أحمر مائل للكدرة هو ثمر السدر البستاني والحشف أردأ التمر . وصف بالبلي تأكيداً لهيئة التشبيه

(٢) المراد بالقمرين القمر والشمس لأن المراد بالتعدد وجود معنيين مختلفين

(٣) النشر مسك أي أريج مسك فهو على حذف مضاف والعنم : شجر أحمر لين تشبه به الأصابع المخضبة ، والوجوه كالدنانير في الاستدارة والاستنارة مع شيء من الصفرة ، لأن الصفرة كانت مما يستحسن في ألوان النساء

صدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى

وقول بديع الزمان :

يكاد يحكيك صوبُ الغيث منسكبا لو كان طلقَ المحيا يمطر الذهبا
والبدرُ لو لم يغب والشمس لو نطقت والأُسْد لو لم تُصَد والبحرُ لو عذبا(١)

الرابع تشبيه الجمع وهو ما تعدد فيه المشبه به دون المشبه كقول الشاعر :

ذات حسن لو استزادت من الحسـ ـن إليه لما أصابت مزيدا
فهى الشمس بهجة والقضيب الـ ـلدن قدا والريم طرفا وجيدا

تمرين

بين فيما يأتى طرفى التشبيه ونوعه باعتبارهما والغرض منه

(١) تبسمٌ وقطوب فى ندى ووغى كالغيث والبرق تحت العارض البرد(٢)
(٢) فى رأس مشرفة حصاها لؤلؤ وترابها مسك يشاب بعنبر (٣)
(٣) ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد
خمر ودر وورد ريق وثغر وخد
(٤) يا هلالا يدعى أبوه هلالا جل باريك فى الورى وتعالى

(١) المشبه صوب الغيث وما عطف عليه ، والمشبه به كاف يحكيك الدالة على الممدوح ، وأداة التشبيه هى الفعل يحكى فهو تشبيه مقلوب

(٢) البرد بكسر ثانيه ذو القر والبرد (٣) للبحترى من وصف بيت على هضبة

أنت بدر حسنا وشمس عُلوًّا وحسام حزما وبحر نوالا
(٥) إذا الدولة استكفت به فى ملمة كفاها فكان السيفَ والكفَّ والقلبا
(٦) كأنما يبسم عن لؤلؤ منَضَّد أو برد أو أقاح (١)
(٧) لُعاب الأفاعى القاتلات لُعابه وأَرْىُ الجنى اشتارته أيْدٍ عواسل (٢)
(٨) تنازعها المها شبها ودر الـنحور وشاكهت فيها الظباء
فأما مافويق العقد منها فمن أدماء مرتعها الخلاء
وأما المقلتان فمن مهاة وللدر الملاحة والصفاء (٣)

ادوات التشبيه

أدوات التشبيه: الكاف، وكأن، ومثل وشبه، وما يؤدى معناها (٤) والأصل فى الكاف وما جرى مجراه من الأسماء المضافة لما بعدها، كمثل وشبه أن يليه المشبه به لفظا نحو: (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام)، أو تقديرا كقوله تعالى: (أو كصيب من السماء فيه ظلمات

---

(١) الأقاحى بفتح الهمزة جمع أقحوان، وهو البابونج نور يتفتح كالورد، وأوراقه أشبه فى شكلها بالأسنان فى اعتدالها. والمشبه محذوف أى كأنما يبسم عن ثغر كاللؤلؤ، ومع هذا يعتبر من التشبيه، لأن وجود الأداة يبطل الاستعارة، كما صرح به الدسوقى فى باب حسن الاستعارة

(٢) لأبى تمام فى وصف القلم (٣) لزهير بن أبى سلمى

(٤) كيحكى ويضاهى ويماثل ويشابه ويساوى وأسماء فاعلها (وكسيان وسواء) فأدوات التشبيه بعضها اسم وبعضها فعل وبعضها حرف

ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت)(١)

وقد يليه غير المشبه به مما له دخل فيه ، وذلك إذا كان المشبه به هيئة منتزعة من متعدد ، وذكر بعد الكاف بعض ما تنتزع منه تلك الهيئة ، كقوله تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض فأصبح هشيما تَذْروه الرياح) إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ؛ ولا بمفرد مقدر ، بل المراد تشبيه حال الدنيا فى إقبالها على الانسان واغتراره بها ، وزهوه فيها ، وتنعمه بنعمها ، وسرعة زوالها عنه ، وانقراض نعيمها ، بحال النبات الذى يغذيه الماء يكون أخضر ناضراً شديد الخضرة ، ثم ييبس فيكون هشيما تذروه الرياح كأن لم يكن (٢) ، بجامع الهيئة الحاصلة فى كل من حسن وإعجاب ، ومنفعة يعقبها التلف والعدم .

ومتى كان المشبه به هو تلك الهيئة فلا حاجة إلى تقدير كمثل ماء ،

---

(١) الضمائر الثلاثة فى (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) للعقلاء . فلما احتاجت إلى مرجع قيل إن التقدير أو كذوى صيب ثم نظروا إلى المعطوف عليه ، فشاكلوا بينه وبين المعطوف وقالوا إن التقدير : أو كمثل ذوى صيب

(٢) ليس فى الآية ما يدعو إلى تقدير لفظ بعد الكاف يكون مشبها به ، والحاصل أن المشبه به المركب إن عبر عنه بلفظ مفرد كلفظ المثل أعنى الحالة والصفة العجيبة ، فقد ولى المشبه به الكاف ، وإن لم يعبر عنه بمفرد ، فان اقتضى الحال تقدير ذلك المفرد قدر بعد الكاف ، كما فى قوله تعالى : « أو كصيب من السماء » على ما سبق وان لم يقتض الحال تقديره ، واستغنى عنه بما يتضمنه بمجموع اللفظ ، فلا يكون

وبخاصة إذا راعينا أن المقصود من التشبيه : أن مثل الحياة الدنيا كمثل نبات غذاه الماء

أما ماله معمولان من أدوات التشبيه فيقدم فيه ما تقتضى العربية تقديمه فتقول : كأن زيدا أسد. فيلى المشبهُ الأداة : لأنه مخبر عنه والمخبر عنه رتبته التقديم وتقول : شابه زيد عمرا أو تقول : أماثل زيد عمرا فيلى المشبهُ الأداة لأنه فاعل والفاعل رتبته التقدم على المفعول به وقد يجرى الكلام على خلاف الأصل لقيام قرينة نحو : شابه علياً زيد فيقدم المشبه به لفظا لا تقديرا

هذا وما تقدم من أن كأن للتشبيه مطلقا هو المشهور ، وقد تستعمل عند ظن المتكلم ثبوت الخبر من غير قصد إلى التشبيه ، سواء أ كان الخبر جامدا أم مشتقاً ، نحو : كأن زيدا أخوك وكأنه قائم وقال بعضهم : إنها للتشبيه إن كان الخبر جامدا ، وللظن إن كان مشتقا . والظاهر مانقله بعضهم من أنه إذا كان خبرها فعلا أو جملة أو اسما مشتقا كانت للظن والحسبان ، ولا تكون للتشبيه إلا إذا كان خبرها مما يتمثل به نحو : كأن زيدا أسد

وقد يذكر فعل ينبىء عن حال التشبيه من قرب وقوة ، كعلمت زيدا أسدا أو بعد وضعف ، كحسبت زيدا أسداً ، لما فى فعل اليقين من الدلالة

المشبه به لفظا مفردا والياً الكاف ، كما فى قوله تعالى : «كماء أنزلناه . . . الآية» ولو جعلنا المشبه به محذوفا وقلنا كمثل ماء لم يوافق هذا حقيقة المراد من التمثيل ، إذ الممثل به حال النبات

على تيقن الاتحاد وتحققه ، وهذا يفيد التشبيه مبالغة ، ولما فى فعل الرجحان من الاشعار بعدم التحقق ، وهذا يفيد التشبيه ضعفا (١)

تقسيم التشبيه باعتبار الاداة

ينقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى مرسل ومؤكد ، فالمرسل ما ذكرت أداته نحو : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الآية » والمؤكد ما حذفت أداته نحو يسجع سجع القُمْرى . (وهى تمر مر السحاب) ونحو :

هم البحور عطاء حين تسألهم   وفى اللقاء إذا تلقى بهم بُهَمُ

ومن المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه ، كقول الشريف الرضى :

---

(١) من ذلك نفهم أن الفعل ليس أداة من أدوات التشبيه ، ويؤيد هذا قول الدسوقى لا دلالة قطعا للعلم والحسبان على التشبيه ، بل المنبىء عن التشبيه عدم صحة الحمل لأننا نجزم أن الأسد لا يصح حمله على زيد ، وإنما يكون على تقدير الأداة ، ذكر الفعل . أو لم يذكر ، كما فى قولنا : زيد أسد . اهـ .

وعلى هذا فالمثالان من المؤكد ، وهو ما حذفت أداته ، غير أن القزوينى فى الايضاح مثل للمرسل بقول البحترى يصف الدروع :

وإذا الأسنة خالطتها خلتَهَا   فيها خيالَ كواكب فى الماء

يقول إذا خالطت الأسنة الدووع خلتها حال اختلاطها بها خيالا نجوم فى الماء . وجعل تشبيه الأسنة لامعة فى الدروع بالكواكب لامعة فى الماء مرسلا ، وذلك لأنه اعتبر الفعل « خال » أداة تشبيه . وهذا يتفق مع قوله فى متن التلخيص : وقد يذكر فعل ينبىء عن التشبيه ولم يقل عن حاله

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت   حوامل المزن فى أجداثكم تضع
ولا يزال جنينُ النبت تُرضعه   على قبوركم العَرّاصَةُ الهُمُعُ (١)

وقول الآخر :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى   ذهب الأصيل على لُجَيْن الماء

والمؤكد أوجز وأبلغ وأشد وقعا فى النفس ، أما أنه أوجز فلحذف أداته ، وأما أنه أبلغ فلا يهامه أن المشبه عين المشبه به : فاذا قلنا : زيد أسد فقد أخبرنا عن زيد أنه أسد وذكرنا أنه هو وإن كانت الأداة مقدرة ، وإذا قلنا : زيد كأنه أسد وأظهرنا أداة التشبيه فات ذلك الايهام .

مباحث وجه الشبه

المبحث الأول

الوجه هو المعنى الذى قصد اشتراك الطرفين فيه تحقيقا أو تخييلا (٢) ،

---

(١) أراد المزن التى كالحوامل من الحيوان ، بجامع ما فى كل من المنفعة العظيمة ، وأراد بجنين النبت النبت الذى كالجنين . والأجداث : القبور ، جمع جدث . والعراصة بالصاد المهملة : السحابة التى اضطرب فيها الرعد والبرق وأظلت وقربت حتى صارت كالسقف ولا تكون الا ذات رعد وبرق . والهمع : اسم لما يَهْمَع أى يسيل ، كما فى شرح شواهد الايضاح

(١) لابد أن يكون فى وجه الشبه نوع خصوصيه حتى يفيد التشبيه ، ولذا لا يكون من الذاتيات كالحيوانية فى تشبيه الانسان بالأسد ، ولا من الأعراض العامة كالجسمية فى ذلك التشبيه ، لأن التشبيه بالذاتيات أو بالأعراض العامة لايفيد إلا إذا تعلق به غرض ، فيكون فيه حينئذ مزيد اختصاص وارتباط من حيث ذلك الغرض ، كما يأتى فى المبحث الثانى من مباحث الوجه

فالأول نحو شعرها ليل، ونشرها مسك (١). والثانى مالا يمكن أن يكون فى أحد الطرفين إلا على سبيل التخييل، بأن تجعل المخيلة ما ليس بمحقق محققا نحو : له سيرة كالمسك وأخلاق كالعنبر : فقد شاع وصف كل من السيرة والأخلاق بالطيب توسعا حتى تُخُيل أنهما من الأجناس ذات الرائحة الطيبة، فشبهوهما بكل من المسك والعنبر فى الطيب، وكقول القاضى التنوخى

وكأن النجوم بين دجاه ... سُنَنٌ لاح بينهن ابتداع (٢)

وقول أبى طالب الرقّى :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه ... يوم النوى وفؤاد من لم يعشق (٣)

وقول التنوخى :

أما ترى البرق قد وافت عساكره ... وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
فالأرض تحت ضريب الثلج تَحْسَبُها ... قد ألبست حبكا أو غُشّيت ورقا

---

(١) وجه الشبه فى الأول السواد وفى الثانى الطيب

(٢) البدعة الأمر الذى اتخذ كأنه مأمور به شرعا وليس كذلك. والسنة ما تقرر أنه مأمور به شرعا بقول الشارع أو بفعله أو ما يجرى مجرى ذلك — شبه حال النجوم والدجى مختلطين يظهر أحدهما فى جانب الآخر بحال السنن والبدع كذلك، بجامع أن كلا هيئة مكونة من أشياء مشرقة بيضاء فى جوانب مظلم أسود، فهو تشبيه مركب بمركب، واعتبره الدسوقى تشبيه مقيد بمقيد ولعله نظر إلى أن الظرف فى كل من الطرفين حال والحال قيد

(٣) يصف أبو طالب الرقى نفسه بالوفاء، وأنه لا ينسى حبيبه حتى فى الشدائد

فانهض بنـــار إلى فحم كأنهما في العين ظلم وإنصاف قد اتفقا (١)

أما البيت الأول فلأنه قد شاع وصف السنة بالبياض والاشراق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: أَتَيْتُكُم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها؛ فـكان من أثر هـذا الشيوع أن تُخُيِل أن السنن جنس من الأجناس التى لها إشراق ونور وابيضاض فى العين.

وكذلك شاع وصف البدعة والشبهة، ، وكل ما كان باطلا بأنه مظلم أو أسود. فيقال شاهدت سواد الكفر أو ظلمة الجهل من جبين فلان، وكان من أثر هذا الشيوع أيضا أن تخيل أن البدعة نوع من الأنواع التى لها ظلمة وسواد، ومن هذا وذاك صار تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين البدع، على قياس تشبيههم النجوم فى الظلام ببياض الشيب فى سواد الشباب، أو بالأزهار المؤتلقة بين نبات شديد الخضرة، ولا يتم هـذا التشبيه الا بتخيل ما ليس بمتلون متلونا

وقد تقدم أن تشبيه المحسوس بالمعقول لا يجوز إلا إذا تخيلنـا المعقول أصلا، فلابد هنا أن تتخيل غير المتلون أصلا للمتلونات الحقيقية من ذلك الجنس، فتتخيل السنن أصلا فى البياض والبدع أصلا فى السواد

ومثل هذا يقال فى قوله: ولقد ذكرتك والظلام كأنه: (البيت) لأنه لما كانت أوقات المـكاره توصف بالسواد، فيقال. اسود النهار فى عينى، وأظلمت الدنيا على، وهذا نهار أسود، تخيل يوم النوى من الأنواع

---

(١) الضريب: الصقيع. والحبك: الطرائق واحدها حباك ككتاب أو حبيكة كصحيفة

التى لها سواد، ثم تخيله الشاعر أصلا فى السواد، وتخيل أنه أشهر به من الظلام، فشبه الظلام به، ثم عطف «فؤاد من لم يعشق» تظرفا لأن الظريف يدعى القسوة على من لا يعشق، والقلب القاسى يوصف بشدة السواد حتى تخيل أنه من الأنواع ذات السواد، ثم تخيل أنه أصل فيه يقاس عليه، فشبه الظلام به أيضا، فكان فى البيت تشبيه الجمع لاتحاد المشبه وتعدد المشبه به. وكذلك فى الشاهد الثالث وُصِفَ الحق توسعا بالانارة فقيل: الحق منير، واعتبر نوعا من الأنواع المَنيرة، ثم تخيله الشاعر أصلا فى الانارة يقاس عليه، ووُصف الظلم بالأظلام توسعا، ثم تخيل أصلا فيه يقاس عليه، فشبه الشاعر النَار والفحم مجتمعين بالأنصاف والظلم مجتمعين، لما فى كل من الهيئة الحاصلة من اختلاط بياض وسواد

ومما تقدم فى تعريف الوجه يتبين أن وجه الشبه فى قولهم: النحو فى الكلام كالملح فى الطعام هو الاصلاح فى كل، لا ما توهمه بعضهم من أن وجه الشبه هو كون القليل مصلحا والكثير مفسدا؛ لأن النحو لا يحتمل القلة والكثرة، فان تحققت قواعده بكمالها فى الكلام صار صالحا، وإلا بقى فاسدا. والملح يحتمل القلة والكثرة، غير أن كثرته فى الطعام مفسدة فكون القليل مصلحا والكثير مفسدا غير متحقق فى الطرفين، فلا يصح أن يكون وجها

الثانى من مباحث الوجه

تقسيمه إلى خارج وغير خارج

الوجه غير الخارج عن حقيقة الطرفين ما كان فى كل منهما نوعا أو جنسا أو فصلا .

(١) فأنت ترى إنسانا يقسو على آخر ويحمله مالا طاقة له به ، فتقول له : هذا مثلك فارحمه أى أن كلا منكما إنسان (أو حيوان ناطق) تريد بهذا القول التعريض والتقريع فوجه الشبه هنا هو النوع ، وهو تمام الماهية ؛ فهو مساو لحقيقة كل من الطرفين (١)

(٢) أو ترى إنسانا يرمى آخر بالبلادة ويشبهه بالحمار الأعجم مثلا ، فتقول له : أنتما سواء ، تشير إلى أن كلا منهما ناطق قصد التقريع ؛ فوجه الشبه هنا هو الفصل ، وهو جزء من الماهية ، مميز لها عما عداها من الماهيات الأخرى

(٣) أو ترى إنسانا يعذب آخر ويرميه بأنه جماد لا يتأثر فتقول : هذا مثلك . تشير إلى أن كلا منهما حيوان قصد التقريع أو التعريض أيضا ، فوجه الشبه هنا هو الجنس ، وهو جزء من الماهية مشترك بينها وبين غيرها من الماهيات الأخرى .

---

(١) قد تقدم فى المبحث الأول من مباحث الوجه أن التشبيه بالذاتيات لا يفيد ما لم يتعلق به غرض ما وقد رأيت أن الغرض هنا التقريع والتعريض ، ومهما يكن فالتشبيه بالذاتيات قليل وما صح منه ضعيف

ومتى كان وجه الشبه جزءا من الماهيه أو مساويا لها سمى غير خارج ، ولا يصح أن تقول إنه داخل ، لأن المساوى للشيء لا يعتبر خارجا عنه ولا داخلا فيه

والخارج نوعان : صفة حقيقية وأخرى إضافية . فالحقيقية ما كانت قارة فى الذات ، بحيث لا يكون حصولها فيها بالنسبة إلى غيرها : كالحمرة فى الخد أو الورد ، وكالجراءة فى الرجل أو الأسد . والحقيقية نوعان : حسية وعقلية ؛ فالحسيات مدركات البصر والسمع والذوق والشم واللمس: كالحمرة فى تشبيه الخد بالورد ، والقوة فى تشبيه صرخة الرجل بزأرة الأسد ، والحلاوة فى تشبيه التفاح بالعسل ، والطيب فى تشبيه النكهة بعبير المسك . والنعومة فى تشبيه البشرة بالحرير . ومن المبصرات الألوان والأضواء والأشكال والمقادير والحركات ، وما يتصل بها كالحسن والقبح والضحك والبكاء .

ومما يدرك باللمس الحرارة والرطوبة واليبوسة والخشونة واللين والصلابة والخفة والثقل وما يتصل بها كالبلة واللزوجة . فالاعتدال فى تشبيه القد بالغصن ، والاستدارة فى تشبيه الشمس بالمرآة ، والعظم فى تشبيه الجثة الكبيرة بالفيل أو بالجبل ، وحسن الطلعة فى تشبية الرجل بالشمس ـ كلها من المبصرات ، وقوة الصوت وضعفه يميزان بالسمع .

والعقليات مدركات العقل القائمة بالأنفس الناطقة : كالذكاء والعلم والغضب والحلم والكرم والقدرة والعجز والفطنة واليقظة والمعرفة

والاضافية ما ليست متقررة فى الذات ؛ وإنما هى معنى يتعلق بشيئين

يتوقف تعقله على تعقلهما : كالأبوة والبنوة ؛ فكلاهما يتوقف تعقله على تعقل الأب والابن وإضافة أحدهما للآخر ؛ ومن هذا صفة التأثير فان تعقلها فى شىء ما يتوقف على تعلقه بالمتأثر ، فاذا قلت : هذه الحجة كالشمس فى إزالة الحجاب ، فالوجه وهو إزالة الحجاب صفة إضافية لا تتعقل إلا بعد تعلق الشمس أو الحجة بالحجاب

الثالث من مباحث الوجه

تقدم أن الوجه قد يكون صفة حسية وقد يكون صفة عقلية ، والآن نقول إنه أيضا قد يكون واحدا أو بمنزلة الواحد ، وكل منهما إما حسى وإما عقلى ، وقد يكون متعددا حسياً أو عقليا أو مختلفا

فالواحد الحسى كالنعومة فى قوله : لها بشر مثل الحرير والطيب فى نحو : أريجه أريج المسك ، والحلاوة فى قولهم : تفاحك كالعسل . وطرفاه لابد أن يكونا حسيين لأن الوجه قائم بهما ، والحسى لا يقوم بغير الحسى .

والواحد العقلى كعدم النفع فى قولك : وجود فلان وعدمه سواء ، وكالهداية فى قوله صلى الله عليه وسلم : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . وقولك : رأيك كالمصباح ، فطرفاه إما حسيان وإما عقليان ، وإما مختلفان لجواز أن يوصف المحسوس بالمعقول ، كالهداية التى يوصف بها الرجل والمصباح ، فالتشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى ، لأنه يأتى فى المحسوس وغير المحسوس من الطرفين

والمتعدد كقول أبى بكر الخالدى

يا شبيه البدر حسنا وضياء ومنالا
وشبيه الغصن لينا وقواماً واعتدالا
أنت مثل الورد لونا ونسيما وملالا (١)
زارنا حتى إذا ما سرنا بالقرب زالا

وضابطه أن ينظر إلى عدة صفات اشترك فيها الطرفان، ليكون كل منها وجه شبه بحيث لا يرتبط بعضها ببعض: فلو حذف بعضها دون بعض أو قدم بعضها على بعض ما اختل التشبيه، والحسى منه نحو: هذه الفاكهة كالتى أكلناها أمس فى لونها وشكلها وريحها وحلاوتها. والعقلى منه مثل: زيد كعمرو فى شجاعته وحلمه وإيمانه والمختلف منه نحو: زيد كعمرو فى طوله ولونه وشجاعته وعلمه

ومتى كان المتعدد كله أو بعضه حسيا وجب أن يكون طرفاه حسيين، لما تقدم من أن الحسى لا يقوم بغير الحسى

فالطول واللون فى المثال الأخير لا يكونان إلا فيما طرفاه حسيان.

والذى بمنزلة الواحد يراد به المركب تركيبا اعتباريا (٢)، وهو هيئة ينتزعها العقل من متعدد، بحيث لو سقط بعضه لا يصح التشبيه، فاذا كان

---

(١) عبر بالملال عن سرعة الفراق لأنه سببها فهو مجاز عقلى علاقته السببية

(٢) إنما أهملت المركب الحقيق وهو الحقيقة الملتئمة من أمور مختلفة، لأنه يعتبر واحدا فى العرف، فاذا قلت زيد كعمرو فى أنه حيوان ناطق كان معناه زيد كعمرو فى الانسانية

كل واحد من الأمور التى تكونت منها تلك الهيئة حسيا كان وجه الشبه حسيا، وإن كان بعضها أو كل منها عقليا اعتبر الوجه عقليا.

فالعقلى كحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل المشقة فى استصحابه فى قوله تعالى: مَثَلُ الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يَحْمِلوها كمثل الحمار يحمل أسفارا (١).

والحسى بعضه يقع فى الأوصاف الجسمية كالشكل واللون، وبعضه يقع فى الهيئات التى تقع عليها الحركة (٢)، مقرونة بتلك الأوصاف الجسمية أو غير مقرونة بها؛ وبعضه يقع فى هيئات السكون، ثم قد يكون طرفاه مفردين، وقد يكونان مركبين وقد يكونان مختلفين.

---

(١) أى مثل الذين عُلِّموا التوراة وكلفوا أن يعملوا بها فلم يعملوا بما فيها من الآيات التى ينطق بعضها بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار الذى يحمل كتبا كبارا. والطرفان هنا مركبان تركيبا اعتباريا وقد عبر عن كل منهما بلفظ المثل. شبه حال اليهود الطاعنين فى نبوة سيدنا محمد مع أنهم يحفظون التوراة ويعرفون ما فيها من نعت نبى آخر الزمان بالحمار الحامل للأسفار، لأنه لا يدرى منها إلا ما يؤلم جنبيه من الكد والتعب، فأخرج ما لا يعرف بالبديهة فى صورة ما يعرف بها. وقد روعى فى صفة اليهود حمل معنوى وكون المحمول أوعية العلم وكونهم لا ينتفعون بها، وأخذ حرمان الانتفاع من الجهل المعتبر فى الطرفين، وأخذ كون المنتفع به أبلغ نافع من أن المحمول فى الطرفين أوعية العلم التى هى أولى ما ينتفع به، وأخذ تحمل التعب فى الاستصحاب من أن كلا منهما يحمل أمرا غير خفيف، فوجه الشبه منتزع من جملة أمور ولذا كان مركبا.

(٢) إنما قصدت الحركة المركبة: أى التى تكونت من حركات مختلفة يخالف بعضها بعضا فى الاتجاه، كما سيأتى لأنها هى التى تناسب تركيب الوجه

فالمركب الحسى ذو الطرفين المفردين كالهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير فى المرأى، على كيفية مخصوصة إلى مقدار مخصوص فى قول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى　　كعنقود ملاحية حين نورا (١)

والمركب الحسى ذو الطرفين المركبين كالهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم فى قول بشار :

كأن مُثار النقع فوق رءوسنا　　وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبه (٢)

والمركب الحسى ذو الطرفين المختلفين إفرادا وتركيبا كالهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رءوس أجرام خضر مستطيلة فى قوله :

وكأن مُحْمَرّ الشقيق إذا تصوب أو تصعد

---

(١) البيت لأبى القيس بن الأسلت أو هو لأحيحة بن الجلاح . والملاحية بضم الميم وتخفيف اللام وقد تشدد كما فى البيت عنب أبيض فى حبه طول . ومعنى نوّر تفتح نوره ، وقيل أدرك وهو هنا أظهر والمشبه الثريا والمشبه به عنقود الملاحية المنوّر وهما مفردان روعى فى كل منهما صفاته الكثيرة من اللون والمقدار المخصوص وغيرهما . ومن هنا قيل إن تركيب الوجه لا يقتضى تركيب الطرفين ، ولكن تركيب الطرفين أو تقييدهما تقييدا مرعيا فى الوجه يوجب تركيب الوجه كما يؤخذ من الأمثلة السابقة فى تقسيم الطرفين .

(٢) شبه الهيئة الحاصلة من النقع الأسود والسيوف البيض متفرقات فيه تبرق وتومض ولها حركات مختلفة الجهات بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة فى جوانبه تتساقط

أعــــلامُ ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد(١)

والمركب الحسى الذى يجىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركة مقرونة بغيرها من أوصاف الجسم كالهيئة الحاصلة من الاستدارة والأشراق مع الحركة السريعة المتصلة، وما يحدثه الاشراق بسبب تلك الحركة من التموج والاضطراب حتى يُرَى الشعاع كأنه ينبسط ثم يرجع من انبساطه إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب فى قول الراجز :

والشمس كالمرآة فى كف الأشـــــل

فان الانسان إذا أحدّ نظره فى الشمس ليتبين جرمها وجدها تؤدى هذه الهيئة، ويشبه هذا قول المهلبى الوزير :

والشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لهـــا حاجب

كأنهـــا بُوتَقَـــة أحميت يجول فيها ذهبٌ ذائب (٢)

فان البوتقة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكل بشكلها فى الاستدارة وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها لما فى طبعه من النعومة، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين أجزائه من الاتصال والتلاحم، ولذا لا يقع فيه الغليان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه مما يتخلله الهواء، فيرتفع وسطه ارتفاعا شديدا، ولكن جملته كأنها تتحرك حركة واحدة فيها انبساط إلى الجوانب وانقباض

---

(١) المشبه مفرد لأن الشقيق اسم لمسمى واحد وأجزاؤه وصفاته التى اعتبر اجتماعها يعتبر كل منها كاليد للجسم

(٢) المشبه الشمس وهو مفرد، والمشبه به هيئة البوتقة المحماة والذهب يجول فيها

إلى الوسط ، كما فى الايضاح وأسرار البلاغة .

والمركب الحسى الذى يجىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركة المركبة مجردة من أوصاف الجسم ، كالهيئة الحاصلة من حركة التهيؤ للدنو والعناق، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق ، فى قول الشاعر يصف الرياض :

حُفَّت بسَرْوٍ كالقيان تلحفت   خُضْرَ الحرير على قوام معتدل
فكأنها والريحُ جاء يميلها   تبغى التعانق ثم يمنعها الخجل (١)

---

(١) السرو اسم جنس يطلق على القليل والكثير ، وهو شجر له رواء وليس له ثمر . والقينة الجارية مغنية كانت أم غير مغنية. والتلحف أخذ الشىء لحافا. والقوام القامة.

وفى البيت تفصيل طريف فاتن فقد راعى الحركتين حركة التهيؤ للدنو والعناق وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق ، وأدى ما يكون فى الحركة الثانية من سرعة زائدة تأدية تحسب معها السمع بصرا تثبيتا للتشبيه كما هو وتصويرا ، لأن حركة الشجرة المعتدله فى حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع لا محالة من حركتها فى خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركة من يدركه الخجل أسرع أبدا من حركته إذا هم بالدنو ، فازعاج الخوف والوجل أبدا أقوى من إزعاج الرجاء والأمل فمع الأول تمهل الاختيار وسعة الحوار ، ومع الثانى حفز الاضطرار وسلطان الوجوب . شبه هيئة تلك الأشجار فى انثنائها عند هبوب الريح وتمايل بعضها على بعض بهيئة طالبة التعانق القاصدة له ثم يمنعها الخجل ، فترتد سريعة إلى ما كانت عليه من الاعتدال ، وقد روى : فكأنها والريح تخطر بينها تهوى التعانق ، وربما كان هذا أصح لأن الريح مؤنثة وفاعل جاء ضمير مؤنث يعود على الريح فكان الواجب تأنيثه ، إلا إذا أولت بمعنى الهواء كما ضمن الكف معنى العضو فى قول الأعشى : يضم إلى كشحيه كفا مخضبا .

وكالهيئة الحاصلة فى حركتى المصحف والبرق فى قول ابن المعتز :

وكأن البرق مصحفُ قارٍ فانطباقا مرة وانفتاحا (١)

فان المصحف يتحرك فى كل من انطباقه وانفتاحه إلى جهتين مختلفتين. هذا ولا بد فى هيئات الحركات من اختلاط حركات مختلفة الجهة، بأن يتحرك بعضها إلى اليمين، وبعضها إلى اليسار، وبعضها إلى أعلى، وبعضها إلى أسفل، حتى يتحقق فيها تركيب الوجه. أما حركة السهم والرحى والدولاب فلا تركيب فيها

---

(١) المشبه البرق والمشبه به مصحف القارىء وهما مفردان، ووجه الشبه هو هيئة تقارن هذه الحركات المختلفة باختلاف جهاتها مع تكررها وهى حسية حقيقية فى المصحف تخييلية فى البرق لأن المراد بانفتاحه ظهوره من خلال السحاب منتشرا ضوءه، وبانطباقه انضمام أجزائه بحيث يضمحل حتى يختفى عن الأبصار، فالواقع فى البرق ظهور بالوجود وخفاء بالعدم، فان وجد تخيل الناظر إشراقه لانفتاح فيه أظهر باطنه كما يظهر الانفتاح باطن المصحف، وإذا عدم وخفى تخيل أن هناك باطنا قد خفى لانطباق البرق كما ينطبق المصحف، هذا ولاعانة ظهور الاشراق فى هذا التشبيه قيل إن الحركة هنا قد روعى معها غيرها من أوصاف الجسم وهو الاشراق والتلون، ورد على هذا بأن قوله فانطباقا مرة وانفتاحا يشير إلى وجه الشبه، بل هو صريح فى أنه لا يدل إلا على الحركات، وإن لزم مع ذلك ظهور الاشراق، فرد على هذا أيضا بأن دلالة الالتزام لا يصح أن تهجر، ولا سيما أن الانطباق والانفتاح متخيلان تخيلا مبنيا على الاشراق الظاهر فكيف يهمل فى وجه الشبه أمر لولاه لم يدرك الوجه فى أحد الطرفين. فضلا على أن الوجه يزداد به تركيبا موجبا للدقة المطلوبة.

والمركب الحسى الذى يجيء فى الهيئة التى يقع عليها السكون كالهيئة الحاصلة من سكون كل عضو من الأعضاء فى موقع خاص فى قول المتنبي يصف كلب الصيد : يُقْعِي جلوسَ البدويّ المصطلى (١)

وقول الآخر يصف مصلوبا :

كأنه عاشق قد مد صفحته   يوم الوداع إلى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لُوثته   مواصل لتمطيه من الكسل (٢)

فشبهه بالمتمطى إذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه وهو اللوثة والكسل فيه، فنظر إلى هذه الجهات الثلاث

---

(١) تمامه : بأربع مجدولة لم تجدل : أى بقوائم أربع شديدة مجدولة خلقة لا من جدل الانسان . شبه إقعاء الكلب بجلوس البدوى المصطلى . بجامع الهيئة الحاصلة من تقارن سكنات الأعضاء حال ثبوت كل منها فى موقعه الخاص به عند الاقعاء . فالهيئة معتبرة فى السكون مجردا عن غيره من أوصاف الجسم ويلاحظ أن المقصود دوام جلوسه لا مباشرة الجلوس عقب الوقوف لأن هذا حركة

(٢) البيتان للأُخيطل الأهوازى . وصفحة الرجل : جانب وجهه واللوثة بالضم : الاسترخاء . اعتبر الشاعر فى المصلوب سكون عنقه وسكون صفحته حال امتدادهما واعتبر مع السكون اصفرار الوجه بالموت . وتلك الهيئة موجودة فى العاشق الذى يمد عنقه وصفحته لوداع معشوق . والاصفرار من أوصاف الجسم . فالهيئة فى البيت الأول معتبر فيها غير السكون من أوصاف الجسم . ثم اعتبر فى المصلوب إلى سكون عنقه وسكون صفحته ويديه ممدودتين مفتوحتين استرخاء جسمه واصفرار لونه . وتلك الهيئة موجودة فى القائم من النعاس إذا واصل تمطيه . والهيئة هنا كالتى قبلها مقرونة ببعض أوصاف الجسم . بخلاف بيت المتنبي . وبما أنه قد شبه المصلوب بشيئين فالتشبيه لتعدد طرفه الثانى تشبيه جمع كما تقدم .

المبحث الرابع من مباحث الوجه

تقدم فى تعريف وجه الشبه أنه الصفة التى قصد اشتراك الطرفين فيها. والآن نقول: إن هذا الاشتراك قد يكون ادعائيا بتنزيل التضاد منزلة التناسب، وإبراز الخسيس فى صورة الشريف تهكما أو تمليحا: كأن تقول للجبان: أنت الأسد، وللعيي: أنت سحبان، وللبخيل: أنت حاتم (١). وإنما يظهر الغرض من تهكم أو تمليح من المقام، فان رمى المتكلم إلى السخرية والاستهزاء فتهكم، وان كان متظرفا فتمليح.

تقسيم التشبيه باعتبار الوجه

التقسيم الأول

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه الى مجمل ومفصل. فالمجمل مالم يذكر فيه وجه الشبه ولا ما يستلزمه (٢) كقوله صلى الله عليه وسلم: الحمى رائد

---

(١) فى الأطول: لعل المقصود فى مثل قولك للبخيل: أنت حاتم. أنت فى تناهى بخلك كحاتم فى تناهى جوده وكرمه. والتمليح فى أنه إنما أفاد كمال بخله فى صورة كمال جوده والتهكم فى أنه بالغ فى كمال بخله مع إراءة أنه مبالغ فى كمال كرمه

(٢) قوله ولا مايستلزمه مخرج لنحو: كلامك كالعسل فى الحلاوة، فان هذا مفصل لذكر الحلاوة التى تستلزم ميل النفس، وميل النفس هو الوجه الحقيق لا الحلاوة

الموت (١) وقوله: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٢) وقولك: بدت هند قمراً وفاحت عنبرا. ثم هو قد يكون ظاهر الوجه يستوى فى إدراكه العامة والخاصة كهذين المثالين، وقد يكون خفيه فلا يدركه إلا الخاصة كقول الأنمارية فاطمة بنت الخُرْشُب حين سئلت: أى بنيك أفضل؟ هم كالحلقة المُفْرَغة لا يدرى أين طرفاها. فقد شبهتهم بالحلقة فى التناسب الكلى الذى لا تفاوت فيه، وإن كان هذا التناسب فى المشبه تناسبا فى الشرف وفى المشبه به تناسبا فى الصورة، وهذا أمر دقيق لا يدركه إلا الخاصة. وقولها: لا يدرى أين طرفاها حال من المشبه به وهو الحلقة فهو صفة خاصة بها لا تصلح لأن تكون وجه شبه وإن أشعرت بالوجه، لأن الوجه صفة مشتركة بين الطرفين وهذه فى أحدهما دون الآخر. ومن هذا تفهم أنه لا يمنع إجمال التشبيه أن يوصف أحد الطرفين أو كلاهما بوصف يشعر بالوجه كما فى هذا المثال

---

(١) نص الحديث: «الحمى رائد الموت وهى سجن الله فى الأرض يحبس فيها عبده إذا شاء ويرسله إذا شاء» وفيه تشبيهان أحدهما الحمى رائد الموت شبهها برائد الحى الذى يتقدمهم فيرتاد لهم مساقط السحاب ومنابت الأعشاب. وبذلك جعل الحمى مقدمة للموت وطليعة للحتف. وثانيهما وهى سجن الله فى الأرض: شبهها بالسجن من حيث منعت صاحبها من التصرف والاضطراب، وعقلته عن قضاء الآراب فكان أسيرها حتى تطلقه، ورقيقها حتى تعتقه

(٢) شبه الدنيا بالسجن للمؤمن من حيث إنه قصَّر فيها خطوه عن اللذات. وكبح جماحه عن الشهوات. وشبهها بالجنة للكافر من حيث إنه استوعب فيها شهواته. واستفرغ لذاته. وقضى فيها الأوطار. وتعجل المسار

وكقوله صلى الله عليه وسلم : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم (١) » . وكأن تقول : رأيت اليوم كالسحاب رجلا يعم نفعه وكالأسد إنسانا يهابه من يحدثه . وكما قال زياد الأعجم :

فانا وما تلقى لنا أن هجوتنا ... لكالبحر مهما تلق فى البحر يغرق (٢)

أو كما قال النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سُورة ... ترى كل مَلْك دونها يتذبذب

فانك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب (٣)

أو كما قال أبو تمام :

---

(١) مثال لما وصف فيه المشبه . ووجه الشبه فى الحديث الهداية فالأصحاب يهتدى بهم فى أمور الدين . والكواكب يهتدى بها فى ظلمات الليل

(٢) مثال لما وصف به المشبه به . وأن هجوتنا مصدر مؤول من أن والفعل والأصل بهجائك إيانا . شبه زياد حال قومه إذ يرميهم المخاطب بالنقيصة . فلا تضرهم ولا يظهر لها فيهم أثر بحالة البحر . فانه لعظمته لا يتأثر بما يلقى فيه ولا يتغير به بل يخفيه فى باطنه . والوجه أن كلا من الطرفين من العظمة والقوة بحيث لا ينال منهما وإنما ينالان من غيرهما .

(٣) مثال لما وصف فيه المشبه به لأن قوله : إذا طلعت صفة للشمس . ولم يرد النابغة تشبيه الممدوح بالشمس والملوك بالكواكب وإنما أراد تشبيه حال الممدوح مع الملوك من حيث تفوقه وظهوره عليهم وغضه من سطوتهم . بحال الشمس مع الكواكب من حيث ظهورها عليها وإخفاؤها لها ولأضوائها . بجامع ما فى كل من الطرفين من اختفاء الصغير بجانب الكبير وظهور أثر الكبير وفضله . والغرض من التشبيه تقرير الحالة المفهومة من البيت الأول . أو بيان مقدارها . والسورة بالضم : المنزلة الرفيعة ويتذبذب : يضطرب

صدفتُ عنه ولم تصدف مواهبه عني وعاوده ظني فلم يخب
كالغيث إن جئته وافاك رَيّقُهُ وإن ترحلت عنه لج فى الطلب (١)

وقصارى القول : أن المجمل منه ما هو خفي الوجه ، ومنه ما هو ظاهره ؛ ومنه ما وصف فيه أحد الطرفين أو كلاهما بوصف يشعر بوجه الشبه ، ومنه ما ليس كذلك.

والمفصل ما ذكر فيه وجه الشبه أو ملزومه (٢) ؛ فالأول كقول أبى بكر الخالدى :

ياشبيه الوجه حسنا وضياء ومَنالا

وقول ابن الرومى :

ياشبيه البدر فى الحسن وفى بعد المنال (٣)

والثانى كقولهم فيما سهل وخف سمعه من القول : ألفاظه كالعسل فى الحلاوة . وقولهم فى الحجة اليقينية : حجة كالشمس فى الظهور ، فان الوجه

(١) صدف بمعنى أعرض من بابى جلس وضرب وريق كل شيء : أفضله . وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة على ذلك المادح أعرض عنه أو أقبل عليه . ثم وصف الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه . وكل من الوصفين يشعر بوجه الشبه وهو الافاضة فى حالتى الطلب وعدمه وحالتى الاقبال والاعراض

(٢) لأن وجه الشبه الحقيقى فى قولك : كلامك كالعسل هو ميل الطبع وميل الطبع لازم من لوازم الحلاوة فالحلاوة ملزومة له

(٣) من المثالين تتبين أن وجه الشبه قد يكون مجرورا بفى . وقد يكون منصوبا على التميز . وأنه خال مما يرده إلى أحد الطرفين ، كما رد الضمير الوصف إلى أحدهما فى الأمثلة السابقة

الحقيق فى الأول لازم الحلاوة وهو ميل الطبع ، وفى الثانى لازم الظهور وهو إزالة الحجاب ، لأن كلا منهما هو المشترك بين الطرفين لا الحلاوة ولا الظهور [1]

التقسيم الثانى باعتبار الوجه

وينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضا إلى تشبيه تمثيل ، وتشبيه غير تمثيل .

تشبيه التمثيل

فتشبيه التمثيل عند الجمهور ما كان وجه الشبه فيه وصفا منتزعا من متعدد حسيا كان كما مر فى تشبيه الثريا بعنقود الملاحية وتشبيه مثار النقع والأسياف بليل تهاوى كواكبه ، أو غير حسى كما مر فى تشبيه مثل اليهود بمثل الحمار . أما السكاكى فقيده بأن يكون غير حقيق وهذا يقتضى

---

(١) قال ابن يعقوب فى المواهب : يحتمل أن يكون كل من الحلاوة والظهور وجه شبه تخييليا على ماسبق فى تعريف وجه الشبه بل هو الأقرب لأن الأول قد يعترض عليه فيقال : إن كان ذكر الحلاوة (مثلا) من التعبير عن الملزوم باللازم كما هو ظاهر كلامهم كان من المجاز ولا تسامح فيه ، لأنه قد ذكر الوجه المقصود الذى هو ميل النفس أو الظهور معبرا عنه بلفظ ملزومه ، وإن كان غير ذلك فهو خطأ إذ لا واسطة بين المجاز والحقيقة غير الخطأ ولا ينبغى حمل الكلام الفصيح على الخطأ اه بتصرف

إخراج ما كان وجهه مركبا حسيا أو مركبا عقليا من تشبيه التمثيل . غير أنه مثل له بأمثلة مثل بها غيره للعقلى ، ففسروا قوله غير حقيق بغير حسى ليدخل فيه العقلى والوهمى .

أما الجرجانى فى أسرار البلاغة فذهب إلى أنه يشترط فى التمثيل ألا يكون الوجه المركب حسيا بل عقليا أو اعتباريا وهميا . وقال : ليس كل تشبيه تمثيلا ، فأنت تقول فى قول قيس بن الخطيم :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى   كعنقود ملاحية حين نورا

إنه تشبيه ولا تقول إنه تمثيل ، وكذلك تقول : ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها ، لأنك تعنى تشبيهه المبصرات بعضها ببعض كقوله :

كأن عيون النرجس الغض حولها   مداهن در حشوهن عقيق

وعليه فليس من تشبيه التمثيل قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

هذا وتشبيه التمثيل أبلغ من غيره لما فى وجهه من التفصيل الذى يحتاج إلى إمعان فكر وتدقيق نظر . قال الجرجانى : والتشبيه الذى هو أولى بأن يسمى تمثيلا ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو أكثر ، حتى إن التشبيه كلما كان أوغل فى كونه عقليا محضا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر [١] ألا ترى إلى نحو قوله تعالى : « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض مما يأكل الناس والأنعامُ حتى إذا أخذت الأرضُ زُخْرُفَها وازَّينتْ وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أَمْرُنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن

---

(١) مراده كانت الحاجة إلى جملة من الكلام أكثر

بالأمس [١] » . كيف كثرت الجمل فيه حتى إنك ترى فى هذه الآية عشر جمل إذا فصلت . وهى وإن كان قد دخل بعضها فى بعض حتى كأنها جملة واحدة ، فان ذلك لا يمنع من أن تكون صورة الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدة واحدة . ثم إن الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ؛ حتى إنك لو حذفت منها جملة فى أى موضع أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه » ثم قال : « وقد يجىء الشىء من هذا القبيل فيتوهم فيه أن إحدى الجملتين أو الجمل تنفرد وتستعمل بنفسها تشبيها وتمثيلا ، ثم لا يكون كذلك عند حسن التأمل مثال ذلك قوله :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامةٌ ... فلما رأوْها أقشعتْ وتجلّت [٢]

هذا مثل فى أن يظهر للمضطر إلى الشىء الشديد الحاجة إليه أمارة

(١) المشبه حال الدنيا فى إقبالها وزهرتها ونضرتها وغرور الانسان بها ورغبته فيها وتعلقه بها وإسراع الزوال إليها ، والمشبه به هيئة النبات وقد اختلط به الماء ، فنما ونضر وزين الأرض حتى تعلق به أصحابه وطمعوا فيه ، وظنوا أنه أصبح بمنجاة من الآفات — إذا هو يَيْبَس ويزول كأن لم يكن . ووجه الشبه أن كلا منهما ينشأ وينمو ويزهو حتى يكون فى حالة تسر وتغر ثم لا يلبث أن يزول

(٢) شبه الشاعر حال امرىء ظهر له شىء هو فى شدة الحاجة إلى ما فيه ، فطمع فى أن يحصل على حاجته وفرح بذلك فلم يلبث أن عدم ذلك الشىء ، فيئس منه راجيه وحزن ، بحالة قوم ظهرت لهم غمامة وهم فى شدة الحاجة إلى ما رجوا فيها من الماء لعطشهم الشديد فسروا بها وقد توقعوا الخير منها وتهيئوا لأن يشربوا ، ولكن سرعان ما تفرقت وذهبت فعاودهم الحزن واليأس . ووجه الشبه وقوع ابتداء مطمع مؤنس متصل بانتهاء موحش مؤيس مع شدة الحاجة إلى ذلك المطمع .

وجوده ثم يفوته ويبقى لذلك بحسرة وزيادة ترح. وقد يمكن أن يقال إن قولك أبرقت قوما عطاشا غمامة تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة له إلى ما بعده من تمام البيت فى افادة المقصود الذى هو ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه إلا أنه وإن كان كذلك فان حقنا أن ننظر فى مغزى المتكلم فى تشبيهه، ونحن نعلم أن المغزى أن يصل ابتداء مطمعا بانتهاء مؤيس، وذلك يقتضي وقوف الأولى على ما بعدها من تمام البيت. ونظير هذا أن الشرط والجزاء جملتان، ولكن حكمهما حكم جملة واحدة من حيث أنه دخل فى الكلام معنى يربط إحداهما بالأخرى، حتى صارت الجملة منهما بمنزلة الاسم المفرد فى امتناع أن تحصل به الفائدة » اه

وتشبيه التمثيل أعظم أثرا فى المعانى، فهو يرفع من قدرها، ويضاعف قواها فى تحريك النفوس لها، وقسر الطباع أن تعطيها قبولا ورغبة، فان كان مدحا كان أوقع، أو ذما كان أوجع، أو برهانا كان أسطع وهكذا فمن المدح قوله:

فتى عيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا(١)

وقول البحترى:

دان على أيدى العفاة وشاسع عن كل ند فى الندى وضريب

---

(١) رتعت الماشية أكلت ما شاءت وبابه خضع. والمرتع اسم المكان منه شبه الممدوح وقد بلغ من سخائه وكثرة عطائه أن بقى الناس بعد موته ينتفعون بمعروفه ويتمتعون به بالسيل يغمر الأرض ثم يذهب فلا يلبث أن يصير مجراه مرتعا للماشية ترعى فيه ما تشاء، بجامع أن كلا منهما قد زال وبقى أثره النافع المحمود .

كالبدر أفرط في العلو وضوءه ... للعصبة السارين جد قريب (١)

ومن الذم قول الآخر :

رأيتكمُ تُبدون للحرب عُـدّةً ... ولا يمنع الأسلاب منكم مُقَاتِلُ

فأنتم كمثل النخل يشرع شوكه ... ولا يمنع الخراف ما هو حامل (٢)

غير التمثيل

وغير التمثيل عند الجمهور ما كان وجه الشبه فيه واحدا أو متعددا . أما عند الجرجاني فهو ما كان الوجه فيه واحدا أو متعددا ، أو هيئة حسية منتزعة من متعدد ، وقد تقدمت الأمثلة

التقسيم الثالث للتشبيه باعتبار الوجه

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضا إلى قريب مبتذل ، و بعيد غريب .

فالقريب المبتذل ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر ، لظهور وجهه بادىء الرأي : كتشبيه الرجل بالأسد والعيون بالنرجس والحسن الوجه بالقمر . وأسباب ظهوره ثلاثة :

أولها كونه أمرا جمليا بأن كان واحدا لا تعـــدد فيه ولا تركيب ،

---

(١) شرع شوكه ظهر ، وشرعه هو بينه وأظهره. وخرف الثمار من باب نصر إذا اجتناها. شبههم في عجزهم عن الاحتفاظ بما في أيديهم مع توافر عددهم الحربية بالنخل على كثرة شوكه لا يمنع الجناة من جنى ثمره ، بجامع الضعف مع توافر أسباب القوة في كل .

(٢) تقدم شرحها في الكلام على أغراض التشبيه .

كالأمثلة الثلاثة السابقة ، فان إدراك الجملة أسبق إلى النفس من إدراك التفصيل ، فأنت ترى صورة من بعد فتدرك أنها جسم ، ثم تدرك أنها حيوان ، ثم تدرك أنها إنسان ، ثم تدرك أنها امرأة ، وكذا إذا تكرر صوت على سمعك أو كررت أنت ذوق شيء ما ، فانك تدرك منهما ثانيا مالم تدركه أولا .

ثانيها أن يكون فيه تفصيل قليل ، ولكنه مما يغلب فيه حضور المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما كتشبيه البرقوق بالعنب فى حجمه ولونه ، فمع هذا التفصيل يكون التشبيه قريبا لقرب المناسبة بين الطرفين : لأنهما معا من جنس الفاكهة يوجدان فى زمن واحد ، وسوق [1] واحد . ومثله تشبيه الجرة بالكوز فى المقدار والشكل ، فغلبة الحضور فى الذهن تعارض التفصيل الذى من شأنه أن يوجد الغرابة

ثالثها أن يكون فيه تفصيل قليل ، ولكنه مما يغلب حضوره فى الذهن مطلقا لكثرة تكرره على الحس نحو : أنت كالقمر فى الرفعة والهداية ، والشمس كالمرآة المجلوة فى الاستدارة والاستنارة ، فتكرره على الحس يعارض التفصيل كذلك .

هذا ومن شأن الغريب أن يتناوله العامة والخاصة ، ومتى كان قريب التناول عد قريبا مبتذلا وان لم يتداوله العامة ، كما أن كثرة التداول لاتخرج الغريب عن غرابته ، لأن تداوله إنما هو بين خاصة الأدباء .

والغريب البعيد مالا ينتقل فيه الذهن من المشبه الى المشبه به إلا بعد فكر وتدقيق نظر لخفاء وجهه بادىء الرأى

---

(١) السوق يذكر ويؤنث كما فى المصباح

اسباب الخفاء

الأول : ندرة حضور المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما كقوله تعالى : « والقمرَ قَدَّرْناه منازل حتى عاد كالعُرجون القديم » . فالقمر فى السماء ، والعرجون فى الأرض ، وهذا من الأشجار ، والقمر من الكواكب ، والعرجون شىء تافه لا تكاد تظهر له فائدة ، والقمر مثال العلو والهداية والجمال ، فاذا حضر القمر فى الذهن لا يكاد العرجون يخطر بالبال وإن كان تكرره على الحس كثيرا لبعد المناسبة بينهما . وكقول الشاعر :

ولا زَوَرْدِيَّةٍ تزهو بزرقتها   بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوقَ قامات ضعفن بها   أوائلُ النار فى أطراف كبريت (١)

---

(١) لازوردية بكسر الزاى المعجمة وفتح الواو وسكون الراء صفة لمحذوف أى رب أزهار من البنفسج لازوردية . نسبها الشاعر إلى الحجر المعروف باللازورد لكونها على لونه فهى نسبة تشبيهية . وقوله حمر اليواقيت من إضافة الصفة إلى الموصوف أى اليواقيت الحمر . قيل اليواقيت هنا حقيقة ، وقيل استعارة أراد بها الأزهار الحمر ، وهذا هو الذى يناسب البنفسج ، ويناسب قوله بين الرياض . والمشبه صورة نور البنفسج الأزرق وهو على تلك القامات ، والمشبه صورة النار فى أطراف الكبريت أول شبوبها ، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من تعلق أجرام صغيرة لطيفة ذات لون مخصوص على شكل مخصوص بجرم دقيق يخالفها لونا . قال الجرجانى فى أسرار البلاغة تعليقا على هذين البيتين ما نصه : « إن لتصور الشبه من الشىء فى غير جنسه وشكله والتقاط ذلك له من غير محلته واجتلابه إليه

فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها فى الذهن مطلقا ؛ لأنها مما يتكرر على الحس ، وإنما النادر حضورها فيه عند حضور المشبه .

الثانى : ندور حضور المشبه به فى الذهن مطلقا (١) لكونه وهميا ، أو خياليا ، أو قليل التكرر على الحس ، كالذى مضى من تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت على رماح من زبرجد ، وتشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال ، وتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل ، فقد ينقضى عمر الانسان ولا

من النيق البعيد بابا من الظرف واللطف ومذهبا من مذاهب الاستحسان . وأنت إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعدين الشيئين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب ، وموضع الاستحسان أن ترى الشيئين مؤتلفين مختلفين ، وترى الصورة الواحدة فى الأرض والسماء ، وفى خلقة الانسان وخلال الروض ، ولذلك تجد تشبيه البنفسج فى قول ابن المعتز : ولازوردية (البيتين) أغرب وأعجب من تشبيه النرجس بمداهن در حشوهن عقيق ، لأنه إذ ذاك مُشبِّه لنبات غض يرف وأوراق رطبة ترى الماء منها يشف بلهب نار فى طرف جسم استولى عليه اليبس . ومبنى الطباع وموضوع الجبلة أن الشىء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه كانت صبابة النفوس به أكثر ، وكان بالشغف منها أجدر . ولو أنه شبه البنفسج ببعض النبات أو صادف له شبها فى شىء من المتلونات لم تجد له هذه الغرابة ، ولم ينل من الحسن هذا الحظ اهـ

(١) لما كان وجه الشبه مشتركا بين الطرفين كان تصوره فيهما متوقفا على تصورهما ، لينتقل الذهن منهما إلى تصوره ، فاذا كان المشبه به نادر الحضور فى الذهن لزم أن يكون الوجه نادر الحضور كذلك تبعا له .

يرى مرآة فى كف أشل ، وإن رآها مرة فلا يراها ثانية .

الثالث كثرة التفصيل كما مر من تشبيه الثريا بعنقود الملاحية ، ومثار النقع والأسياف بليل تهاوى كواكبه، ومَثَل اليهود بمثل الحمار ؛ والشمس بيوتقه محماة فيها ذهب ذائب ، وإقعاء الكلب بجلوس البدوى المصطلى .

هذا وأحد الأسباب الثلاثة . كاف فى الغرابة ؛ ولكن قد يجتمع فى التشبيه غير واحد منها ، كما فى تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل فقد اجتمع فيه الندور وكثرة التفصيل .

والمراد بالتفصيل إدراك الخصوصيات وكثرة الاعتبارات . ولا يشترط فيه أن يكون الوجه هيئة اعتبارية بل يكفى أن يكون متعددا ، ولكن الهيئة أكثر حاجة إلى الفكر وتدقيق النظر (١) لما فيها من ترتيب المعانى وارتباط بعضها ببعض ، وكلما كثر التفصيل كان التركيب أوغل

(١) تدقيق النظر فى الوجه قد يكون بعد حضور الطرفين فى الذهن لمعرفة كنهه ومقداره وهل هو تام حسن فيهما ، وهذا يقتضى كثيرا من التأمل ، وقد يكون قبل حضور المشبه به فى الذهن ، فاذا بحث للمشبه عن نظير ليس من واديه فعثر عليه كان الوجه ظاهرا . حكى أن جريرا قال أنشدنى عدى بن الرقاع (عرف الديار توهما فاعتادها) فلما بلغ إلى قوله (تزجى أغن كأن إبرة روقه .) رحمته وقلت : ما عساه يقول وهو أعرابى جلف فلما قال : قلم أصاب من الدواة مدادها . استحالت الرحمة حسدا ، ذلك أن جريرا رآه ذكر ما لا يحضر له أول الفكر شبه وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف . شبه « عدى » هيئة الروق (وهو القرن) وقد دق طرفه واسود وغلظ باقيه غير الأسود بهيئة قلم مبرى قد اسودت شباته بما أصابها من المداد فخالفت باقيه لونا ونحافة . ووجه الشبه أن

فى الغرابة، ولو كان المشبه به مما يغلب حضوره فى الذهن.

والمهم فى التفصيل أن ينظر لأكثر من وصف: إما لشىء واحد كما تقدم فى تشبيه الثريا بعنقود الملاحية فى تشبيه المفرد بالمفرد، وإما لشيئين أو أكثر كما فى تشبيه المركب بالمركب كبيت بشار، بحيث يعتبر فى تلك الأوصاف وجودها جميعا كالمثالين المذكورين، أو عدمها جميعا كقول الشاعر:

رُبَّ حى كميّت ليس فيه ... أملٌ يُرْتَجى لنفع وضُرِّ

وعظامٍ تحت التراب وفوق الأ ... رض منها آثار حمد وشكر

فان وجه تشبيه الحى بالميت عدم القدرة فى كل منهما على النفع وعلى الضر، أو وجود بعضها دون بعض كما سيأتى. فالتفصيل يقع على وجوه كثيرة أعرفها

(١) أن تأخذ بعضا وتدع بعضا كقول امرىء القيس:

حَمَلتُ رُدَيْنيا كأن سنانه ... سنا لهب لم يتصل بدخان

شبه سنان الرمح باللهب ذى السنا، فاعتبر فى كل منهما شكله المخروطى الدقيق الطرف وزرقته الصافية ولمعانه، وقصد أن ينفى الدخان عن السنا تحقيقا للتشبيه، إذ ليس فى رأس السنان ما يشبه ذلك الدخان، ولو لم ينفه لقام بالنفس أن فى الأصل شيئا يقدح فى حقيقة

كُلًّا جرم أسود دقيق فى نهاية جسم مستطيل يخالفه لونا ودقة، فالتشبيه مركب الطرفين والوجه وكل منهما حسى، أو هو مقيد الطرفين، واعتادها: أعاد النظر فيها. وترجى أى تسوق

التشبيه وهو الدخان ، وتحقيق التشبيه بهذه الصورة لا يأتى على البديهة .
وكقوله :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحُلنا الجزع الذى لم يُثَقَّبِ

شبه مفردا حسيا هو عيون الوحش بمثله وهو الجَزْع الذى لم يثقب.
والوجه اتحادهما فى الشكل مع اجتماع لَوْنَى السواد والبياض (١) . وأتى بقوله لم يثقب لتحقيق التشبيه ، لأن الجزع إذا كان مثقبا يخالف العيون فى الشكل بعض المخالفة لأنها لا تثقيب فيها وقد قال علماء البلاغة : إن تحقيق التشبيه يزيد الكلام حسنا .

(٢) أن تعتبر الجميع كقول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاحية حين نورا

فانه اعتبر فى كل من الطرفين الشكل والمقدار واللون واجتماعها على المسافة المخصوصة فى القرب ، ثم اعتبر مثل ذلك فى العنقود.

التشبيه البليغ

التشبيه البليغ ما كان بعيدا غريبا (٢) ؛ ذكرت الأداة أم لا ، لما هو

---

(١) الجزع بفتح الجيم خرز فيه بياض وسواد تشبه به الأعين قال الأصمعى : الظبى والبقرة الوحشية إذا كانا حيين فعيونهما كلها سوداء فاذا ماتا بدا بياضها فأشبهت الجزع .

(٢) قد يقال إن الغرابة منشؤها خفاء الوجه بادىء الرأى . وكيف يكون خفاء الوجه سببا لبلاغة التشبيه مع أن عدم الظهور ضرب من التعقيد ، والتعقيد ينافى البلاغة ؟

مركوز فى الطبع من أن الشىء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى، وموقعه فى النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعانى بالجوهر فى الصدف لا يبرز إلا أن تشقه عنه، وبالحبيب المتحجب لا يريك وجهه حتى تستأذن! وقديما قيل:

والجواب أن التعقيد إما لفظى وإما معنوى، والأول سببه سوء ترتيب الألفاظ والثانى سببه اختلال الانتقال من المعنى الوضعى إلى المعنى المجازى. أما سبب الخفاء فى التشبيه فلطف المعنى ودقته، أو ترتب بعض المعانى على بعض كقوله تعالى: «إنما مَثَل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض مما يأكل الناس والأنعامُ» الآية. فهو خفاء غير دائم، كما يشعر به قولنا بادىء الرأى. وتعريف البليغ بهذا هو رأى الجرجانى وشراح التلخيص وكثيرين غيرهم.. وقال ابن قيم الجوزيه فى كتاب الفوائد: والشرط الذى لا يكون التشبيه حسنا إلا به هو أن يكون التشبيه جليا، ويكون بحال يتبادر الذهن إليه وإلى إدراكه، ولا يحتاج إلى إطالة فكرة ولا إمعان نظر، فان الغرض من التشبيه بيان حسن موقع التشبيه، وظهور مزية المشبه بحسن حال المشبه به أو قبحه، ولذلك هجنوا تشبيه من شبه الشمس بالمرآه فى كف الأشل، وكتشبيه البرق بأصبع السارق فى قول بعضهم:—

أرقتَ أم نمتَ لضوء بارق مؤتلقا مثل الفؤاد الخافق كأنه إصبع كف سارق اهـ

ولا أدرى من الذى هجن تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل كما لم أر هذا الرأى لغير ابن قيم الجوزية.

وزاده كلفا في الحب أن مَنَعَتْ   وَحَبَّ شيئا إلى الانسان مامنعا (١)

أما إطلاق البليغ على التشبيه الذى حذفت أداته إطلاقا شائعا فطريقة لبعضهم. والمراد بالبليغ هنا ما بلغ درجة القبول لحسنه، أو المراد به اللطيف الحسن، من البلاغة بمعنى الحسن واللطف مجازا، لا من البلاغة بمعنى مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وقد يتصرف في التشبيه القريب بما يجعله غريبا، كقول المتنبي:

لم تلق هذا الوجه شمسُ نهارنا   إلا بوجه ليس فيه حياء

أراد أن يشبه الوجه بالشمس فعكس التشبيه وجعله ضمنيا، أو نفاه ونزل الشمس منزلة من يرى ويستحي فكساه صورة تستوقف النظر وتستدعى مزيد التأمل.

ومن هذا التشبيه المشروطُ وهو أن تشبه شيئا بشيء لو كان بصفة كذا ولولا أنه بصفة كذا كقوله: أشبه وجه مولانا بالعيد لو كان العيد تبقى ميامنه وتدوم محاسنه. وقوله: وجه كالشمس لولا كسوفها، والقمر لولا خسوفه. وقول البديع:

يكاد يحكيك صوبُ الغيث منسكبا   لو كان طلقَ المحيّا يُمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمسُ لو نطقت   والليثُ لو لم يُصَد والبحرُ لو عَذُبا

وقول الآخر:

عزماته مثلُ النجوم ثواقبا   لو لم يكن للثاقبات أفول

(٢) حب: فعل ماض فاعله مستتر وجوبا مميز بكلمة «شيئا» بعده. وما هو المخصوص. كما فى لسان العرب. ويرويه بعض النحاة «وحب شيء» على أن «حب» اسم تفضيل حذفت همزته كخير وشر.

والشرط قد يكون فى المشبه كما فى بيتى البديع، وقد يكون فى المشبه به كما فى باقى الأمثلة، وقد يكون فيهما كقوله: زيد فى علمه بالأمور إذا كان يقظان كعمرو فى علمه بها إذا كان غافلا.

ومنه تشبيه التفضيل وهو أن يشبه المتكلم شيئا بشىء ثم يرجع فيرجح المشبه على المشبه به كقوله:

حسبت جماله بدرا منيرا   وأين البدر من ذاك الجمال

وقول الآخر:

من قاس جدواك بالغمام فما   أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت إذا جدت ضاحك أبدا   وذاك إن جاد دامع العين

ومن القريب الذى صار غريبا قول البحترى:

فى طلعة البدر شىء من محاسنها   وللقضيب نصيب من تثنيها

فقد جرت العادة أن تشبه الوجوه الحسنة بالبدور، ولكن البحترى عكس، فشبه البدر بها مبالغة فى محاسنها وتعظيما لشأنها، ثم أشار بقوله شىء إلى أن البدر لم يستوف محاسنها، وهى مبالغة أخرى، ثم جعل التشبيه مكنيا وهكذا يكسبه نوعا من الخفاء. وما قيل فى الشطر الأول يقال نظيره فى الشطر الثانى.

والتشكيك أيضا يخرج التشبيه من الابتذال إلى الغرابة كقول زهير:

وما أدرى وسوف إخال أدرى   أقوم آل حصن أم نساء

وقد يخرج التشبيه القريب إلى الغرابة والبعد، بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله:

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد
خمر ودر وورد ريق وثغر وخد

شواهد من الايضاح

(١) إذا أخو الحسن أضحى فعله سَمِجا رأيت صورته من أقبح الصور
وهبه كالشمس فى حسن ألم ترنا نفر منها إذا مالت إلى الضرر (١)

(٢) بذل الوعد للأخلاء سمحا وأبى بعد ذاك بذل العطاء
فغدا كالخلاف يُورق للعـين ويأبى الأثمار كل الاباء (٢)

(٣) وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيبُ عَرْف العود (٣)

---

(١) لابن لنكك البغدادى . سمج كقبح معنى ووزنا فهو سمج كضخم أو سمج كخشن . المشبه الضمير فى هبه العائد على أخى الحسن والمشبه به الشمس . شبه من حسنت صورته وقبح فعله فكرهه الناس ونبذوه بالشمس يفر منها الناس على جمالها إذا اشتد حرها وخيف ضررها ، بجامع أن كلا يهجر ويكره لأذاه وإن حسن منظره. وقد جاء به القزوينى شاهدا على أن التمثيل بالمحسوس يزيد المعنى قوة تمكين ، ويحرك قوى النفس إلى المقصود وهو الذم هنا .

(٢) الخلاف : الصفصاف . شجر يورق ولا يثمر . شبه من وعد امرأ أن يقضى حاجته فسره بذلك الوعد ثم لم ينجز بشجر الخلاف يسر منظره ولا ثمر فيه بجامع أن كلا منهما يخالف مظهره مخبره .

(٣) لو وقف أبو تمام عند نهاية البيت الأول لأمكن أن يخالف فى دعواه ، فلما جاء بالبيت الثانى قوى مدعاه ، واستكمل المعنى فى النفس فضله ونبله ، واستحق التقديم

كله . شبه حال صاحب الفضيلة الذى يظهر فضله على لسان حسود يحاول أن ينال منه بالعود لا تفوح ريحه إلا بالاشتعال، والجامع ما فى كل من ترتب النفع على محاولة الضرر . وقد جعل الحسود كالنار وصاحب الفضيلة كالعود ، وهذا تشبيه ضمنى ويسمى أيضا مكنيا لأنه مدلول عليه باللازم كما قالوا فى قول المتنبى :

فان تفق الأنام وأنت منهم فأن المسك بعض دم الغزال

إن التشبيه مدلول عليه باللازم لأنه ذكر فى الكلام لازم التشبيه وهو وجه الشبه أعنى فوقان الأصل وأراد الملزوم وهو التشبيه . قيل وإنما سمى ضمنيا لأنه يفهم من الكلام ضمنا لا صراحة . وقال صاحب المثل السائر فى الفرق بينه وبين التشبيه ، الصريح: إن التشبيه الذى يرد على وجهه المثل المضروب يشكل فيه تقدير الأداة على غير العارف بهذا الفن كقول الفرزدق :

ما ضر تغلب وائل أهجوتها أم بلتَ حين تناطح البحران

فشبه هجاء جرير تغلبَ وائل ببولة فى مجمع البحرين ، فكما أن البول فى مجمع البحرين لا يؤثر شيئا ، كذلك هجاء جرير هؤلاء القومَ لا يؤثر شيئا . وهذا البيت من الأبيات التى أقر الناس لها بالحسن وكذلك قوله :

قوارص تأتينى وتحتقرونها وقد يملأ القَطْرُ الأناءَ فَيفْعَمُ

فأنه شبه تلك القوارص التى تأتيه فتحتقر بالقطر الذى يملأ الأناء على صغر وحداته يشير بذلك إلى أن الكثرة تجعل الصغير من الأمر كبيرا . وفى البيت أيضا استعارة لفظ القوارص عما يؤذى الجسم من نحو البعوض والبق للكلمات المؤلمة . والتشبيه الضمنى يتفق مع الصريح فى أغراضه فتقول . أخذ سواده من الغراب ، وهؤلاء سلبن الظباء عيونها ، وأخذ فلان من القرد صورته ، وهكذا . وهو فى معناه أبلغ من الصريح

(٤) قال أبو تمام يعزى ابن طاهر فى ابنين له ماتا صغيرين فى يوم واحد وقد هوى أحدهما من سطح وتردَّى الآخر فى بئر :

لهفى على تلك الشواهد فيهما　　لو أمهلت حتى تصير شمائلا
لغدا سكونهما حجا وصباهما　　حلما وتلك الأريحية نائلا
ولأَعْقَبَ النجمُ المُرذُّ بديمة　　ولعاد ذاك الطل جَوْدا وابلا
إن الهلال إذا رأيت نموه　　أيقنت أن سيصيرُ بدراً كاملا (١)

(٥) كأن انتضاء البدر من تحت غيمه　　نجاء من البأساء بعد وقوع (٢)

(٦) حلفت فلم أترك لنفسك ريبة　　وهل يأثَمَن ذو إمة وهو طائع

---

(١) الشواهد: ما كان يرى فيهما من الآثار الدالة على ترقيهما فى مراتب الشرف . والامهال التأخير . والشمائل الأخلاق جمع شمال ككتاب . وأعقب بالشىء أتى به فى عقبه وأرذت السماء : جاءت برذاذ أى مطر رقيق فوق الطل . وجاد المطر جودا : وبَلَ . يقول لو أمهل هذان الولدان لنميا جسما وعقلا وخلقا حتى بلغا الكمال تدريجا ، ثم مثل لدعواه بالهلال يبدو صغيرا ثم ينمو تدريجا حتى يصير بدرا كاملا . والمشبه الشواهد التى لو أمهلت لصارت شمائل فهو مفرد مقيد . والمشبه به الهلال ينمو حتى يصير بدرا . ووجه الشبه أن كلا يبدو صغيرا ثم ينمو تدريجا حتى يكمل .

(٢) أراد بالانتضاء الانكشاف والظهور . مصدر انتضى السيف من غمده . والنجاء الخلاص مصدر نجا ينجو . شبه انتضاء البدر من تحت غيمه وهو من الصور المرئية بالنجاء من البأساء بعد الوقوع فيها وهو من الصور المعنوية ، لأن هذا المعنى وضح وضوحا تاما وقرب من النفوس كثيرا ، فألحق بالأمور المحسوسة فى وضوحها . ووجه الشبه التخلص من حالة إلى حالة أفضل منها فهو مركب .

لـكلفتني ذنبَ امرىء وتركْتَه كذى العُرّ يكوى غيره وهو راتع(١)

(٧) ترى أحجاله يصعدن فيه صعود البرق فى الغيم الجهام (٢)

(٨) غدا والصبح تحت الليل باد كطِرْفٍ أشهبٍ مُلْقَى الجِلاَل (٣)

---

(١) الأمة : الدين بضم الهمزة وكسرها والعر : الجرب . وكانت العرب إذا مرض به بعض إبلها تكوى الصحاح لئلا تعديها المراض . فشبه الشاعر حاله وقد أخذ بجرم غيره الذى نجا بحال الابل يصاب بعضها بالجرب فيكوى السليم ويترك الأجرب ، بجامع الهيئة الحاصلة فى كل من أخذ البرىء بجرم المسىء مع نجاة هذا المسىء ، فكل من الطرفين والوجه مركب ، ولهذا كان التشبيه بليغا لما فى الوجه من التفصيل .

(٢) للبحترى يصف فرسا محجلا — والأحجال جمع حجل وهو بياض فى قوائم الفرس. شبه هيئة اختلاط بياض الأحجال بسواد القوائم بهيئة اختلاط البرق بسواد الغيم ، بجامع أن كلا هيئة حاصلة من اجتماع لونين مختلفين . والشاهد فيه تشبيه المركب بالمركب .

(٣) الطرف : الفرس الكريم . والأشهب : الأبيض . يصف غاديا بأنه لا ينتظر إلى أن يزول الظلام كله ، بل يغدو ويسير والصبح يلوح من وراء الليل ، كفرس أشهب قد ألقى عليه جله فيلوح بياضه من تحته . شبه الهيئة الحاصلة من الظلمة وضوء الصبح مجتمعين بالهيئة الحاصلة من بياض الحصان وسواد الجلال مجتمعين ، بجامع أن كلا منهما هيئة حاصلة من اجتماع لونين مختلفين أحدهما أكثر من الآخر ، فهو من تشبيه مركب بمركب من النوع الذى لا يصح تحليله وتشبيه كل جزء من طرف بما يقابله من الطرف الآخر ، فلو شبه الليل بالجلال لم يكن شيئا وقيل إنه من تشبيه المقيد بالمقيد والأول أجود

(٩) كأنا وضوءُ الصبح يستعجل الدجى ... نُطير غرابا ذا قَوادمَ جُونِ (١)

(١٠) وكأنما أدهمُ الاظلام حين نجا ... من أشهب الصبح ألقى نعلَ حافره (٢)

(١) البيت لابن المعتز. والدجى: الظلمات جمع دجيه وقوادم الطير: مقاديم ريشه وهى عشر فى كل جناح الواحدة قادمة. والجُون جمع جَوْن يقع على الأبيض والأسود والمراد هنا البيض. والمعنى كأنا وضوء الصبح يسوق الدجى على عجل نطير من الليل غرابا أبيض القوادم. وجاء به القزوينى مثالا لأبلغ الاستقصاء فى التفصيل وعجيبه وقال: شبه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح بأشخاص الغربان ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضاً، لأن تلك الفرق من الظلمة تقع فى حواشيها لمع نور يتخيل منها فى العين كشكل قوادم بيض وتمام التدقيق فى هذا التشبيه أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها، ولا يرضى منها أن تتمهل فى حركتها، ثم لما راعى ذلك فى التشبيه ابتداء راعاه آخرا حيث قال: نطير غرابا ولم يقل: غراب يطير لأن الطائر إذا كان واقعا فى مكان فأزعج وأطير منه، أو كان قد حبس فى يد أو قفص فأرسل كان هذا لامحالة أسرع لطيرانه، وأدعى له أن يستمر على الطيران حتى يصير إلى حيث لا تراه العيون، بخلاف ما إذا طار عن اختيار فانه حينئذ يجوز له ألا يسرع فى طيرانه.

(٢) فى وصف القمر لآخر الشهر قبل السرار. مثال للتشبيه المؤكد يريد الاظلام الذى كالفرس الأدهم والصبح الذى كالفرس الأشهب. وسرار الشهر آخر ليلة منه. جعل القمر كنعل حافر الفرس فى الدقة والتقوس فاستعار له نعل الحافر.

تمرين

(١) قال تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مَثَلا كلمةً طيبةً كَشَجَرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تُؤْتى أُ كُلَها كل حين باذن ربها » . ثم قال جل شأنه : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوق الأرض مالها من قرار » وقال تعالى : « مثل ما ينفقون فى هذه الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حَرْثَ قوم ظلموا أنفسهم فأهلكَتْه » وقال تعالى : « كأنهن الياقوت والمرجان » . وقال تعالى : « وأفئدتُهم هَواء » وقال جل شأنه : « وقَدِمْنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » . وقال تعالى : « فاذا انْشَقَّت السَّماءُ فكانت وَرْدَةً كالدهان » . وقال تعالى : « فجعلهم كعصف مأكول » وقال تعالى : « مَثَلُ الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العَنْكَبُوت اتخذت بيتا » وقال تعالى : « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء » — وقال صلى الله عليه وسلم : المؤمن مُوهٍ (١) راقع وقال : أنا النذير والموت المغير . وقال : مثل المؤمن مثل السنبلة تعوج أحيانا وتقوم أحيانا .

(أ) بين طرفى كل تشبيه من التشبيهات السابقة ، وحالهما من حيث التركيب أو الأفراد ، مع الاطلاق أو التقييد .

(ب) بين وجه الشبه فى كل منها ، وبين أمركب هو أم غير مركب ؟ ونص على ما تراه منها تشبيه تمثيل .

---

(١) يريد أنه يوهى دينه بمعصيته ويرقعه بتوبته

(ﺟ) بين الغرض من التشبيه، وسم التشبيه باعتبار الأداة

(٢) وازن :

(أ) بين التشبيه في قول الشاعر :

بيضاء في برَج صفراء في نعَج كأنها فضة قد مسها ذهب

والتشبيه في قول الآخر :

كأن عيون النرجس الغَضّ حولها مداهن در حشوهن عقيق

(ب) وبين التشبيه في قول الشاعر :

حملت ردينْيّا كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

والتشبيه في قول الآخر :

يتابع لا يبتغى غيره بأبيض كالقبس الملتهب

(ﺟ) وبين التشبيه في قول الشاعر :

إن السحاب لتستَحْيي إذا نظرت إلى نداك فقاسته بما فيها

والتشبيه في قول الآخر :

لم تحك نائلَك السحابُ وإنما حُمَّتْ به فَصَبيبُها الرُّحَضَاءُ

(د) وبين التشبيه في قول الشاعر :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

والتشبيه في قول الآخر :

تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم سقفا كواكُبُه البيضُ المباتير

واذكر في كل ذلك وجه ما تقول .

(٣) قال كثير :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين

وقول بشار :

وبيضاء المحاجر من معـــد كأن حديثها قطع الجنان
إذا قامت لحاجتهـــا تَثَنَّتْ كأن عظامهـــا من خَيْزُران

(ا) وازن بين تشبيه كثير وتشبيه البيت الثانى لبشار ، وبين وجه ما تقول (ب) فى البيت الأول من كلام بشار تشبيه . ما طرفاه ، وما وجهه ، وما الغرض منه ، وما حكمك عليه من حيث البلاغة ، وما وجه ما تقول ؟

(٤) قال النابغة يستعطف النعمان :

فانك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ماذا يعترى هذا التشبيه لو أنا وضعنا كلمة الموت بدل كلمة الليل ؟ . وكيف يختلف المعنى ؟ ولماذا لم يقل النابغة : فانك كالصبح.

(٥) بم تسمى كلا من التشبيهات الآتية باعتبار الأداة ، ثم باعتبار الطرفين إن كانا متعددين ، وما طرفا كل منهما ؟

(ا) ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا جاء الربيع أتاك النُّور والنَّور
فالأرض ياقوتة والجوُّ لؤلؤة والنبت فيروزَج والمـاء بلَّوْر

(ب) ترجو وتخشى حالتيك الورى كأنك الجنـــة والنـــار

(ج) نشرت إلى غدائرا من شعرها حـذر الكواشح والعدو الموبق
فـكأنهـا وكأننى وكأنه صبحان باتا تحت ليـــل مطبق

(د) أنا نارٌ فى مرتقِى نظر الحا سد ماء جار مـع الاخوان

(٦) قال المبرد : حُدِّثتُ أن العمانى الراجز انشد الرشيد فى صفة فرس :

كأن أذنيــــه إذا تشوفا قادمة أو قلمــــا محرفا

فقال الرشـيد قل : تخال أذنيه إذا تشوفا ، والراجز وإن كان لحن فقد أحسن التشبيه اه (ا) ما وجه اللحن ؟ ولم كان هـذا التشبيه حسنا ؟ وبم تسميه باعتبار طرفيه ؟ (ب) فى الشطر الأول ما يخالف المشهور من قواعد النحو فى باب الفاعل . فما هو ؟ وبم تؤول كلام العمانى ؟

(٧) (ا) بليتُ بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه

(ب) وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه عـــلم فى رأسه نار

(ج) غرد الطير فنَبِّهْ من نعس وأدر كاسـك فالعيش خلس

سُل سيفُ الفجر من غمد الدجى وتعرى الصبح من ثوب الغلس

(د) أهلا به من عارض ترك الدجى ببياض مزنته غرابا أبقعـــا

نثرت يد الأرواح لؤلؤ ثلجه فبدا بأجياد الغصون مرصعا

وكأنما عبثت لوامع برقه بسحابه فرمت به فتقطعا

(ه) إنى وإياك كالصادى رأى نهلا ودونه هوة يخشى بهـــا التلفا

رأى بعينيه ماء عَزَّ مورده وليس يملك دون المـاء منصرفا

(و) كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

بين فى كل تشبيه من التشبيهات السابقة (ا) طرفيـه وحالها من التركيب والأفراد مع الأطلاق أو التقييد (ب) بين وجه الشبه ونوعه من الأفراد وغيره (ج) أسم التشبيه باعتبار الوجه (د) أسمه باعتبار الأداة (ه) درجته من البلاغة ووجه ما تقول فى هذا .

(٨) (ا) ونظيرها الغصن النضير إذا انثنت فى حـلة خضراء من اســتبرق

(ب) ادعى الورد أنه لون خديـــــك ولا شك أنه كان يمزح

(ج) أرى فيك من خرقاء ياظبية اللوى   مَشَابِه جُنِّبْت اعتلاق الحبائل
فعيناك عيناها وجيدك جيدُها   ولَوْنُك إلا أنها غير عاطل
(د) كأن فجاج الأرض وهي عريضة   على الخائف المطلوب كُفة حابل(١)
يُؤَدَّى إليه أن كل ثنية   تيممَّها ترمى إليه بقاتل
(هـ) كأن الناس حين تغيب عنهم   نبات الأرض أخطأه القطار
(و) لا تُعجبنْك الثيابُ والصور   تسعة أعشار من ترى بقر
فى شجر السرو منهم مثل   له رُوَاءٌ وما له ثمر

ما وجه الشبه فى كل من التشبيهات السابقة، وما الغرض من التشبيه، وعلى أى الطرفين يعود؟

(٩) بين طرفى التشبيه وحالهما من التركيب والأفراد، ثم بين وجه الشبه والغرض منه وسر بلاغة التشبيه إن كان بليغا فيما يأتى:

(ا) وكأن أجرام النجوم لوامعا   درر نثرن على بساط أزرق
(ب) كأن صغرى وكبرى من فقاقعها   حصباء دُرّ على أرض من الذهب
والليل كالحلة السوداء لاح به   من الصباح طراز غير مرقوم

(١٠) بين فيما يأتى وجه الشبه ثم أقريب هو أم بعيد، وإن يكن بعيدا فما سبب بعده؟

(ا) لبشار:

كأن فؤاده كرة تَنَزَّى   حذار البين إن نفع الحذار

---

(١) كفة بالضم إن كانت مستطيلة وبالكسر إن كانت مستديرة ككفة الميزان وكفة الحابل الحبالة التى ينصبها للصيد

(ب) لامرئ القيس فى فرس :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا　　كجلمود صخر حطه السيل من عل

(ج) لآخر فى مصلوب :

لم أر صفا مثل صف الزُّطّ　　تسعين منهم صُلّبوا فى خط
من كل عال جذعُه بالشط　　كأنه فى جذعه المشتط
أخو نعاس جد فى التمطى　　قد خامر النوم ولم يغط (١)

(د) ولابن المعتز :

فخلت الدجى والفجر قد مد خيطه　　رداء مُوَشًّى بالكواكب مُعْلَما

(هـ) ولآخر فى مصلوب :

مددت يديك نحوهم احتفاء　　كمدهما إليهم بالهبات

ولآخر :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى　　طبيب يداوى الناس وهو مريض

وللأعشى

تَقُصُ السفينُ بجانبيه كما　　يَنْزُو الرباح خلا له كرع (٢)

(١١) من أى أنواع الحسى أو العقلى طرفا كل من التشبيهات الآتية ، وما وجه الشبه فيها ، وما الغرض منها ، وما حظها من البلاغة ؟

---

(١) الزط طائفة من أهل الهند واحدها زطى . وجذعه فاعل . والشط جانب النهر والإشتطاط تجاوز الحد ومراده باشتطاط الجذع إفراطه فى الطول . والنوم فاعل ومفعوله محذوف أى خامره النوم. والعرب تقول: خامره السقام أى خالطه وغط النائم من باب ضرب نخر وتردد نفسه صاعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله.

(٢) تقص أى تثب . والنّزْو : الوثوب أيضا . والرباح كرمان ويخفف كما هنا : الفصيل وقيل القرد . وخلا فعل ماض والكرع بفتحتين: ماء السماء .

(ا) وندمان سقيتُ الراح صرفا وأفق الليل مرتفع السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها كمعنى دق فى ذهن لطيف

(ب) ولأبى النجم يصف المنجنيق:
كأنها حين تناهى الباس جنِّية فى رأسها أَمراس
بها سكون وبها شِماس يخرج منها الحجر الكُباس
يمر لا يحبسه حبّاس لا نافذ الطعن ولا تراس (١)

(ج) للبحترى يصف أخلاق الفتح بن خاقان:
وقد زادها إفراط حسن جوارُها خلائق أَصْفَارٍ من المجد خُيَّبِ
وحُسْنُ درارِىّ الكواكبِ أَنْ تُرَى طوالعَ فى داجٍ من الليل غيهب

د — فى صفة جمل:
كأن صوت نابه بنابه صريف خُطَّاف على كُلَّابه (٢)

(١١) بين طرفى التشبيه الآتى وعين ما فيها من القيود ثم بين رأيك فى التشبيه من حيث بلاغته مؤيدا بالدليل:
وملوك خندف أسلمونا للعدا لله در ملوكنا ما تصنع
كانوا كتاركة بنيها جانبا سفها وغيرهم تصون وترضع

(١) الأمراس: الحبال الواحد مرس كشجر جمع مرسة كشجرة والشماس الجموح والشرود. والكباس الضخم. والحباس الذى من شأنه أن يحبس. والتراس صاحب الترس

(٢) الخطاف هو ما تدور عليه البكرة والكلاب ما وليه وهو الحلقة المثقوبة التى يدخل فيها المحور

(١٢) قال المبرد من جيد التشبيه قول أبى نواس :

فكأنى بما أزين منها قعدى يزين التحكيما (١)

وقال أبو نواس يصف السفينة :

بنيت على قدر ولاءم بينها طبقان من قير ومن ألواح

فكأنها والماء ينطح صدرها والخيزرانة فى يد الملاح

جون من العقبان يبتدر الدجى تهوى بصوت واصطفاق جناح (٢)

وقال يصف الخمر :

إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

ما الوجه فى هذه التشبيهات ولم كانت جيدة

(١٣) اذكر لكل مما يأتى ثلاثة أمثلة نظمية تروقك وبين الغرض من كل منها : (ا) تشبيه تمثيل طرفاه مفردان (ب) تشبيه مركب الطرفين (ج) تشبيه مقيد الطرفين (د) تشبيه يدرك طرفاه بالسمع (ه) تشبيه فيه المشبه به عقلى

---

(١) تشدد الخليفة على أبى نواس فى شرب الخمر وحبسه من أجلها طويلا فقال :

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميا

نالنى بالملام فيها إمام لا أرى لى خلافه مستقيما

فاصرفاها إلى سواى فانى لست إلا على الحديث نديما

كبر حظى منها إذا هى دارت أن أراها وأن أشم النسيما

فكأنى بما أزين منها قعدى يزين التحكيما

لم يطق حمله السلاح إلى الحر ب فأوصى المطيق ألا يقيما

والقعدى نسبة الى القعد من الخوارج وهم الذين يرون التحكيم ولا يمضون إلى القتال

(٢) الطبقان الغطاءان وطبق كل شىء غطاؤه والجمع أطباق والخيزرانة السكان بضم السين وتشديد الكاف وهو ذنب السفينه التى تعدل به .

(١٤) اجعل كلا من الألفاظ الآتية مشبها به مقيدا فى جملة : ريح . البدر البحر . معنى . طبيب

(١٥) بين فى التشبيهات الآتية جميع ما تعرفه عن كل منها :

قال بعضهم فى الشيب :

كأنما الشعرات البيض طالعةً　　فى مَفْرِقى أنجم أشرقن فى الظلم

وقال أبو تمام :

خلط الشجاعة بالحياء فأصبحا　　كالحسن شيب لمغرم بدلال

وقال لبيد :

وجلا السيولُ عن الطلول كأنها　　زُبر تجد مُتُونَها أقلامُها (١)

وقال على بن جبلة يمدح حميد الطوسى :

الناس جسم وإمام الهدى　　رأس وأنت العين فى الرأس

وقال ابن المعتز فى الهلال :

أهلا بفطر قد أنار هلالُهُ　　فالآن فاغد على الشراب وبكر
وانظر إليه كزورق من فضة　　قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال نصر بن أحمد :

ورد الخدود ورمان النهود وأغصان القدود تصيد السادة الصيدا

---

(١) يريد جلت السيول التراب عن الطلول أى كشفته . وزبر ككتب جمع زبور وهو الكتاب . وتجد أى تجدد . ومتونها ظهورها وأوساطها وأرادها كلها . وهاء كأنها تعود على الطلول وهاء أقلامها تعود على الزبر أى أن هذا السيل قد كشف عن بياض وسواد فشبهه بكتاب قد تطمس فأعيد على بعضه وترك ما تبين منه فكأنه مختلف وكذلك آثار هذه الديار قيل : سمع الفرزدق رجلا ينشد قصيدة لبيد . فلما بلغ هذا البيت سجد الفرزدق فقيل له : ياأبافراس ما هذه السجدة ؟ فقال : إنكم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر .

الحقيقة والمجاز

الحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وضع له فى اصطلاح المتخاطبين. ومعنى الوضع تعيين اللفظ للدلالة على المعنى بنفسه لا بقرينة تنضم إليه.(١)

والمجاز هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له فى اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى. (٢)

وكل منهما إما لغوى وإما شرعى وإما عرفى خاص وإما عرفى عام

فالحقيقة اللغوية هى الكلمة التى استعملها اللغويون فيما وضعوها له: كالأسد فى الحيوان المفترس والصلاة فى الدعاء.

والمجاز اللغوى هو اللفظ الذى استعمله اللغويون فى غير ما وضعوه له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى: كالأسد فى الرجل الشجاع، والصلاة فى الأقوال والأفعال المعروفة.

والحقيقة الشرعية هى اللفظ الذى يستعمله الشرعيون فيما وضعوه له كالصلاة فى الأقوال والأفعال المعروفة.

---

(١) يفهم من هذا أن المشترك حقيقة لأنه عين الدلالة على كل من معنييه أو معانيه بنفسه، فالعين وضعت مرة للدلالة على الباصرة، وأخرى للدلالة على الجارية، وهكذا. وعدم فهم إرادة أحد معنييه أو معانيه الوضعية لعارض الاشتراك لا ينافى ذلك.

(٢) قالوا: ليس لكل مجاز حقيقة يتفرع عنها، فلفظ الرحمن استعمل مجازا فى المنعم، ولم يستعمل فى معناه الوضعى وهو الرقيق القلب، ولكن الغالب أن يتفرع المجاز عن الحقيقة.

والمجاز الشرعي هو اللفظ الذي يستعمله الشرعيون في غير ما وضعوه له كالصلاة في الدعاء.

والحقيقة العرفية الخاصة هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له عند أهل ذلك العرف كأن يستعمل النحاة كلمة البناء في لزوم آخر الكلمة حالة واحدة.

والمجاز العرفي الخاص هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له عند أهل ذلك العرف كأن يستعمل نحوي كلمة البناء في معناها اللغوي.

والحقيقه العرفية العامه كاستعمال العامي الدابة في ذوات الأربع، مع أنها موضوعة لكل مادب على الأرض ثم هي لا يعرف واضعها.

والمجاز العرفي العام كاستعمال العامي كلمة الدابة في كل مادب على الأرض.

من هذا نفهم أن استعمال لفظ الأسد في الرجل الشجاع مجاز عند اللغويين وغيرهم، لأنه يحتاج عند كل منهم إلى قرينة، ولأن غير اللغويين لم يضعوه وضعا مخالفا لوضع اللغويين، ونفهم أيضا أن الفرق بين الحقيقة والمجاز أن المجاز يحتاج دائما إلى قرينة، وأن الحقيقة تدل على معناها بنفسها، ونفهم أن الحقيقة العرفية أصلها مجاز لغوي تنوسي معناه الذي عينه له اللغويون.

المجاز بالحذف والزيادة

وقد يطلق المجاز على كلمة تغير حكم إعرابها بحذف لفظ أو زيادة لفظ (١) نحو: وجاء ربك بالرفع على الفاعلية والأصل وجاء أمر ربك بالجر على الاضافة ونحو: واسأل القرية بالنصب على المفعولية. والأصل واسأل أهل القرية بالجر كذلك، ونحو: ليس كمثله شيء. بجر لفظ مثل بالكاف والأصل: ليس مثله شيء بالنصب على أنه خبر ليس. وإطلاق المجاز على الكلمة التى تغير إعرابها لحذف أو زيادة إما أن يكون على سبيل الاشتراك اللفظى بأن يقال: إن لفظ مجاز وضع وضعين أحدهما للكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لعلاقة وقرينة، وثانيهما للكلمة التى تغير حكم إعرابها الأصلى بحذف لفظ أو زيادته، وإما على سبيل التشابه بأن شبهت الكلمة المنقولة عن إعرابها الأصلى بالكلمة المنقولة عن معناها الأصلى بجامع الانتقال عن الأصل فى كل، واستعير اسم المشبه به: وهو لفظ مجاز للمشبه. على أن هذا النوع من المجاز يمكن رد أمثلته إما إلى المجاز العقلى، وإما إلى المجاز المرسل، وإما إلى الكناية

العلاقة

العلاقة هى الأمر الذى يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقى والمعنى

(١) من التعريف يتضح أن لا مجاز بالزيادة فى نحو قوله تعالى: «فبما رحمة من الله لنت لهم» لأن الزائد وهو ما سقوطه كثبوته لا يغير إعراب ما يليه ونحو زيادة «أن» فى قوله تعالى: «فلما أن جاء البشير» وهكذا.

المجازى فيصح الانتقال من الأول الى الثانى، وهى فى المجاز إما المشابهة بين المعنيين، وإما غيرها، فالمشابهة نحو: أقبل الأسد. تريد رجلا كالأسد فى الجراءة، وغير المشابهة كالمحلية فى قوله تعالى: يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم. يريد بألسنتهم والأفواه محل الألسنة، وقد اشترطوا فى العلاقة سماع نوعها ويعنون بذلك النوع ما عرف من المشابهة والمحلية وغيرهما مما سيأتى.

القرينة

هى الأمر الذى يصرف الذهن عن المعنى الوضعى إلى المعنى المجازى. وهى إما عقلية وإما لفظية، فالأولى نحو: أقبل الأسد. والسامع يرى رجلا. والثانية نحو: بين هؤلاء الرجال أسد فى يمينه سيف صارم فكل من قولك: بين هؤلاء الرجال، وقولك: فى يمينه سيف صارم يصلح لأن يكون قرينة لفظية.

المجاز اللغوى

المجاز اللغوى إما مفرد وإما مركب.

فالمفرد هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له عند أهل اللغة لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى (١) نحو:

---

(١) بقيد العلاقة يخرج الغلط، وبقيد القرينة تخرج الحقيقة، وهى تخرج أيضا بقولنا فى غير ما وضعت له، وبقولنا مانعة تخرج الكناية لأنها لفظ أريد به لازم معناه لقرينة غير مانعة من إرادة المعنى الأصلى، فالمجاز والكناية كل منهما فى حاجة إلى قرينة ولكنها فى المجاز مانعة وفى الكناية غير مانعة.

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد(١)

ونحو (ينزل لكم من السماء رزقا) (٢)

والمركب هو التركيب المستعمل فى غير ما وضع له كقولك للحائر المتردد فى أمر ما : مالى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى (٣)

وكل من المفرد والمركب إما أن تكون علاقته المشابهة ، وإما أن تكون غيرها ، فالمجاز الذى علاقته المشابهة يسمى استعارة ، والذى علاقته غير المشابهة يسمى مرسلا .

المجاز المرسل المفرد

علاقاته المشهورة

١ — الجزئية : وذلك فيما إذا ذكر لفظ الجزء وأريد الكل كقولك: أقبل الأذن . تريد رجلا صارت جملته آلة للسماع مبالغة فى أنه لفرط استماعه للوشاة يصغى لكل قائل ، ويصدق كل قول ونحو : بث الأمير

---

(١) استعار اللؤلؤ والنرجس والورد والعناب والبرد للدموع والعيون والخدود والأنامل والأسنان ، والعلاقة فى كل منها المشابهة

(٢) أى ينزل لكم من السماء ماء يكون الرزق مسببا عنه فالعلاقة المسببية

(٣) أى مالى أراك تقدم رجلا مرة وتؤخرها أخرى . شبه حال المتردد فى الأمر يقدم عليه ثم يكف ثم يعود فيقدم ، وهكذا بحال من يريد أن يتقدم فيقدم رجله ثم يعن له أن يتأخر فيؤخرها بجامع الأقدام والأحجام فى كل ، ثم استعار التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية

عيونه في البلد وحقيقته بث الأمير جواسيسه[1] ونحو : (بما قدمت يداك[2]) وحقيقته بما قدمت نفسك ونحو (فتحرير رقبة مؤمنة) وحقيقته فتحرير عبد مؤمن ونحو (قم الليل إلا قليلا) [3] على أن المراد صل الليل إلا قليلا ونحو قول الشاعر :

وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى

وحقيقته وكم علمته نظم الشعر ، فلما قال قصيدة هجانى ، ونحو (كل شيء هالك إلا وجهه) وحقيقته كل شيء هالك إلا ذاته . ونحو : (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين [4]) إذا كان المراد كما قال بعض المفسرين : واجعل لى ولدا صادقا يجدد دينى ويدعو إليه المتأخرين عنى ، واللسان

---

(١) قيل لم يسم الجاسوس عينا لأن العين جزء منه بل لأنه يشبه عين الأمير فى إيصال المعلومات إلى نفسه فهو مجاز علاقته المشابهة

(٢) عبر باليدين لأن الاكتساب عادة إنما يكون بهما ، وقال يداك بالتثنية ، ولم يقل بما قدمت يدك مبالغة فيما قدم من الكفر والمعاصى . ونظير ذلك بسط اليد وبسط اليدين ، فان الأول كناية عن الجود ، والثانى كناية عن المبالغة فيه.

(٣) القيام أظهر أركان الصلاة فهو جزء مهم منها عبر به عن الكل ، وهو مجاز تبعى . كأنما تجوز بالقيام عن الصلاة ثم أخذنا منه قم بمعنى صل ، ومثله التعبير عن الصلاة بالركوع أو بالتسبيح أو بالذكر والتعبير بالذقن عن الوجه نحو : (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) ونحو : (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) ونحو : (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) ونحو : (فاذا أمنتم فاذكروا الله) ونحو : (ويخرون للأذقان يبكون)

(٤) للسان مزيد اختصاص بالمعنى المقصود الذى هو دعوة المتأخرين إلى دينه .

جزء الولد .

وقد اشترطوا فى هذه العلاقة أن يكون الكل مركبا تركيبا حقيقيا ، فلا يعبر بالأرض عن مجموع الأرض والسماء ، وأن يستلزم انتفاء هذا الجزء انتفاء ذلك الكل عرفا ، أو أن يكون لهذا الجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود ، فالوجه والرقبة جزءان إذا انتفى أحدهما انتفى الكل ، ولا كذلك الظفر والشعر للانسان ، فلا يصح إطلاق أحدهما عليه مجازا . أما إطلاق الأذن على من اعتاد الاصغاء للوشاة ، والعين على الربيئة فلأن لهما مزيد اختصاص بالمعنى المقصود ، إذ لا يتحقق ذلك المعنى بدونهما ، كذلك الشعر العربى لا يتحقق بدون القافية وهكذا .

٢ — الكلية : فيما إذا ذكر لفظ الكل وأريد الجزء كقوله تعالى (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) أى أناملهم (١) ، فالأصابع تتضمن

---

(١) قيل : ليس فى الآية مجاز لأن نسبة الفعل إلى ذى أجزاء يكفى فيها تعلقه ببعض أجزائه ، فلا مجاز فى نحو : مسحت بالمنديل ولا فى نحو : ضربت زيدا . وأجيب بأن نسبة الجعل إلى الأصابع كثيرا ما يراد بها الكل كأن تقول : جعلت أصابعى فى العجين أو فى الماء ، ولولا الآذان فى الآية لجرى على الأصل . وأما الضرب والمسح ونحوهما فلا يخلو كل منها من تصوره على الكل وإن وقع على الجزء ، وليس فى الكلام ما يصرف الذهن إلى محل الضرب من زيد أو محل المسح من المنديل . وقال الانبابى : اعلم أنه إذا قصد إيقاع الجعل على رءوس الأنامل ثم عبر بالأصابع فهناك مجاز ، وإن قصد إيقاع الجعل على الأصابع وعبر بها فلا مجاز أصلا وإن تعلق الجعل برءوس الأنامل فقط . والمبالغة تقتضى الأول اﻫ . ولا شك فى أن المبالغة مقصودة وأنه إنما عبر بالأصابع عن الأنامل إشعارا بشدة رعبهم من

الأنامل وغيرها . وجعل الأصابع كلهـا فى الآذان مستحيل عادة ، فدل هذا على أن المراد بالأصابع الأنامل .

وقال الزمخشرى فى الكشاف عند الكلام على المجاز فى الآيةالسابقة: مثله قوله تعالى : (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) وقوله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) إذ المراد فى الأولى وأيديكم إلى المرافق ، وفى الثانية فاقطعوا أيديهما إلى الرسغ ا . هـ . ومثله (إنا منكم وجلون) إذ الوجل محله القلب قال تعالى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)

٣ — السببية : بأن تطلق لفظ السبب وتريد المسبب نحو : رعينـا الغيث أى النبات الذى سببه الغيث ، ونحو اليـــد فى قولهم : جلت يدك

الصواعق ، كأنهم يدخلون الأصابع بتمامها فى آذانهم مبالغة فى السد . قيل : وإذا كان الغرض من هذا المجاز هذه المبالغة وجب أن يكون من المجاز العقلى بنسبة ما للكل للجزء لا من المجاز اللغوى لأن المبالغة إنما تكون إذا بقيت الأصابع على حقيقتها ، ولا مبالغة بذكرها مرادا بها الأنامل . ورد على هذا بأن المجاز المرسل يفيد المبالغة أيضا وإلا كان من العبث العدول عن الحقيقة إليه . ويكفى فى المبالغة أن يتبادر إلى الذهن قبل النظر فى القرينة أن الكل أدخل فى الآذان . على أنه يمكن أن يكون فى الآية ثلاثة احتمالات (ا) مجاز لغوى (ب) مجاز عقلى (جـ) مجاز بالحذف أى أنامل أصابعهم . والمجاز العقلى أبلغ لأن المبالغة بايقاع الجعل على جميع الأصابع أتم من المبالغة بجعل الأصابع بمعنى الأنامل وفى الآية تقسيم الجمع على الجمع : أى أن كلا منهم يجعل إصبعه فى أذنه كقوله : ركب القوم دوابهم : أى ركب كل منهم دابته قيل : ولو أريد أن كلا يجعل أصابعه الخمس فى أذنه لكان أشد مبالغة .

عندى ، وعمت أياديك الورى . و (يد الله فوق أيديهم) لأن اليد فى الأول والثانى بمنزلة العلة الفاعلية للنعمة ، وفى الثالث بمنزلة العلة الصورية للقدرة ، لأن أكثر ما يظهر سلطان القدرة فى اليد ، فبها البطش والضرب والقطع والدفع وغيرها . ونحو : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا(١) عليه بمثل ما اعتدى عليكم) أى فجازوه بمثل ما اعتدى عليكم ، فأطلق لفظ السبب وهو الاعتداء وأراد المسبب وهو الجزاء أو العقاب ، وقول ابن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحـــد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا (٢)

أى لا يسفهن أحد علينا فنجازيه ونعاقبه بما هو أشد من سفه السفهاء وهو الاهلاك ونحو « وجزاء سيئة سيئة مثلها (٣) » إلا إذا قلنا : إن القصاص يسوء ويحزن فيكون حقيقة . ونحو : « ومكروا ومكر الله » فقد عبر بلفظ المكر وأراد العقوبة التى يكون المكر سببها ، ويجوز أن يكون حقيقة لأن المكر بمعنى التدبير فيما يضر الخصم ، وهذا محقق من الله تعالى باستدراجه إياهم بنعمه مع ما أعده لهم من نقمه . وقد جعلوا من هذا النوع التجوز بالكتابة عن الحفظ وعن التثبيت لأنها سبب لحفظ المكتوب وتثبيته نحو (سنكتب ما قالوا) أى سنحفظه فلا ننساه لنجازيهم به ، ونحو

---

(١) مجاز تبعى جرى فى الفعل تبعا لجريانه فى المصدر .

(٢) سمى الجزاء فى البيت جهلا وفى الآية اعتداء مشاكلة لحسن تجانس اللفظ ومن ذلك بعض الأمثلة الآتية .

(٣) أى وجزاء جناية قبيحة عقوبة مثلها فتجوز بلفظ الجناية عن العقوبة لأن الجناية سبب فى العقوبة .

(كتب فى قلوبهم الايمان) أى ثبته وكذا التجوز عن الأملاق بالانفاق لأن الانفاق سبب الأملاق نحو : (إذن لأمسكتم خشية الانفاق)

٤ — المسببية : فيما إذا ذكر لفظ المسبب وأريد السبب نحو : أمطرت السماء نباتا أى ماء يكون النبات مسببا عنه ونحو : « ينزل لكم من السماء رزقا » أى ماء يكون الرزق مسببا عنه ونحو « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا » أى مالا تتسبب عنه النار (١) ونحو « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » أى اذا أردت قراءته بقرينة الفاء : واستفاضة السنة بتقديم الاستعاذة على القراءة ونحو « ونادى نوح ربه فقال رب » أى أراد نداءه ونحو « وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا » أى أردنا إهلاكها ونحو : لفظ الأسنمة فى قوله يصف غيثا :

أقبل فى المُستَنّ من رَبَابه   أسنمةُ الآبال فى سحابه (٢)

عبر بأسنمة الآبال عن الغيث ، والأسنمة مسببة عن النبات : والنبات مسبب عن الغيث ، فالسببية متعددة

(١) جوز بعضهم أن تكون فى كلمة نار استعارة .شبه ما أكل من أموال اليتامى بالنار بجامع أن كلا يمحق ما معه .

(٢) المستن المنصب . يقال : استنت العين : انصب دمعها . والرباب ما تدلى من السحاب ، أو هو السحاب واحدته ربابة كسحابة والضمير فى ربابه وفى سحابه للبرق وأسنمة فاعل أقبل ومراده بأسنمة الآبال الغيث لأنه سبب النبات والنبات سبب سنام الأبل .

(٥) اعتبار ما كان أى تسمية الشيء باسم ما كان عليه نحو (وآتوا اليتامى أموالهم)(١) أى الذين كانوا يتامى ، إذ لا يتم بعد البلوغ وقوله تعالى: (إنه من يأت ربه مجرما) سماه مجرما باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الاجرام . وهذا إذا جرينا على أن دلالة الصفة على الحاضر حقيقة ، وعلى ما عداه مجاز . وقيل : إن اسم الفاعل ونحوه من المشتقات حقيقة فيمن اتصف بالفعل ولو فى الزمن الماضى ، فلا مجاز إذن فى الآية .

(٦) اعتبار ما يكون فيما إذا أطلق اسم الشيء على ما يؤول اليه كقوله تعالى (إنى أرانى أعصر خمرا) وقوله تعالى : (إنك ميِّتٌ وإنهم ميتون)(٢) وقوله جل شأنه : (ولا يَلِدُوا إلا فاجراً كفاراً) وقوله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلا فله سَلَبُهُ . وقولهم : يمرض المريض وتضل الضالة (٣) .

---

(١) أوثر المجاز على الحقيقة لقرب عهدهم بالصغر ، وللاشارة إلى وجوب المسارعة بدفع أموالهم إليهم فى وقت هم فيه كأن اسم اليتيم باق لم يفارقهم . ولك أن تجعل هذا المجاز تبعيا ، فتقول : نقل اليتم من فقد الأب مع الصغر إلى فقده مع الكبر ، لأن الموصوف بهذا كان موصوفا بذاك ، واشتق منه يتيم بمعنى فاقد الأب مع الكبر . ولك أن تقول إنه هنا جار مجرى الأسماء الجامدة من حيث غلبت عليه الاسمية .

(٢) القرينة فى هذا المثال عقلية وهى الخطاب ، لأن من مات فعلا لا يخاطب ، ثم إن المجاز فى هذه الآية مبنى على أن الوصف حقيقة فى المتلبس بالحدث فعلا كما تقدم فاطلاقه على من سيقوم به مجاز بالأول

(٣) بناء على أن ما يسبق إلى الذهن من تعلق الفعل أو شبهه بذات موصوفة بصفة هو أن يكون اتصافها بتلك الصفة سابقا لتعلق الفعل بتلك الذات ، فاذا قلت : عاقبت

فمجاز الأول نوعان : أحدهما أن يكون بطريق الصيرورة إذا كان فيه الاتصاف بالمعنى الحقيقي متراخيا عن تعلق النسبة كما في الأمثلة الثلاثة الأولى ، فالاتصاف بالخمرية ، والموت والفجور والكفر متراخ عن زمن تعلق العصر بالعصير ، وعن نسبة الموت إلى المخاطب ، وعن تعلق الولادة بالمولود . وثانيهما أن يكون الاتصاف بالمعنى الحقيقي واقعا إثر تعلق النسبة بلا تراخ نحو : من قتل قتيلا ونحو : يمرض المريض والطبيب بجانبه ونحو : تضل الضالة وصاحبها معتن بالمحافظة عليها .

(٧) المحلية : فيما إذا ذكر لفظ المحل وأريد به الحالّ فيه نحو : جرى الميزاب يريد ماءه ، وكقوله تعالى (فليدع ناديه) يريد المجتمعين في ناديه وقوله تعالى (أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا) أي أناسا في ندى ونحو قوله تعالى : واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها [١])

سارقا ، فمعناه عاقبت شخصا وقعت منه السرقة قبل عقابك إياه ، وإذا قلت ضربت مضروبا تبادر إلى الذهن أنك ضربت شخصا متصفا بالمضروبية قبل أن يتعلق ضربك به ، لأنك في بيان تعلق ضربك به تلاحظ ما هو عليه وقت هذا التعلق وتعبر عنه بما هو مسلم به له ، فاذا عبرت عنه بالمضروب كانت مضروبيته مسلما له بها وإن لم تضربه ، فاذا أردت أنه مضروب بضربك هذا كان مخالفا للظاهر مجازا باعتبار ما يؤول إليه ، لأن المفعول به يتعلق به الفعل قبل وصفه بالمشتق من مصدر ذلك الفعل ، فقولك : هدى للضال وإضلال للمهتدى حقيقة بخلاف قولك : هدى للمهتدى وإضلال للضال

(١) قال بعضهم : الأولى إبقاء القرية والعير على ظاهرهما بلا حذف ، وجعل الكلام مبنيا على دعوى ظهور الأمر بحيث أن الجماد والبهائم قد علماه . وقد شاع مثل

أطلق لفظ القرية وأراد سكانها . ويجوز أن يكون هذا من حذف المضاف أي ماء الميزاب وأهل ناديه وأهل ندى .

هذا وقد عد بعضهم من أمثلة المحلية التعبير عن القدرة باليد في نحو قوله تعالى : « تبارك الذي بيده الملك (١) » . والتعبير بالأفواه عن الألسن في مثل قوله تعالى : « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم » والقول إنما يكون باللسان قال تعالى : « يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم » والتعبير بالألسن عن اللغات نحو : فإنما يسرناه بلسانك : أي لغتك ، واللغة محلها اللسان ونحو : بلسان عربي مبين ، أي كلام . على أنه لا مانع أن تكون العلاقة في هذين المثالين الآلية وهي أظهر ، لأن اللسان آلة الكلام .

(٨) — الآلية : فيما إذا ذكر اسم الآلة وأريد الأثر الذي ينتج عنه نحو : أتتني لسان لا أسر بها ، ونحو « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » أي ذكرا صادقا في المتأخرين ، ونحو : فأتوا به على أعين الناس : أي على مرأى منهم ، بحيث تتمكن صورته في أعينهم تمكن الراكب على المركوب .

٩ — الحالّية : فيما إذا ذكر لفظ الحالّ وأريد المحل لما بينهما من الملازمة نحو : « وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون »

هذا في الكلام قديما وحديثا كقول ابن الدمينة :

سَلُوا مضجعي عني وعنها فإنما رضينا بما تخبرن عنا المضاجع

ولا يخفى أن هذا لا يخلو من مجاز ، وهو لطيف ، غير أن الجمهور على خلافه ا.هـ.

(١) راجع السببية

أي في جنته التي تحل بها الرحمة، ونحو: أرى حركة تعلو وتسفل: تريد جسما متحركا، وأرى بياضا يظهر ويختفي تريد جسما أبيض، ونحو: «خذوا زينتكم عند كل مسجد» أي لباسكم لحلول الزينة فيه، فالزينة حالّ واللباس محلها [١] ونحو:

قل للجبان إذا تأخر سرجه هل أنت من شرك المنية ناجى

يريد اذا تأخر فرسه [٢]

(١٠) المجاورة: نحو: خلت الراوية تريد المزادة أو السقاء: والراوية في الأصل البعير يحملها، سميت باسمه لكونه حاملا أو مجاورا لها عند الحمل. ومن المجاورة الذهنية أو الذكرية التغليب في مثل قولك. قابلت أبويك، ويثيب الله القانتين. وأنت تريد القانتين والقانتات ونحو: «إلا امرأته كانت من الغابرين»

(١١) التقييد ثم الاطلاق: نحو: مشفر زيد مجروح، فان المشفر لغة شفة البعير ثم أريد هنا مطلق شفة، فكان في هذا منقولا عن المقيد الى المطلق وكان مجازا مرسلا علاقته التقييد، ثم نقل من مطلق شفة الى شفة الانسان، فكان مجازا مرسلا بمرتبتين، وكانت علاقته التقييد والاطلاق. ومثله المرسن وهو أنف البعير اذا استعمل في أنف الانسان

---

(١) وفي الآية مجاز آخر علاقته الجزئية إن أريد بمسجد صلاة على أنه مصدر ميمي أو علاقته المحلية إن كان اسم مكان إذ ذكر المحل وأريد الحال فيه وهو الصلاة.

(٢) يدخل فيما علاقته الحالية حلول الاعراض في ذاتها كالحركة، والبياض في الجسم والحلول الجواري كحلول السرج على الفرس.

مثلا،على أنه يمكن أن يكون نقلها على سبيل الاستعارة؛ اذ يقال شبه شفة زيد بالمشفر فى الغلظ والتدلى وأنفه بالمرسن فى الاتساع. فاللفظ قديكون مجازا مرسلا، وقد يكون استعارة بما تراعيه من العلاقة كما تقدم فى قولهم: بث الأمير عيونه فى المدينة.

ومما تقدم يفهم أن العلاقة إنما تؤخذ من المنقول عنه، فان كان المنقول عنه سببا كانت السببية نحو: رعينا الغيث، وان كان محلا كانت المحلية نحو: حكمت المحكمة بكذا. وهذا هو التحقيق.

مزايا المجاز المرسل

المجاز المرسل يوسع اللغة، ويعين على الافتنان فى التعبير، ويساعد الكاتب والخطيب على إيراد المعنى الواحد بصور مختلفة. وقد تدعو اليه — كما فى الطراز — حلية لفظية من تقفية، أو ضرورة شعرية، أو مشاكلة أو اختصار، أو خفة فى لفظه. وكثيرا ما يكون الداعى اليه راجعا إلى المعنى: كالتعظيم فى قولك: رأيت الملك: تريد ولى العهد، والتحقير فى قولك: انظر إلى الجيفة كيف يطغى: تريد من سيموت فيكون جيفة. وكالمبالغة فى قوله تعالى: يجعلون أصابعهم فى آذانهم. أى أناملهم وعبر بالأصابع اشعارا بشدة رعبهم من الصواعق كما تقدم. ونحو قوله تعالى (وآتوا اليتامى أموالهم). فقد عبر باليتامى إشارة الى وجوب المسارعة بدفع أموالهم اليهم فى وقت هم فيه كأن اسم اليتيم باق فيهم لم يفارقهم. أو راجعا الى اللفظ والمعنى معا: كاستعمال الأذن فى كثير الاستماع للوشاة،

والعين فى الربيئة، فلفظ المجاز فيهما أخف من لفظ الحقيقة، واذا قلت: أقبل الأذن، فقد جعلت جملة المقبل آلة للاستماع مبالغة فى ولعه بالاصغاء للوشاة، وكذلك اذا قلت: بث الأمير عيونه فى المدينة، فقد جعلت الربيئة بجملته آلة للاستطلاع مبالغة فى عنايته به وحرصه عليه. واذا قلت: جرى الوادى كان أوجز من أن تقول: جرى ماء الوادى، وكان فيه أيضا إشعار بكثرة الماء وعمومه جميع أجزاء الوادى، لأن اسناد فعل الحال الى محله يؤذن بشيوعه فيه وانتشاره فى جميع أمكنته.

تمرين

(١) قال تعالى فى سورة هود: واصنع الفلك بأعيننا. وفى سورة المؤمنين: «وأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا» وفى سورة طه: «وأَلْقَيْتُ عليك محبة منى ولِتُصْنَعَ على عينى» وفى الأنبياء: «قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون» وفى الطور: «واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا» وتقول: لم تنم عينى. وتقول: اشرب من العين الجارية. وتقول: أقبل محمد عينه.

(ا) وردت كلمة العين فى الآيات وما بعدها. فأيها حقيقة وأيها مجاز؟ وإن كانت مجازا فما نوعه، وما حقيقته، وما علاقته؟

(ب) وردت كلمة العين فى الآيات السابقة مفردة حينا، وجمعا أحيانا. فما سر هذا؟

(٢) قال تعالى فى سورة البقرة: فجعلناها نكالا لما بين يديها وما

خلفها . وفيها أيضا : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . وفى الأنفال : يأيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى . وفى سبأ : إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد .

وفى الحديث الشريف (١) : المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويرد عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم . وفيه : أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا — وفيه : عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط . وفيه : اليد العليا خير من اليد السفلى وفيه : إن هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه منها خُلُقا حسنا فعل. وتقول : والذى نفسى بيده لأفعلن كذا . وتقول : لك فى هذا الأمر يد . وتقول : أخذ الكتاب بيده

لليد فيما مضى استعمالات مختلفة قد تكون فيها حقيقة ، وقد تكون تشبيها ، وقد تكون مجازا . فبين كلا منها وإن تكن تشبيها فبين طرفيه ووجهه ، وإن تكن مجازا فبين حقيقته ، ونوعه وعلاقته ، وقرينته .

(٣) من الآيات القرآنية :

« فظلت أعناقهم لها خاضعين » « وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم نائمون » « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » « إنما نحن مستهزئون. الله يستهزىء بهم » « يخادعون الله وهو خادعهم » « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » « وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة»

ومن الأحاديث النبوية : — مات حتف أنفه . وهل يكُبُّ الناس على

---

(١) هذه الأحاديث وما بعدها مشروحة بالمجازات النبوية

مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم — لا ترفع عصاك عن أهلك (١) — إن ابراهيم ابنى مات فى الثدى — لا يشرب أحدكم الحدود حين يشربها وهو مؤمن .

ومن كلام العرب : أكل فلان الدم ، يريد الدية . وقول الشاعر :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا (٢)

وقوله :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

وقوله :

يبيت بمنجاة من اللَّوم بيتُها إذا ما بيوت بالملامة حُلّت

بين فيما مضى ما تراه من المجاز ، وحقيقته ، وعلاقته ، وقرينته .

(٤) لم عدل عن الحقيقة إلى المجاز فيما يأتى :

(ا) « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »

(ب) « فليدع ناديه سندعو الزبانية »

(ج) وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى

(د) « ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى » . « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما »

---

(١) يريد لا ترفع تأديبك عن أهلك.

(٢) مثله قول الآخر:

أغر كضوء البدر فى كل منكب من الناس نعمى يحتذيها وإصبع

وقول بعضهم

من يجعل الله عليه إصبعا للخير والشر يصادفه معا

وفى الحديث : ما من آدمى إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله

الاستعارة

هى اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى . (١)

أو هى مجاز لغوى علاقته المشابهة كقول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف   له لبد أظفاره لم تقلم (٢)

فقد استعار الأسد للرجل الشجاع لتشابههما فى الجراءة ، والمستعار له هنا كما ترى محقق حسا .

وكقوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) ، فقد استعار الصراط المستقيم للدين الحق لتشابههما فى أن كلا يوصل إلى المطلوب ، والدين الحق محقق عقلا لأنه أمر معنوى له ثبوت فى ذاته .

وكقوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) أى من الضلال إلى الهدى ، فقد استعير لفظ الظلمات للضلال لتشابههما فى عدم اهتداء صاحبيهما ، ثم استعير لفظ الظلمات للضلال ، وكذلك استعير لفظ النور للإيمان لتشابههما فى الهداية ، والمستعار له وهو الضلال والايمان كل منهما محقق عقلا . وفى هذه الأمثلة الثلاثة حذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به ، ولذا تسمى هذه الاستعارات تصريحية

---

(١) قد يراد بالاستعارة المعنى المصدرى : أى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له ، فيكون اللفظ مستعارا والمشبه به مستعارا منه والمشبه مستعارا له .

(٢) شاكى السلاح : حديده أو تامه . والمقذف الذى يقذف به كثيرا إلى الوقائع أو الذى رمى باللحم رميا

وتسمى أيضا تحقيقية (١)

وقال أبو ذؤيب الهذلى :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألْفَيْتَ كل تميمة لا تنفع

فشبه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس قهرا من غير تفرقة بين نفاع وضرار ، ولم يذكر لفظ المشبه به بل ذكر بعض لوازمه وهو أظفارها التى لا يكمل الاغتيال فى السبع إلا بها تنبيها على المشبه المحذوف .

وكذلك قال الآخر :

إذا هزه فى عَظْم قِرْن تهللت نواجذ أفواه المنايا الضواحك

فشبه المنايا عند هزه السيف فى عظم القرن بانسان يسر إذا توافرت له دواعى السرور ، ولم يصرح بلفظ المشبه به بل ذكر لازمه وهو تهلل النواجذ الذى لا يظهر كمال السرور إلا به تنبيها به عليه .

وقال الآخر :

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالى بالشكاية أنطق

فشبه الحال بانسان ناطق فى الدلالة على المقصود ، ولم يصرح بلفظ المشبه به ، بل ذكر لازمه وهو اللسان الذى لا تقوم الدلالة الكلامية إلا به تنبيها به عليه .

ففى هذه الأمثلة الثلاثة حذف لفظ المشبه به وبقى المشبه ، وكل ما كان من هذا القبيل فيه استعارة مكنية أو بالكناية . وفى هذه الأمثلة أيضا

(١) الاستعارة التحقيقية ما كان المستعار له فيها محققا حسا كالمثال الأول أو عقلا كالمثال الثانى والثالث

اثبت للمشبه لازم من لوازم المشبه به لا يكون إلا به كماله أو قوامه في وجه الشبه، كالأظفار التي لا يكمل الافتراس إلا بها في المثال الأول، واللسان الذي لا تقوم الدلالة الكلامية في الانسان إلا به. وليس للمنية شيء كالأظفار نقل إليه هذا اللفظ، ولا للحال شيء كاللسان نقل إليه لفظ اللسان، وما كان هذا حاله يعتبر تخييلا أو استعارة تخييلية.

مما تقدم يتبين :

أولا — أن الاستعارة التصريحية أو المصرحة هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به كالأمثلة الثلاثة الأولى.

ثانيا — أن المكنية هي ما حذف فيها لفظ المشبه به استغناء ببعض لوازمه التي بها كماله أو قوامه في وجه الشبه (١)، وأن اثبات ذلك اللازم تخييل أو استعارة تخييلية. غير أنهم اختلفوا في تعريف كل من المكنية والتخييلية.

فمذهب السلف أن المكنية اسم المشبه به المستعار في النفس للمشبه، وأن اثبات لازم المشبه به للمشبه استعارة تخييلية (٢) فكل من الأظفار

(١) إذا لم يكن اللازم كذلك اعتبر ترشيحا فالفرق بين الترشيح والتخييل : (ا) أن الترشيح يكون في المصرحة والمكنية والتخييل إنما يكون في المكنية (ب) أن التخييل به كمال المشبه به أو قوامه في وجه الشبه ولا يكون إلا كذلك.

غير أن الدسوقي قال : في ترشيح المكنية خلاف والمتفق عليه إنما هو ترشيح المصرحة.

(٢) وعلى مذهبهم لا تكون التخييلية مجازا لغويا لأنها فعل من أفعال النفس وهو الاثبات، والمجاز اللغوي من عوارض الألفاظ. وعلى مذهبهم أيضا تتلازم المكنية والتخييلية إلا أن أحدهم وهو الزمخشري انفرد من بينهم بأن قال إنه

فى قوله: « وإذا المنية أنشبت أظفارها »: واللسان فى قوله: « فلسان حالى بالشكاية أنطق » حقيقة لأنه مستعمل فيما وضع له.

ومذهب القزوينى أن المكنية هى التشبيه المضمر فى النفس المرموز إليه باثبات لازم المشبه به للمشبه، وهذا الاثبات هو الاستعارة التخييلية. (١)

قرينة المكنية قد تكون تحقيقية إذا كان للمشبه لازم يشبه لازم المشبه به نحو « ينقضون عهد الله » فقد شبه العهد بالحبل بجامع أن كلا يصل بين شيئين ويربطهما: فالعهد يربط المتعاهدين كما يربط الشيئان بالحبل، ثم حذف لفظ المشبه به واستعير النقض وهو فك طاقات الحبل لابطال العهد، بجامع الافساد فى كل استعارة أصلية تحقيقية ثم اشتق من النقض ينقضون بمعنى يبطلون على سبيل الاستعارة، التحقيقية التبعية. فالزمخشرى يجمع بين المكنية والتحقيقية أحيانا،على أن التحقيقية ليست مقصودة لذاتها وإنما جاءت تبعا للمكنية للدلالة عليها، فلا تلازم عنده بين المكنية والتخييلية، إلا أن يدعى أن القرينة تصريحية باعتبار المعنى المقصود فى الحالة الراهنة تخييلية باعتبار الاشعار بالأصل. أما غيره من السلف فيقول: شبه العهد بالحبل وحذف لفظ الحبل ورمز إليه بلازمه وهو النقض، وإثبات النقض للحبل تخييل.

(١) من هذا التعريف نفهم أولا أن القزوينى يخالف السلف فى تعريف المكنية ويتفق معهم فى قرينتها. ثانيا أن المكنية والتخييلية عند القزوينى فعلان من أفعال النفس هما التشبيه والاثبات، فليسا من المجاز اللغوى لأنه من عوارض الألفاظ، وتكون التخييلية عند القزوينى والقوم مجازا عقليا، لما فيها من إثبات الشىء لغير ما هو له، وإنما سموها استعارة لما فيها من نقل اللازم من ملائمه الأصلى وهو

ومذهب السكاكى أن المكنية لفظ المشبه مرادا به المشبه به (١) ، فالمراد بالمنية فى قوله : « وإذا المنية أنشبت أظفارها » هو السبع بادعاء السبعية لها وإنكار أن تكون شيئا غير السبع ، بقرينة إضافة الأظفار التى هى من خواص السبع إليها . والتخييلية عنده مالا تحقق لمعناه لا حسا ولا عقلا بل هو صورة وهمية محضة : كالأظفار فى ذلك المثال ، فانه لما شبه المنية بالسبع فى الاغتيال أخذ الوهم يصورها بصورته ويخترع لها لوازمه ، فاخترع لها صورة كصورة الأظفار ثم أطلق عليها لفظ الأظفار فيكون لفظ الاظفار استعارة تصريحية تخييلية، أما أنها تصريحية فلأنه صرح فيها بلفظ المشبه به وهو اللازم الذى أطلق على صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار المحققة ، وأما أنها تخييلية فلأن المستعار له غير محقق لا حسا ولا عقلا . والقرينة على نقل الأظفار من معناها إلى المعنى المتخيل

المشبه به إلى المشبه ، وسموها تخييلية لأن اللازم لما نقل من المشبه به إلى المشبه صار السامع يخيل إليه أن المشبه من جنس المشبه به . ثالثا أن لفظ اللازم فى المكنية حقيقة دائما عند القزوينى .

(١) تقرير الاستعارة على مذهب السكاكى أن يقال : شبهنا المنية التى هى الموت المجرد عن ادعاء السبعية بالسبع الحقيق ، وادعينا أنها فرد من أفراده وأن للسبع فردين متعارفا وهو الحيوان المفترس وغير متعارف وهو الموت الذى ادعيت له السبعية واستعير اسم المشبه وهو المنية بمعنى ذلك الفرد غير المتعارف أعنى الموت الذى ادعيت له السبعية ، فصح بهذا أنه قد أطلق اسم المشبه وهو المنية وأريد به المشبه به وهو السبع.

إضافتها إلى المنية. (١)

هذا ومذهب السكاكى فى المكنية مردود بأن لفظ المشبه فيها مستعمل فيما وضع له تحقيقا، للقطع بأن المراد بالمنية الموت لا غير فليس مستعارا

أيهما المستعار اللفظ ام المعنى

المشهور أن الاستعارة صفة للفظ، والحق أن المعنى يعار أولا ثم يكون اللفظ دليلا على الاستعارة وذلك لأمور منها :

(١) — أنه إذا لم يكن نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك استعارة مثل الأعلام المنقولة، فأنت إذا سميت إنسانا بأسد أو نمر أو كلب لا يقال إن هذه الأسماء مستعارة لأن نقلها لم يتبع نقل معانيها تقديرا .

(٢) — أن البلغاء جزموا بأن الاستعارة، أبلغ من الحقيقة، فان لم يكن نقل الاسم تابعا لنقل المعنى لم يكن فيه مبالغة، إذ لا مبالغة فى إطلاق الاسم المجرد عن معناه .

(٣) — أنك اذا قلت رأيت أسدا قيل إنك جعلته أسدا وحكمت بثبوت

---

(١) يرى السكاكى أن التخييلية قد توجد من غير المكنية كقولهم : أظفار المنية التى كالسبع نشبت بفلان، فى أظفار استعارة تخييلية وجدت مع تشبيه صريح، ولكن هذا بعيد إذ لم يوجد له نظير فى الكلام العربى، فالفرق بين السكاكى وغيره أن السكاكى يرى أن كل مكنية معها تخييلية ولا عكس وغيره (الا الزمخشرى) يقول إنهما متلازمتان .

الأسـدية له ، ولا يقـال لمن سمى انسانا أسـدا إنه صيره أسـدا وأثبت الأسدية له

(٤) أن اطلاق اسم الأسـد على الرجل الشـجاع فى أى لغة لأجل الاستعارة طريق مستعمل سائغ ، واطراد ذلك فى اللغات كلها يدل على أن المسـتعار معنى الأسد لا اسمه .

الاستعارة مجاز لغوى لا عقلى

مما تقدم فهم بعضهم أن الاستعارة مجاز عقلى لا لغوى لأنها تصرف فى المعنى لا فى اللفظ (١) ، فنى قوله :لدى أسـد شاكى السلاح . قد أثبت الأسدية لرجل شجاع ، ونقل الرجل الشجاع من نوع الانسان الى جنس السبع مدعيا أنه فرد من أفراده ، فيكون لفظ أسد مستعملا فيما وضع له ، والا لما صح التعجب فى قوله :

قامت تُظَلِّلُنى من الشمس نفس أعز علىَّ من نفسى
قامت تظللنى ومن عَجَب شمسٌ تظللنى من الشمس

---

(١) المجاز العقـلى يطلق على أمرين الأول إسـناد الشيء إلى غير ما هو له والآخر التصرف فى المعانى العقلية على خلاف ما فى الواقع ، والمراد هنا الثـانى الذى هو التصرف فى أمر يدرك بالعقل وذلك الأمر هو ادعاء أن المشبه داخل فى المشبه به وفرد من أفراده ، وجعل المشبه به شاملا للمشبه تقديرا ولو لم يكن كذلك فى الواقع ، وإذا كان هذا أمرا عقليا فالاستعارة التصريحية أمر عقلى لأنها مبنية على ادعاء دخول المشبه فى المشبه به.

ولا النهى عن التعجب فى قوله :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر (١)

اذ لو روعى التشبيه فيهما ، وأن المقصود فى الأول محبوب كالشمس وفى الثانى قد زر أزراره على جسم كالقمر — ما كان هناك معنى للتعجب فى الأول ولا للنهى عنه فى الثانى .

والجمهور يردون على هذا بأن اللفظ موضوع للمشبه به لا للمشبه ولا للأعم منهما ، فأسد موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الجرىء ولا للجرىء مطلقا ، ولو كان موضوعا لأحدهما لكان استعماله فى الرجل الشجاع حقيقة . ألا ترى أنك لو قابلت عليا فقلت قابلت رجلا كان هذا حقيقة لا مجازا ، لأنه استعمال للجنس فى بعض أفراده ، ولا كذلك الأسد فى الرجل الشجاع . أما ادعاء دخول المشبه فى أفراد المشبه به فلا يقتضى أن لفظ المشبه به مستعمل فيما وضع له ، لأن هذا الادعاء مبنى على جعل

---

(١) جعل صاحب الغلالة نفس القمر وضوء القمر يبلى ثياب الكتان إذا تعرضت له . وقد قيل : من عيوب القمر أنه يهدم العمر ويحل الدين ويوجب أجرة المنزل ويفسد اللحم ويبلى الكتان ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق . وفى معنى هذا البيت قول الآخر :

ترى الثياب من الكتان يلمحها نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تُبْلَىَ معاجرها والبدر فى كل وقت طالع فيها

والمعاجر جمع معجر وهو ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ثم تتجلبب فوقه بجلبابها .

أفراد الأسد بطريق التأويل قسمين : أحدهما المتعارف وهو الذى له غاية الجراءة فى الشكل المخصوص ، وثانيهما غير المتعارف وهو الذى له تلك الجراءة لا فى ذلك الشكل ، ولفظ أسد موضوع للمتعارف لا للجراءة وحدها ، فاذا أجرينا لفظ أسد على الرجل الشجاع تبعا لثبوت الجراءة فيه فقد سلبنا الصيغة بعض ما تدل عليه وضعا وهو بنية الأسد وصورته ، وبهذا نكون قد أزلنا اللفظ عما وضع فى الأصل بازائه . فاستعماله فى غير المتعارف استعمال للفظ فى غير ما وضع له ، والقرينة هى التى تمنع من إرادة المعنى المتعارف وتعين غير المتعارف.

وأما التعجب والنهى عنه فى هذين المثالين وأشباههما ، فقد سوغهما تنزيل الاستعارة منزلة الحقيقة بتناسى التشبيه الذى تبنى عليه الاستعارة قضاء لحق المبالغة فيها .

الفرق بين التشبيه والاستعارة

(١) فى التشبيه الصريح تذكر الأداة أو الوجه أوكلاهما أو يحذفان ، وعندئذ يكون للتشبيه صور مخصوصة تقدمت أول الكتاب . أما الاستعارة فتشبيه حذف أحد طرفيه والوجه والأداة فهى أخصر ، ويقع فيها المستعار فاعلا أو نائب فاعل أو مبتدأ أو مفعولا به أو مجرورا نحو أقبل الأسد وقُتِلَ الأسد والأسد مقبل ونحو :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العنَّاب بالبرد

وكذلك يقع المستعار صفة أو خبرا لغير المشبه(١) نحو : (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (٢)) ونحو (بريح صرصر عاتية (٣)) ونحو : هذه الريح عقيم . ولا يجمع بين طرفى الاستعارة على أى صورة من صور التشبيه السابقة ، وقد يجمع بينهما على صورة أخرى كقوله : قد زر أزراره على القمر . غير أن وجود طرفيها معا يضعفها (٤) إذ يجعلنا نشم منها رائحة التشبيه (٥) ، وإشمام رائحته يبطل الغرض من الاستعارة ،

---

(١) فى التشبيه يقع المشبه به خبرا عن المشبه نفسه أو صفة له .

(٢) العقيم حقيقته غير المفيدة التى لا تلقح شجرا ولا تأتى بمطر كما سيأتى .

(٣) عاتية حقيقته شديدة مفسدة ومن هذا تتبين أن المستعار لم يكن خبرا عن المستعار له ولا صفة له فى الأمثلة الثلاثة .

(٤) تحسن الاستعارة بشيئين : الأول أن يراعى فيها ما روعى فى التشبيه من جهات الحسن ، والثانى ألا يكون فيها ما تشم منه رائحة التشبيه

(٥) قال الدسوقى : اعلم أن شم رائحة التشبيه لفظا إما أن يكون ببيان المشبه به بالمشبه كما فى قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) وإما أن يكون بذكر وجه الشبه نحو : رأيت أسدا فى الشجاعة ، وإما أن يكون بذكر الأداة نحو : زيد كالأسد ، وإما أن يكون بذكر الطرفين على وجه لا ينبىء عن التشبيه كما فى قوله : قد زر أزراره على القمر . وإشمام رائحة التشبيه لفظا فى الثلاثة الأول مبطل للاستعارة أما فى الرابع فلا يبطلها إلا أنها تكون قبيحة اهـ باختصار . ولعل القبح إنما يتجه إلى كونه استعارة لأن الاستعارة تبنى على حذف أحد الطرفين، أما التركيب فى ذاته فمن أبلغ التشبيهات وأجودها . ويرى الأستاذ نجاتى أن هذا التركيب يعد من أنواع التجريد البديعى الذى ينتزع فيه المشبه به من المشبه على حد قول أرطاة بن سهية :

وذلك الغرض هو تأكيد المبالغة فى التشبيه بادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به.

(٢) أن التشبيه يأتى فيما ظهر وجهه وما خفى، وكلما احتاج فيه الوجه إلى إمعان فكر وتدقيق نظر كان أغرب وأجود. أما الاستعارة فينبغى أن يكون الوجه فيها جليا(١) لئلا تصير لغزا من الألغاز؛ فالتشبيه أعم. وكل استعارة يصح أن تكون تشبيها وليس كل تشبيه صالحا لأن يكون استعارة (٢). ففى قوله صلى الله عليه وسلم: الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة (٣). ليس لك أن تقول فيه: رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة لخفاء الوجه.

إن تلقنى لا ترى غيرى بناظرة تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد

ولا تخفى بلاغة هذا الأسلوب الذى يدعى فيه أن القمر أو الأسد هما هذان الجرمان الحقيقيان انتزعا من المشبه وهو المحبوب الجميل والرجل الجرىء مبالغة فى وصفهما بالشجاعة والحسن اه بلفظه.

(١) قد يقال إن جهات حسن الاستعارة هى جهات حسن التشبيه، ومن جملتها أن يكون وجه الشبه بعيدا غريبا، فاشتراط جلائه فى الاستعارة ينافى ذلك. والجواب أن الجلاء والخفاء كلاهما مما يقبل الشدة والضعف، فيجب أن يكون من الجلاء بحيث لا تصير الاستعارة مبتذلة، ومن الغرابة بحيث لا تصير لغزا.

(٢) نعم تحسن الاستعارة ويقبح التشبيه وإن كان جائزا إذا قوى الشبه بين الطرفين حتى اتحدا فأصبحا بحيث يفهم من أحدهما ما يفهم من الآخر لكثرة الاستعمال كالعلم والنور والشبهة والظلمة، فاذا فهمت مسألة تقول: حصل فى قلبى نور، وإذا وقعت فى شبهة تقول: وقعت فى ظلمة ولا تقول فى الأول: حصل فى قلبى علم كالنور، ولا فى الثانى: وقعت فى شبهة كالظلمة

(٣) الراحلة البعير الذى يرتحله الرجل جملا كان أو ناقة. يريد أن المرضى المنتخب من

(٣) أن الاستعارة مع اختصارها تفيد المبالغة فى التشبيه قال الجرجانى : ألا ترى أنك تفيد بالاسم الواحد الموصوف والصفة والتشبيه والمبالغة فيه ، لأنك تفيد بقولك : رايت أسدا : أنك رأيت شجاعا شبيها بالأسد ، وأن شبهه به فى الشجاعة على أتم ما يكون وأبلغه حتى أنه لا ينقص عن الأسد فيها . وقال فى موضع آخر: ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ ، حتى تُخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر

مزايا الاستعارة

مما تقدم تفهم بعض مزايا الاستعارة وفضلها على التشبيه ، وهى طبعا أبلغ من الحقيقة ونزيدك إيضاحا لمزاياها بالأمثلة الآتية :

(١) (اشتعل الرأس شيبا) : حقيقته كثر الشيب فى الرأس وظهر ، واستعارة الاشتعال أبلغ لفضل ضياء النار على بياض الشيب ، ولافادتها القوة فى ظهور الشيب ، ففيها إخراج الظاهر فى صورة شىء أشد منه ظهورا وأسرع منه انتشارا ، زيادة فى الايضاح ، وإشعارا بأن الشيب لا يتلافى انتشاره كما لا يتلافى اشتعال النار .

الناس فى عزة وجوده كالنجيبة المنتخبة التى لا توجد فى كثير من الابل . شبه حال الناس من حيث عزة وجود الكامل مع كثرتهم بحال الكثير من الابل ، لا يجد فيها الانسان ما يرتحله ، فهو تشبيه تمثيل لأن الوجه منتزع من متعدد.

(٢) (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه [١]) : حقيقته بل نورد الحق على الباطل فيذهبه ، والقذف أبلغ من الايراد لما فيه من شدة الوقع، وفى شدة الوقع بيان القهر، وفى القهر هنا بيان إزالة الباطل على جهة الحجة القوية لا على جهة الشك والارتياب ، وفى هذا من التوكيد ما فيه ، والدمغ أيضا أشد من الأذهاب لأن الدمغ فيه من شدة التأثير وقوة النكاية ما ليس فى الاذهاب .

(٣) (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) [٢] وحقيقته الريح التى لا تلقح شجرا ولا تأتى بمطر ، فلا يكون لها أثر من نبات وثمر ، وقد كان العرب مولعين بالأبناء يعتزون بهم ويتفاخرون بكثرتهم ، فكان من أبغض الأشياء إليهم عقم المرأة لما فيه من حرمانهم أعز أمانيهم وزينة حياتهم ، وفى الاستعارة تصوير لتلك الريح بصورة ينفر منها العربى، مع ما فيها من الايجاز والمبالغة فى التشبيه .

(٤) (بريح صَرْصَر عاتية [٣]) أى شديدة مفسدة والاستعارة أبلغ لما فى العتو من معنى التمرد المؤذن بالقوة .

(٥) (وكذلك أعْثَرْنا عليهم) وحقيقته أَطْلَعْنَا عليهم والاستعارة

(١) دمغه شجه حتى بلغت الشجة الدماغ ، والدمغ كسر الصاقورة عن الدماغ وهو حشو الرأس . ودمغه غلبه وقهره وأخذه من فوق .

(٢) شبه خلو الريح من الفائدة بالعقم بجامع الكراهة لعدم الاثمار فى كل ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية ، ثم اشتق منه عقيم بمعنى خالية من الفائدة على سبيل الاستعارة التبعية .

(٣) شبهت شدة الريح بعتو الانسان بجامع الافساد وتجاوز الحد فى كل ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه .

تشعر بغفلة القوم عمن أطلعوا عليهم إلى أن رأوهم

(٦) (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) حقيقته لما علا الماء وطمى حتى جاوز حده ، والاستعارة أبلغ لما فيها من الدلالة على القهر المفهوم من الطغيان ؛ إذ الطغيان غلبة وقهر ، فالاستعارة أفهمت معنى لا يفهم من الحقيقة.

(٧) (مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) حقيقته أزعجوا فاضطربوا اضطرابا شديدا ، وزلزلوا أبلغ من أى لفظ كان يعبر به عن غلظ ما نالهم

(٨) قال صلى الله عليه وسلم لحادى مطيه : يا أنجشة رفقا بالقوارير . وحقيقته رفقا بمن هن فى ضعف النحائز ووهن الغرائز ، وتمكن الفساد من نفوسهن إذا تسرب إليهن كالقوارير التى يوهنها الخفيف ويصدعها اللطيف ، فلا تقبل الجبر بعد الكسر ، لا تحركْ بالنسيب صبوتهن الى غير الجميل (١) . انظر كيف أدى بهذه العبارة العجيبة الموجزة كل هذا الغرض الشريف بلفظ عفيف !

من هذا يتبين أن الغرض من الاستعارة شرح المعنى وفضل الابانة عنه ، أو توكيده والمبالغة فيه ، أو الاشارة إليه بقليل من اللفظ ، أو حسن

---

(١) النحيزة الطبيعة . وكان أنجشة يحدو ركابهن ويرتجز بالنسيب وراءهن ، فلم يؤمن أن يصيبهن ما يسمعن من رقيق الشعر أو يقع فى قلوبهن حداؤه ، فأمر النبى أنجشة أن يكف عن نشيده وحدائه حذار صبوتهن إلى غير الجميل . وقيل أراد أن الابل إذا سمعت الحداء أسرعت فى المشى فأزعجت الراكب وأتعبته . فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة اه من لسان العرب والمجازات النبوية ، وإذا فأنت ترى من بلاغة الاستعارة هنا أن المعنى المقصود إنما فهم من قرينة الحال ، وإن كان الذى يؤذن به اللفظ والعرف هو المعنى الثانى .

المعرض الذى يبرز فيه ذلك المعنى، فكثيرا ما تخرج المعنى الخفى محسوسا كان أو معقولا فى صورة الجلى المحسوس، فتفعل فى نفس السامع من التأثير مالا تفعله الحقيقة.

اللفظ المستعار

كما تبنى الاستعارة على تناسى التشبيه تقتضى دخول المشبه فى جنس المشبه به وصيرورته فردا من أفراده ادعاء كما سبق، وهذا لا يمكن إلا إذا كان المستعار جنسا لا علما؛ لأن العلمية تقتضى منع الاشتراك والجنسية تقتضى العموم، أو كان علما متأولا فيه بتضمينه نوعا من الوصفية كأن تقول: زرت اليوم حاتما، أو تقول: لم أسأل مادراً. كأن الأول موضوع للمتناهى فى الجود، والآخر موضوع للمتناهى فى البخل فيتناول كل منهما الفرد المتعارف وغير المتعارف، ويكون استعماله فى الأول حقيقة، وفى الآخر استعارة، كما سيأتى فى باب الاستعارة الأصلية.

الفرق بين الاستعارة والكذب

الاستعارة تفارق الكذب ببنائها على التأويل السابق وبنصب القرينة المعينة للمعنى المراد.

قرينة الاستعارة

سبق تعريف القرينة وأنها إما لفظية وإما عقلية، وهنا نقول إنها فى

الاستعارة التصريحية من ملائمات المشبه، وفى المكنية من ملائمات المشبه به، ثم هى إما أمر واحد نحو (إنا لما طغى الماء) ونحو (فأهلكوا بريح صرصر عاتية) فقد استعير الطغيان للكثرة والزيادة المفرطة والماء هو القرينة، واستعير العتو للشدة المفسدة والريح هى القرينة وإما، أمران أو أكثر (١) كل منها كاف وحده فى الدلالة على الاستعارة كقوله:

فان تعافوا العدل والايمانا فان فى أيماننا نيرانا (٢)

فكل من العدل والايمان باعتبار تعلقه بالعيافة قرينة على أن المراد بالنيران السيوف لا النيران الحقيقية، لأن الذى يدعو إلى العدل والايمان آخذ بالشريعة وليس فيها إحراق من يعافهما، بل هى تدعو إلى قتاله حتى يرجع إليهما، والقتال عندهم إنما كان بالسيوف لا بالنيران وكقوله:

تَقْرِى الرياحُ رياضَ الحَزْنِ مزهرةً إذا سرى النومُ فى الأجفان إيقاظا

يقول: جعلت الرياح الايقاظ قرى للرياض لأنها تهزها كلما هبت

(١) معنى هذا أنه يجوز تعدد القرينة، فلا يكون ما زاد منها على الواحد تجريدا إذا كان من ملائمات المشبه فى التصريحية، ولا ترشيحا إذا كان من ملائمات المشبه به فى المكنية وقال بعضهم: لا يجوز تعدد القرينة لأن الصرف عن إرادة المعنى الوضعى إن كان بمجموع تلك الأمور فالقرينة غير متعددة، وإن كفى فيه أحدها فلا حاجة لما عداه فيكون تجريدا أو ترشيحا.

(٢) العدل والايمان كل منهما قرينة باعتبار تعلق العيافة به ولا يجوز أن يكون أحدهما تجريدا لأن مجموع الأمرين بمنزلة الشرط فكأنهما شىء واحد لكن لو انفرد كل منهما لصح قرينة.

عليها ، فاستعار القرى لا كسابها الايقاظ ، والقرى هو الاحسان إلى الضيف ، فلا يكون من الرياح ولا للرياض ولا بالايقاظ ، فكل من فاعل يقرى ومفعوليها صالح لأن يكون وحده قرينة (١) . ألا ترى أن المفعول الثانى كان وحده قرينة على التجوز بهذا الفعل فى قول القائل :

نَقْريهم لهذَميات نَقُدّ بها ما كان خاط عليهم كلُّ زَرّاد (٢)

ومثله يقال فى « سرى النوم فى الأجفان » أى حصل ، فقد استعير السرى للحصول، والسرى لا يكون من النوم ولا فى الأجفان ، فكل منهما قرينة على هذه الاستعارة ، وكل منهما يكفى وحده لأن يكون قرينة . وإما معان ملتئمة تكون القرينة من مجموعها كقوله :

وصاعقة من نصله تنكفى بها على أرؤس الأقران خمسُ سحائب (٣)

فقد ذكر أن هناك صاعقةً : ثم قال من نصله ، ثم قال على أرؤس الأقران ، ثم ذكر عدد أصابع اليد ، فبان من مجموع ذلك غرضه من السحائب وهو الأصابع ، لما بينها وبين السحائب من جامع النفع وعموم العطاء .

---

(١) لا يجوز أن يكون بعض هذه القرائن الثلاثة تجريدا كما قيل فى العدل والايمان

(٢) اللهذم من الأسنة القاطع . واللهذميات نسبة إليه يريد بها الطعنات . والزراد صانع الزرد بفتحتين وهى الدرع التى تداخل حلق بعضها فى بعض .

(٣) قد يقال إن قوله : وصاعقة من نصله كاف وحده للدلالة على الاستعارة وكذا قوله على أرؤس الأقران وكذا تحديد العدد بخمس فالقرينة متعددة لا معان ملتئمة إلا أن يراد بالتئامها أنها ربطت لا على وجه العطف المؤذن بالاستقلال .

الاستعارة باعتبار طرفيها

الاستعارة باعتبار طرفيها إما وفاقية وإما عنادية. فالوفاقية ما يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد لعدم تنافيهما، والعنادية ما لا يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد لتنافيهما، وقد اجتمعا فى قوله تعالى «أو من كان ميتا فأحييناه» أى ضالا فهديناه. شبه الهَدْىَ بالاحياء لما يترتب على كل منهما من النفع والمآثر، ثم استعير لفظ الاحياء للهدى، والاحياء والهدى يمكن اجتماعهما فى شىء واحد، وقد اجتمعا فى الله تعالى فهو مُحْىٍ وهاد فاستعارة الاحياء للهدى وفاقية، وشبه ضلال الحى بموته دون اعتداد بوجوده الحاصل، بجامع أن كلا من الضلال والموت لا نفع معه، واستعير الموت للضلال، والضلال جحد والجحد لا يقع من الميت، فالموت والضلال لا يجتمعان فى شى واحد، فاستعارة الموت للضلال عنادية؛ ومن العنادية التهكمية أو التمليحية، وكلاهما إطلاق اللفظ الموضوع لمعنى شريف على ضده أو نقيضه [1] كأن تقول للجبان: يا أسد [2] وللأسود يا أبيض [3]

---

(١) الضدان الأمران الوجوديان اللذان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالبياض والسواد، والنقيضان الأمران اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان، وأحدهما وجودى والآخر عدمى.

(٢) نزل التضاد منزلة التناسب فشبه الجبان بالأسد بجامع الشجاعة فى كل، وإن كانت تنزيلية فى الجبان، واستعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية عنادية تهكمية.

(٣) وكذلك نزل التضاد منزلة التناسب فشبه السواد بالبياض بجامع الحسن فى كل وإن كان ادعائيا فى السواد، فالاستعارة فى «يا أبيض تبعية»

فاذا كان الغرض من ذلك الاستهزاء والسخرية فالاستعارة تهكمية ، وإن كان الغرض تصوير القبيح بصورة يستحسنها السامع فهى تمليحية . ومن التهكمية قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم (١) » وقوله جل شأنه : « فاهدوهم إلى صراط الجحيم (٢) »

الجامع

الجامع فى الاستعارة كوجه الشبه فى التشبيه أى ما قصد اشتراك الطرفين فيه ، وسمى جامعا لأنه جمع المشبه فى أفراد المشبه به تحت مفهومه وأدخله فى جنسه ادعاء ، ولا بد أن يكون فى المستعار منه أقوى لأن الاستعارة مبنية على المبالغة فى التشبيه ، والمبالغة فيه توجب إبلاغ المشبه لما هو أكمل. (٣)

---

(١) نزل التضاد منزلة التناسب فشبه الانذار بالتبشير بجامع إدخال السرور فى كل ، وإن كان تنزيليا بالنسبة للمشبه ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية عنادية ، ثم اشتق منه بشر بمعنى أنذر على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية .

(٢) الهداية الدلالة بلطف ، استعاره للعتل وهو الأخذ بمجامع الشىء وجره بقهر . قال تعالى (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم) ويقال فى إجرائها : نزل التضاد منزلة التناسب فشبه العتل بالهدى بجامع الخير والنفع فى كل ، وإن كان إدعائيا فى المشبه .

(٣) أما فى التشبيه فيكفى أحيانا أن يكون المشبه به مساويا للمشبه أو مسلما به أو أعرف كما تقدم فى أغراض التشبيه .

أقسام الاستعارة باعتبار الجامع

(ا) إما داخلية ، إما غير داخلية .

(ب) إما عامية ، وإما خاصية .

فالداخلية ما كان الجامع فيها داخلا في مفهوم الطرفين بأن كان جنسا أو فصلا (١) كاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة في قوله تعالى: «وقطعناهم في الأرض أمما (٢)» ، فان الجامع إزالة الاجتماع ، وهي داخلة في مفهوم التقطيع لأنه موضوع لازالة الاجتماع في الأشياء المتماسكة (التي يلتزق بعضها ببعض) وداخلة في مفهوم تفريق الجماعة ، لأن التفريق موضوع لازالة الاجتماع في الأشياء غير المتماسكة ، وإزالة الاجتماع في التقطيع أقوى وأشد ، ويصعب أن يكون بعده اجتماع ، ولا كذلك التفريق ، وكاستعارة الخياطة للسرد في قول القطامي :

لم تَلْقَ قوما هُمُ شر لاخوتهم   مِنّاً عشيةَ يجرى بالدم الوادى

---

(١) من الأمثلة الآتية يتبين لك أن وجه الشبه الداخل في مفهوم الطرفين لا يضعف من قيمة الاستعارة ، أما في التشبيه فلا يكاد يكون إلا عند التفريع والتوبيخ كما تقدم .

(٢) شبه تفريق الجماعة بالتقطيع بجامع إزالة الاجتماع في كل، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية ، ثم اشتق منه «قطع» بمعنى فرق على سبيل الاستعاره التبعية.

قريهم لهذميات نقد بهـــا ماكان خاط عليهم كل زراد (١)

فان الخياطة تضم خرق القميص والسرد يضم حلق الدرع، فالجامع بينهما الضم وهو داخل فى مفهومها، وهو فى الأول أشد، وكاستعارة النثر لاسقاط المنهزمين وتفريقهم بلا نظام فى قول المتنبي يخاطب سيف الدولة:

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة كما نُثِرَتْ فوق العروس الدراهم (٢)

لأن النثر جمع الأشياء فى كف أو وعاء أو نحوهما، ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتب ولا نظام، وقد استعاره لما يتضمن

---

(١) القرى الاحسان إلى الضيف. واللهذميات الطعنات الواسعة. والزراد صانع الزرد وهى الدرع. وفى إسناد الجرى للوادى مجاز عقلى والمراد جرى الوادى بالدم وكنى بهذا عن الحرب واشتدادها، وفى نقرى استعارة تهكمية: نزل التضاد منزلة التناسب فشبه الطعن (وهو إساءة) بالقرى وهو إحسان، بجامع الاحسان فى كل وإن كان ادعائيا فى الأول، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية عنادية تهكمية، ثم أخذ منه نَقْرِى بمعنى نَطعن على سبيل الاستعارة التبعية، وفى خاط استعارة تبعية شبه السرد بالخياطة بجامع الضم فى كل.

(٢) الأحيدب جبل بنى عليه سيف الدولة قلعة سماها الحدث. يقول فرقتهم على هذا الجبل مقتولين ونثرتهم نثر الدراهم على العروس فتفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تتفرق مواقع الدراهم إذا نثرت. شبه إسقاط المنهزمين بلا نظام فى جهات مختلفة بالنثر بجامع التفريق فى كل. وفى البيت أيضا تشبيه مرسل طرفه الأول نثرة وطرفه الثانى المصدر المؤول من ما المصدرية والفعل، أى نثرتهم نثرة كنثرة الدراهم فوق العروس

التفريق على الوجـه المخصوص، وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين فى الحرب دفعة واحدة من غير ترتيب ولا نظام، ونسبه إلى الممدوح لأنه سببه (١).

وكاستعارة الطيران للعدو فى قول امرأة من بنى الحارث ترثى قتيلا فى الحرب:

لو يشا طار به ذو ميعـة   لاحق الآطال نهد ذو خصل (٢)

وفى قول رسول الله صلى الله عليه وسـلم: خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها. (٣) فان الطيران والعدو يشتركان فى أمر داخل فى مفهومهما وهو سرعة القطع، على رأى من يقول إن الطيران

(١) ففى نثرتهم مجاز عقلى من إسناد الفعل إلى سببه.

(٢) الميعة النشاط. وماع الماء والدم يميع ميعا جرى على وجه الأرض جريا منبسطا فى هينة. وميعة جرى الفرس أنشطه. واللاحق الضـامر. والأطل بكسرتين أو بكسر فسكون الخاصرة. والخصلة الشعر المجتمع أو هى لفيفة من الشعر ويريد بالخصل هنا ما تدلى من أطرافه. وفرس نهد جسيم مشرف. يقول لو شاء هذا الذى قتل فى الحرب أن يفر به فرسه وينجيه بسرعة عدوه من القتل لفعل وأسرع إسراعا شبيها بالطيران، وبعبارة أخرى لفر به فرس ذو ميعة ونشاط فى سيره ضامر البطن مرتفع ذو شعور متدلية (وهذه الأوصاف ممدوحة فى الفرس) إلا أنه وطن نفسه على الموت مخافة العار. شبه العدو بالطيران بجامع السرعة فى كل ثم استعير لفظ الطيران للعدو.

(٣) الهيعة الصيحة يفزع منها وأصلها من هاع يهيع إذا جبن يقول: خير الناس رجل مستعد للجهاد كلمـا سمع صيحة الحرب طار إليها.

قطع المسافة بسرعة فى الهواء أو بالجناح، والعدو قطعها بسرعة فى الأرض أو بالأقدام. أما من يقول إن الطيران قطع المسافة فى الهواء أو بالجناح والسرعة لازمة له فى الأكثر، فان الجامع لا يكون داخلا فى مفهومه، فلا يكون داخلا فى مفهوم الطرفين بل فى مفهوم أحدهما وهو العدو، فلا تكون الاستعارة داخلية.

وكاستعارة الفيض لظهور الصبح فى قول البحترى:

يترا كمون على الأسنة فى الوغى كالصبح فاض على نجوم الغيهب (١)

فان الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص، وذلك أن يفارق مكانه دفعة فينبسط، وللصبح انبساط شبيه بذلك فهو يظهر دفعة واحدة فينبسط فى الكون.

وغير الداخلية ما كان الجامع فيها غير داخل فى مفهوم الطرفين، بأن كان خارجا عن كل منهما، أو كان داخلا فى مفهوم أحدهما دون الآخر، فالأول كاستعارة لفظ الشمس لانسان متهلل، فالجامع التهلل وهو غير داخل فى مفهوم الطرفين؛ والثانى كاستعارة الطيران للعدو، باعتبار أن السرعة داخلة فى مفهوم العدو، لا فى مفهوم الطيران كما تقدم.

---

(١) فى فاض استعارة تصريحية تبعية. شبه ظهور الصبح بفيض الماء، بجامع أن كلا ينبسط على ما عداه بسرعة. وفى البيت تشبيه هيئة الممدوحين وهم يتزاحمون فى حومة القتال وعليهم دروعهم تفيض أشعتها فيختفى العدو أمامهم بهيئة الصبح وقد انتشر ضوءه فأخفى النجوم. فالبحترى يمدحهم بالشجاعة وكثرة العدد والعدد اللامعة إلى حد أنهم متى ظهروا اختفى أعداؤهم.

والعامية أو المبتذلة هي ما ظهر فيها الجامع بحيث تفهمه العامة، كاطلاق الأسد على الرجل الشجاع : فان الجامع وهو الجراءة أمر واضح يدركه عامة الناس لاشتهار الأسد بها .

والخاصية هي التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة ، وتسمى غريبة أيضا ، وغرابتها على ثلاثة أنواع :

الأول : أن تكون في نفس الشبه بين الطرفين : بأن تكون الاستعارة مبنية على تشبيه غريب [١] كقول الشاعر (يصف فرسا بأنه مؤدب إذا نزل عنه وشد عنانه بقربوس سرجه لا يدع مكانه حتى يعود إليه) :

وإذا احتبى قربوسه بعنانه علك الشكيم إلى انصراف الزائر [٢]

---

(١) المراد من الغرابة ألا تصل من الخفاء إلى حد الالغاز ، كما تقدم في الفرق بين التشبيه والاستعارة وإلا ساءت الاستعارة .

(٢) القربوس بفتح القاف والراء حنو السرج وهما قربوسان (ا) المقدم وفيه العضدان وهما رجلا السرج ويقال لهما حنواه (ب) والقربوس الآخر فيه رجلا المؤخرة وهما حنواه . والشكيم والشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس ، وأراد بالزائر نفسه وقربوس فاعل احتبى ، جعله بمنزلة الرجل المحتبي كأنه ضم إليه فم الفرس ورأسه كما يضم الرجل إلى ظهره ركبتيه بثوب ونحوه . والاحتباء شد ركبتي الرجل إلى بطنه بنحو ثوب يمتد من الجانبين إلى ظهره . شبه شد فم الفرس إلى القربوس بعنانه الممتد بجانبي الفم والعنق بالاحتباء ، ثم استعار لفظ الاحتباء لشد فم الفرس إلى القربوس ، ولما كان المستعار لفظا مفردا كانت الاستعارة مفردة لا تمثيلية ، وإن كان الوجه هيئة .

فقد استعار الاحتباء لوقوع عنان فرسه من فمه إلى قربوس السرج ممتدا على جانبى العنق، بجامع أن كلا تقاربا برابط يربطهما على صورة واحدة، جاعلا مقدمها أعلى من مؤخرهما، فجاءت الاستعارة غريبة: لما فى وجه الشبه من كثرة التفصيل، مع ما بين الطرفين من التباعد فى الذهن فان أحدهما من وادى الركوب والآخر من وادى القعود للسمر ونحوه.

وكما فى قول طفيل الغنوى:

وجعلتُ كُورى فوق ناجية يقتات شحم سَنامها الرَّحْلُ (١)

فقد استعار الاقتيات لاذهاب الشحم، وهى استعارة غريبة، وإن كان الشحم مما يقتات لخفاء الجامع فيها؛ وهو الافناء التدريجى فى كل، فاقتيات الزاد ينقصه شيئا فشيئا حتى يفنى، والرحلة تهزل الناقة شيئا فشيئا فينقص شحم سنامها تدريجا، والرحل هو الذى يلازم السنام طول الرحلة، فكأنه هو الذى يأكل شحمه، ففيه أيضا إسناد فعل الرحلة إلى غير ما هو له وهو الرحل، وهو تجوز لطيف يزيد الاستعارة الأولى غرابة على غرابتها.

الثانى أن تحصل الغرابة بتصرف فى الاستعارة العامية؛ بأن يضم إليها تجوز لطيف اقتضته الحال كما فى قول كثير عزة:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسح
وشُدَّت على دُهْم المطايا رحالنا ولم يَنْظُر الغادى الذى هو رائح

---

(١) الكور: الرحل. والناجية: الناقة المسرعة. والاقتيات: اتخاذ القوت. يقول: أذهبت شحم سنامها وهزلتها بوضع الرحل عليها دائما. يصف نفسه بكثرة الأسفار.

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننـا وسالت بأعناق المطى الأباطح (١)

يريد بقوله سالت بأعناق المطى الأباطح أن الابل سـارت سـيرا

(١) الأدم : الأسود ، ولم ينظر أى لم ينتظر فهو متعد والذى مفعوله . والأبطح مسيل الماء الذى فيه دقاق الحصا . وقد اختلف فى قيمة هذه الأبيات . فقال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء (فى بيان أضرب الشعر) : وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فاذا أنت فتشته لم تجد هناك طائلا كقول القائل : ولما قضينا الأبيات . ثم قال: وهذه الألفاظ أحسن شيء مطالع ومخارج ومقاطع، فاذا نظرت إلى ما تحتها وجدته: ولما قضينا أيام منى ، واستلمنا الأركان ، وعالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناس لا ينظر من غدا الرائح . ابتدأنا فى الحديث ، وسارت المطى فى الأباطح اهـ. أما الجرجانى فى أسرار البلاغة فقد أطنب فى مدحهـا إلى أن قال : وأول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال : ولمـا قضينا من منى كل حاجة ، فعبر عن قضـاء المناسك بأجمعها ، والخروج من فروضها وسننها ، من طريق أمكنه أن يقصر معه اللفظ ، وهو طريقة العموم ، ثم نبه بقوله : ومسح بالأركان من هو ماسح على طواف الوداع الذى هو آخر الأمر ، ودليل المسير الذى هو مقصوده من الشعر ، ثم قال : أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ، فوصل بذكر مسح الأركان ما وليه من زم الركاب وركوب الركبان ، ثم دل بلفظة (الأطراف) على الصفة التى يختص بهـا الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول وشجون الحـديث ، أو ما هو عادة المتظرفين من الاشارة والتلويح والرمز والايمـاء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس ، وقوة النشاط ، وفضل الاغتبـاط ، كما توجبه ألفة الأصحـاب وأنسة الأحبة ، وكما يليق بحـال من وفق لقضـاء العبادة الشريفة ، ورجا حسن الاياب وتنسم روائح الأحبة والأوطان ، واستماع التهانى والتحايا من الخُلان والاخوان، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة الخ .

حثيثا فى غاية السرعة ، مع اختصاصه بلين وسلاسة ، حتى كأنها كانت سيولا وقعت فى تلك الأباطح فجرت بها ، فاستعار سيلان السيول فى الأباطح لسير الأبل سيرا حثيثا فيه لين وسلاسة . ومثل هذه الاستعارة فى الحسن وعلو الطبقة فى هذه اللفظة عينها قول ابن المعتز :

سالت عليه شعابُ الحيّ حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير (١)

أراد أنه مطاع فى الحى وأنهم يسرعون السرعة كلها إلى نصرته حين يدعوهم لخطب نزل ، فيكثرون عليه ويزدحمون حواليه كالسيول تجىء من كل جانب ، حتى يَغَصّ بها الوادى ، يفعلون ذلك ووجوههم مشرقة متهللة . ووجه الشبه أو الجامع وهو السرعة واللين معروف يدركه العامة ، ولكن حسن التصرف أفاد الاستعارة غرابة ولطفا ؛ إذ أسند الفعل المجازى وهو «سال» إلى الأباطح فى المثال الأول ، وإلى الشعاب فى المثال الثانى ، دون المطى وأعناقها ، والأنصار ووجوههم ؛ فأفاد أنه قد امتلأت الأباطح من الابل وامتلأت الشعاب من الرجال ، لأن نسبة فعل الحالّ إلى المحل كثيرا ما تشعر بشيوع الحالّ فى المحل وإحاطته بكله ، فلا يقال : سارت الأباطح إلا إذا امتلأت بالسائرين فيها ، كما لا يقال : جرى النهر إلا إذا عم الماء أجزاءه . لأنه قد جعل كل محل من الأباطح سائرا لاشتماله على ما هو سائر فيه من الابل ، ولو كان فى الأباطح مكان خال منها لصدق عليه أنه غير سائر لعدم اشتماله على ما يسير فيه .

(١) الشعاب جمع شعب بالكسر وهو الطريق فى الجبل ، والحسن فيه أنه استعار لفظ «سال» للسير الحثيث السلس اللين ، ثم أسنده إلى الشعاب التى فيها السير ، ثم وصفهم فى حال إسراعهم بما يثبت الشرف والكرم للداعى والمدعو من طلاقة الوجوه .

ومن هذا (واشتعل الرأس شيبا) أى انتشر شيب الرأس وظهر فيه كله ظهورا تاما ، فأسند الاشتعال الذى هو وصف الشعر المشتعل إلى محله : وهو الرأس ، إشعارا بأن الاشتعال قد عمه ، فكل جزء من الرأس مشتعل لاشتعال ما فيه ، ولو أن جزءا من الرأس لم يشب شعره لصدق عليه أنه غير مشتعل لعدم اشتماله على المشتعل .

وفى المثال الأول أدخل الأعناق فى السير ؛ لأن سرعة الأبل وبطأها يظهران غالبا فى أعناقها . وقد جرّ أعناق المطى بباء الملابسة التى تقتضى ملابسة الفعل للأعناق ، وأنها سائرة أيضا ، فيكون الفعل مسندا تقديرا للأعناق وهو مجاز عقلى .

فمع الاستعارة مجازان عقليان : أحدهما لفظى وهو إسناد الفعل إلى الأباطح ، والآخر تقديرى وهو إسناده إلى الأعناق ، وفى المثال الثانى إسناد الفعل لفظا إلى الشعاب التى ساروا فيها إلى الممدوح ، وإسناده تقديرا إلى وجوه الأنصار ، ووصفهم بما يثبت الشجاعة ، من طلاقة الوجوه المفهومة من تشبيهه إياها بالدنانير . هذا إلى أنه قال : سالت عليه فعدى الفعل إلى ضمير الممدوح بعلى ، وفيه ما فيه من المبالغة فى وصفه بأنه محبوب مطاع ، وكما فى قوله :

فرعاء إن نهضت لحاجتها عَجِل القضيب وأبطأ الدعصِ (١)

---

(١) فرعاء : طويلة الفرع ، وهو الشعر التام . والقضيب : الغصن أراد به القامة أو القد . والدعص: قطعة من الرمل مستديرة ، وأراد به ردفها . شبه قامتها أو قدها بالغصن . بجامع الاعتدال واللين فى كل . فوجه الشبه ظاهر . والاستعارة فى ذاتها

فقد استعار القضيب للقد، والدعص للردف، ثم أسند العجلة إلى القضيب، والابطاء إلى الدعص، إشارة إلى لطافه قدها وضخامة ردفها فقدها يساعدها على النهوض للطافته، وردفها يقعد بها ويبطئها لضخامته.

والثالث أن تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لالحاق الشكل بالشكل، كقول امرىء القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل (١)

لما أراد أن يلحق الليل بالشخص جعل لليل صلبا قد تمطى به، إشارة إلى طوله، ثم ثنى فجعل له أعجازا أردف بها الصلب، إشارة إلى أن الليل يرجع، على حين أنه رجا أن يكون قد ذهب، ثم ثلث فجعل له كلكلا إشارة إلى ثقله على ساهره، وضغطه على مكابده، فاستوفى جملة أركان الشخص وراعى ما يراه الناظر من جوانبه جميعا.

عامية. وكذلك شبه ردفها بكثيب الرمل. بجامع الضخامة فى كل. ولكن المجاز العقلى فى إسناد العجلة إلى القضيب. وإسناد الابطاء إلى الدعص أخرج الاستعارتين من الابتذال إلى الغرابة. لما فيه من الاشارة إلى لطافة قدها وضخامة ردفها. إلى حد أن قدها يساعدها على النهوض فيقعد به ردفها. كأن قامتها بلغت نهاية الحد المحدود من الدقة. وردفها بلغ نهاية الحد المحدود من الضخامة. وزادها حسنا الطباق البديعى بالجمع بين الابطاء والعجلة.

(١) التمطى: التمدد. وإنما يكون فى المحسوس. والصلب: الظهر. والارداف الاتباع. والأعجاز: المآخير. وناء: نهض. والكلكل: الصدر. استعار التمطى للطول استعارة تصريحية ليلائم الصلب. واستعار لأوائله لفظ الكلكل. ولمآخيره لفظ الأعجاز.

الاستعارة باعتبار الجامع والطرفين

والاستعارة باعتبار الجامع والطرفين ستة أقسام: لأن الطرفين إما حسيان، وإما عقليان، وإما مختلفان. فاذا كانا حسيين جاز أن يكون الجامع حسيا، أو عقليا أو مختلفا. ومتى كان أحدهما أو كلاهما عقليا فان الجامع لا يكون إلا عقليا، لاستحالة قيام الحسى بالعقلى، كما تقدم فى التشبيه.

فاستعارة المحسوس للمحسوس بجامع حسى كقوله تعالى: فأخرج لهم عجلا جَسَدا (١) له خُوار. فان المستعار منه ولد البقرة، والمستعار له الحيوان الذى كان من حلى القبط التى سبكتها نار السامرى، عندما ألقى فيها التربة التى أخذها من موطىء فرس جبريل. والجامع لهما الشكل والخوار، مجموعهما أو كل منهما على انفراد. وكقوله تعالى: «وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض». فان المستعار منه حركة الماء على الوجه المخصوص، والمستعار له حركة الخلق، أو حركة يأجوج ومأجوج، وهما حسيان، والجامع لهما ما يشاهد فى كل من شدة الحركة والاضطراب، وهو فى

(١) جسدا بدل من عجل. وكل خلق لا يأكل ولا يشرب كالملائكة والجن فهو جسد، وكان عجل بنى إسرئيل لا يأكل ولا يشرب. شبه الصورة التى سبكتها نار السامرى بابن البقرة، بجامع الشكل والخوار فى كل. ثم استعار لفظ المشبه به وهو «عجل» للمشبه. على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية. ويرى بعضهم أن الأصل «جسدا كالعجل» فهو تشبيه جاء فيه المشبه بيانا للمشبه به.

البحار أقوى وأشد (١) .

واستعارة المحسوس للمحسوس بجامع عقلى كقوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار (٢) فاذا هم مظلمون » أى نكشف ونزيل الضوء من مكان الليل وموضع ظلمته ؛ فالمستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وموضع ظلمته ، وهما حسيان : إما باعتبار الهيئة المحسوسة الحاصلة عندهما ، وإما باعتبار متعلقهما وهو الجلد والضوء ، وهذا كاف فى حسيتهما ، والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على أمر آخر ، كترتب ظهور اللحم على السلخ ، وترتب حصول الظلمة على إزالة ضوء النهار عن مكان ظلمة الليل ، والتعبير بالسلخ يوهم التحاما قويا بين الليل والنهار ؛ لأن السلخ إنما يكون فيما التحم بعضه ببعض ، ولهذا كان التعبير بالسلخ أبلغ من التعبير بالكشف أو الازالة أو الاخراج ، لما فيه من الاشعار بشدة الاتصال .

واستعارة المحسوس للمحسوس بجامع بعضه حسى وبعضه عقلى ، كقولك : رأيت بدرا يضحك ، وأنت تريد إنسانا شبيها بالبدر فى حسن

---

(١) يقال فى إجرائها : شبه تزاحمهم وتدافعهم بالموج المتلاطم فى البحار بجامع ما يشاهد فى كل منهما من الاضطراب وشدة الحركة ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحة الأصلية ثم اشتق منه « يموج » بمعنى يتزاحم ويتدافع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

(٢) شبه إزالة ضوء النهار عن مكان الظلمة بكشط الجلد . بجامع ترتب أمر على آخر ، وادعى أن المشبه من جنس المشبه به . واستعير السلخ للازاله استعارة تصريحية أصلية . ثم اشتق منه نسلخ بمعنى نزيل على سبيل الاستعارة التبعية.

الطلعة، ونباهة الشأن، والأول حسى، والآخر عقلى. وهذا النوع لا يكاد يوجد فى القرآن ولا فى الفصيح من كلام العرب.

واستعارة المعقول للمعقول كقوله تعالى: «من بعثنا من مرقدنا (١)» فان المستعار منه الرقاد أى النوم، والمستعار له الموت، والجامع لهما عدم ظهور الأفعال الاختيارية (٢)، والجميع عقلى.

---

(١) تنبيهات:

(ا) الرقاد بمعنى النوم عقلى لأن المراد به انتفاء الاحساس الذى يكون فى اليقظة لا آثار النوم من الغطيط وغمض العين ونحوهما.

(ب) القرينة فى هذه الآية كون هذا الكلام من كلام الموتى: (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) مع قوله: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) لأن الذى وعد به الرحمن وأنكره الكفار هو البعث لا الرقاد ولا يكون البعث قرينة لأنه مشترك بين الطرفين إذ يقال: بعثه من نومه أى أهبه وبعث الموتى: نشرهم.

(ج) مرقد مصدر ميمى أريد به الموت فالاستعارة أصلية أو اسم مكان فيكون المستعار منه محل الرقاد والمستعار له القبر وهما حسيان غير أنهم قالوا: إن المنظور له فى هذا التشبيه هو الموت والرقاد لأن المقصود بالنظر فى المشتقات جميعا إنما هو المعنى القائم بالمكان أو بالذات كالرقاد والموت هنا لا نفس المكان بالذات وعليه فالاستعارة تبعية ويقال فى إجرائها: شبه الموت بالنوم بجامع عدم ظهور الأفعال الاختيارية فى كل ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به «وهو الرقاد» للمشبه «وهو الموت» على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ثم اشتق منه مرقد بمعنى القبر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(٢) من شرط الجامع أن يكون فى المشبه به أقوى وعدم ظهور الأفعال الاختيارية الذى اعتبر جامعا فى هذا المثال ليس كذلك فهو فى المستعار له وهو الموت أشد

واستعارة المحسوس للمعقول (١) كقوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر» فان المستعار منه كسر الزجاجة، وهو حسى باعتبار متعلقه، والمستعار له تبليغ الرسالة ونشرها وهو عقلى، والجامع التأثير الذى لا يمكن معه رد كل منهما إلى ما كان عليه (٢). وكقوله تعالى: «وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى (٣)» فالمستعار منه العمى وهو حسى، والمستعار له الضلالة، وهى عقلية، والجامع عدم الاهتداء إلى النافع فى كل.

وكقوله تعالى: «ضربت عليهم الذلة (٤)» جعل الذلة مشتملة عليهم

لأن الموت لا يظهر معه فعل أصلا. أما النوم فعدم الفعل فيه مسلط على الأفعال الاختيارية. ولهذا قيل: إن الجامع فى هذه الاستعارة هو البعث بناء على أنه موضوع للقدر المشترك بين الرقاد والموت وذلك القدر هو رد الاحساس السابق والبعث فى النوم أظهر وإن كان فى الموت أقوى لأنه رد الحياة وإحساسها أما فى النوم فرد الاحساس فقط.

(١) فضل هذا النوع من الاستعارة أن يصور المعقول فى صورة المحسوس فيكون أبلغ فى إيضاحه وتقريره فى النفس وأمثلته فى القرآن الكريم أكثر من أن تحصى.

(٢) الصدع أو الكسر تفريق أجزاء الأجسام المتماسكة وهو فى الزجاجة لا يجبر ولا يلتئم وتبليغ الأحكام إعلانها للناس ونشرها بينهم نشرا لا عودة بعده إلى الخفاء كما لا عودة لأجزاء الزجاجة المصدوعة إلى الالتئام ويقال فى إجرائها شبه نشر الأحكام وتبليغها تبليغا واضحا بالصدع بجامع التأثير فى كل.

(٣) فى تصوير الضلالة بصورة العمى البغيض أى بغيض للنفس أشد تنفير منها وتبغيض فيها. فان الأعمى يعيش كئيبا كاسف البال لا يعرف الشر حتى يقع فيه ففى الاستعارة إشارة إلى أن الضال لا يعرف الصالح لنفسه

(٤) الذلة: ذلة هدر المال والنفس أو ذلة ضرب الجزية

محيطة بهم، فهم فيها كما يكون فى القبة من ضربت عليه، إشارة إلى تمكن الذلة من نفوسهم، أو جعلها ملصقة بهم حتى لزمتهم ضربة لازب، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فهى متمكنة منه تمكنا شديدا، فالمستعار منه إما ضرب القبة، وإما ضرب الطين على الحائط، وكلاهما حسى يشعر بالتمكن الشديد، والمستعار له حالهم مع تلك الذلة، والجامع الاحاطة واللزوم.(١)

وكقوله تعالى: «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه» (٢). فقد استعار القذف للايراد، بجامع ما فيهما من التأثير، واستعار الدمغ للمحو

(١) شبه إحاطة الذلة بهم واشتمالها عليهم بضرب الخيام والقباب على من فيها، فهى استعارة تصريحية. أو شبه الذلة بالخيمة أو القبة، ثم حذف لفظ المشبه به ورمز إليه بلازمه وهو (ضربت) فهى مكنية.

(٢) الحق: الحجة الناصعة القوية والباطل: شُبَهُ الكفار. والدمغ: كسر الشىء الرخو الأجوف، استعير هنا للمحق. والقذف: الرمى البعيد بشىء صلب، واستعارة القذف للايراد، والدمغ للمحق تصريحيتان. وقد يقال: شبه الحجج القوية وهى الحق بقطع من الحديد ونحوه بجامع قوة التأثير فى كل. ثم حذف لفظ المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو القذف. وشبه الباطل بشىء أجوف رخو سهل الانكسار، بجامع الضعف فى كل، وحذف لفظ المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه، فهما مكنيتان. وأمثل من كل هذا أن يقال: إنه شبه هيئة غلبة الحق على الباطل حين يرد عليه فيذهبه، بقذف الدماغ بشىء صلب فيشقه ويفسده، بجامع أن كلا منهما قوى يرد على ضعيف فيمحقه، ثم استعير التركيب الدال على هيئة المشبه به للشبه، فالاستعارة تمثيلية.

بجامع الاذهاب فى كل.

وكقوله تعالى: « مستهم البأساء والضراء وزلزلوا (١) ». فقد استعار الزلزلة — وهى الحركة البالغة منتهى الشدة — للانزعاج الشديد بما ابتلوا به، فجاءت لفظة (زلزلوا) فى الآية أبلغ من أى لفظ كان يعبر به عن غلظ ما نالهم. وكقوله تعالى: « ربنا أفرغ علينا صبرا » فقد استعار الافراغ للالهام إيذانا بكثرة القدر المطلوب من الصبر (٢). لشدة ما يدعو إليه وكقوله تعالى: « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ». فقد استعار الظلمة والنور للضلال والهدى (٣).

واستعارة المعقول للمحسوس (٤) كقوله تعالى: « إنا لما طغى الماء

---

(١) شبه ما نالهم من خوف وانزعاج وقلق بالزلزلة بجامع شدة الاضطراب فى كل، فالاستعارة تصريحية. وكذلك شبه تلبسهم بالبأساء والضراء ولحاقهما إياهم بمس ما يوجع مسه، كالنار والكهرباء، بجامع الأذى الشديد فى كل، ففيها استعارة تصريحية أيضا. أو يقال شبه البأساء والضراء بالنار ونحوها مما يؤذى مسه، ثم حذف لفظ المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه، فالاستعارة فى صدر الجملة مكنية.

(٢) حقيقته ألهمنا صبرا، فاستعار الافراغ المؤذن بالكثرة للالهام بجامع ما يترتب على كل من المنفعة، فالاستعارة فى « أفرغ » تصريحية، أو شبه الصبر بالماء. فالاستعارة مكنية قرينتها أفرغ وإفراغ الماء على الأجسام يرد إليها قوتها ونشاطها، ويمكنها من المثابرة على العمل، وكذلك الصبر فى القتال يؤدى إلى الظفر، (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين)

(٣) الظلمات والنور حسيان والضلال والهدى عقليان.

(٤) هذا النوع من الاستعارة لا يحسن إلا إذا كان المعنوى أقوى أثرا فى النفس من

حملنا كم فى الجارية » فان المستعار له كثرة الماء مفسدة وهى حسية، والمستعار منه التكبر، والجامع مجاوزة الحد فى كل، وهما عقليان. وقوله تعالى: « فأهلكوا بريح صرصر عاتية » فقد استعار العتو ـ وهو معنوى ـ لشدة الريح المفسدة وهى حسية باعتبار متعلقها. وقوله تعالى: « تكاد تميز من الغيظ(١)» فقد استعار الغيظ ـ وهو معنوى ـ لاشتعال النار وهو حسى.

الاستعارة باعتبار اللفظ

الاستعارة باعتبار اللفظ نوعان: أصلية وتبعية (٢).

الاصلية (٣)

الأصليه ما كان فيها المستعار اسم جنس غير مشتق، سواء أكان اسم

الحسى كاستعارة الطغيان للزياده المفسدة فى الماء واستعارة العتو للشدة المفسدة فى الريح لأن الناس أخشى للطغيان والعتو منهم لزيادة الماء وشدة الريح.

(١) الغيظ أشد الغضب وهو ضار بصاحبه يثيره حتى يخرجه عن صوابه وإذا استمر معه أضعفه شيئا فشيئا حتى يودى سريعا أو بطيئا حسب قوته وكذلك النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله.

(٢) هذا التقسيم للمصرحة قيل ولا مانع من جريانه فى المكنية، ويمثل للأصلية منها بأظفار المنية نشبت بفلان، وللتبعية منها بقولنا: أراق الضارب دم فلان، فشبه الضرب بالقتل واستعير القتل فى النفس للضرب، ثم سرى التشبيه من المصدر إلى اسم الفاعل بعد أن حذف المشبه به ورمز إليه بلازمه وهو الاراقة، وربما لم يتعرضوا لجريان التبعية فى المكنية، لأنهم لم يجدوها فى كلام البلغاء.

(٣) سميت بذلك نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب فما من تبعية إلا ومعها أصلية

ذات كأسد للرجل الشجاع ، أم اسم معنى كقتل للاذلال ، وسواء أكان اسم جنس حقيقة : كأسد وقتل، أم تأويلا كما فى الأعلام المشهورة بنوع من الوصف ، كحاتم فى قولك: رأيت اليوم حاتما تريد رجلا كامل الجود فانك اعتبرت لفظ حاتم فى قوة الموضوع لمفهوم كلى ، حتى كاد يغلب استعماله فى كل من له وصف حاتم ، فكما أن أسدا يتناول الحيوان المفترس والرجل الشجاع ادعاء ، كذلك حاتم يتناول الطائى وغيره ادعاء ، ويكون استعماله فى الطائى حقيقة ، وفى غيره مجازا ، لأن الاستعارة مبنية على ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، فلا بد أن يكون المشبه به كليا ذا أفراد . والمراد باسم الجنس غير المشتق ما صلح لأن يصدق على كثيرين ، من غير اعتبار وصف من الأوصاف فى الدلالة ؛ وليس العلم الشخصى واسم الاشارة والضمير والموصول من الكليات ، فلا يصح أن تجرى فيها الاستعارة الأصلية . أما المشتق فالصفة جزء من مدلوله وضعا ، لأنه موضوع لذات متصفة بصفة ؛ فكريم موضوع لذات متصفة بالكرم ، وقتيل موضوع لذات متصفة بوقوع القتل عليها .

وقد اعتبرت الأعلام التى تتضمن معنى الوصف اسم جنس تأويلا ، ولم تعتبر من قبيل المشتق ، لأن الوصف ليس جزءا من معناها وضعا ، بل هو لازم له غير داخل فى مفهومه ؛ فحاتم لم يوضع للدلالة على الجود ولا على ذات متصفة به ، ولكن الجود عرض له ولزمه فيما بعد . ومثل

ولا عكس ، أو الأصل بمعنى ما انبنى عليه غيره ، ولا شك أنها أصل للتبعية لبناء التبعية عليها .

حاتم فى الجود «سحبان» فى الفصاحة ، و«مادر» فى البخل ، و«باقل» فى العى ، و«عمر» فى العدل و«أحنف» فى الحلم ، «وإياس» فى الذكاء (١) ، فاذا قلت: رأيت اليوم حاتما فقد شبهت رجلا جوادا رأيته بحاتم بجامع تناهى الجود فى كل ، وادعيت أنه فرد من أفراد حاتم بمعنى المتناهى فى الجود ، واستعرت لفظ المشبه به (وهو حاتم) للمشبه (وهو ذلك الرجل) استعارة تصريحية أصلية وقرينتها رأيت اليوم .

(٢) التبعية

التبعية ما لم يكن فيها المستعار اسم جنس غير مشتق ، ويدخل فى هذا الفعل والاسم المشتق والحرف (٣) .

---

(١) جعل العصام فى أطوله استعارة الأعلام المذكورة تبعية ، لأن حاتما مؤول بالمتناهى فى الجود ، فيكون صفة تأويلا ، وقد استعير من مفهوم المتناهى فى الجود للكامل فى الجود ، فهو مستعار من مفهوم المشتق ، لمفهوم المشتق ، فلا يصلحان لأن يعتبر التشبيه بينهما بالأصالة ، فينبغى أن يعتبر التشبيه بين المصدرين ويجعل حاتم فى حكم المشتق ، فيشبه كمال الجود بتناهيه بجامع الشرف فى كل ، ويعتبر سريان التشبيه منهما للرجل الكامل فى الجود والرجل المتناهى فيه ، ويستعار لفظ الثانى للأول بناء على هذه السراية اه الانبابى .

(٢) سميت تبعية لأنها تابعة لاستعارة أخرى تجرى فى المصدر أو لتشبيه يجرى فى الكليات كما سيأتى فى الحرف .

(٣) كذلك يدخل فيه الاسم المبهم ، فقد جعل بعضهم استعارة الاشارة والضمير والموصول من التبعية ، لأن كلا من هذه المبهمات ليس من اسم الجنس لا تحقيقا

استعارة الفعل (١)

فاستعارة الفعل نحو : « إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية » ونحو « وقطعناهم فى الأرض أمما » ونحو « فبشرهم بعذاب أليم »

ولا تأويلا ، إذ أن معانيها جزئيـة والأصلية مختصة باسم الجنس ، فاذا قلت : هذا رأى حسن ، فقد استعرت اسم الاشارة من المحسوس للمعقول ويقـال : شبه المعقول مطلقا بالمحسوس مطلقا فى قبـول التميز والتعبير ، فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيـات ، فاستعير لفـظ هـذا من جزئى المشبه به لجزئى المشبه استعارة تبعية ، لقصـد المبالغة فى بيـان تعيين المعقول . وإذا قلت لنسوة : إنى منتظركم ، فقد شبهت مطلق مخاطبة فيهـا عظمة بمطلق مخاطب فيه عظمة . بجـامع العظمة فى كل . فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات . فاستعير ضمير جمـاعة الذكور من جزئى المشبه به لجزئى المشبه استعارة تبعية . وكذا إذا استعملت فى المؤنث ما وضع من أسماء الموصول فى المذكر .

وإذا عاد الضمير أو اسم الاشارة على مجاز نحو : زارنى هذا الأسد فأكرمته فليس فيهما تجوز . بناء على أن وضعهما أن يعودا على ما يراد بهما من حقيقة أو مجاز . وقيل فيهما تجوز تبعا لما يرجعان إليه ويكونان مستعارين بنـاء على التشبيه والاستعارة فى مرجعهما . فيدخلان فى التبعية .

(١) لو دخلت أن المصدرية على فعل مستعار نحو : يسوءنى أن يطغى الماء على قريتى . فالحق أنها تبعية وأن المستعار هو الفعل وحده وهو الذى حل محل يكثر أو يعلو . والعبرة باللفظ . والمصدر غير ملفوظ به و « أن » إنما هى آلة فى السبك أتى بهـا لغرض هو تأويل مدخولها بمصـدر . فاذا أدى بهـا هـذا الغرض طرحت كما

ونحو نقرى وخاط فى قول الشاعر :ـــ

تقريهم لهذميات نقُدُ بهـــا ماكان خاط عليهم كل زراد

وقد سبق إجراء كل منها ، ولكنا نعيد إجراء الأولى للقياس عليها : يقال : شبه زيادة الماء زيادة مفسدة بالطغيان بجامع مجاوزة الحد فى كل ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، ثم اشتق من الطغيان بمعنى الزيادة طغى بمعنى زاد وعلا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

هذا وقد يستعمل لفظ الماضى موضع المضارع بناء على تشبيه المستقبل المحقق بالماضى الواقع بجامع تحقق الوقوع فى كل نحو (١) « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا » (٢) « ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا » (٣) ولو ترى إذ فزعوا » (٤) « إذا وقعت الواقعة » (٥) فان تبتم فهو خير لكم » (٦) « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة » (٧) « وإن عدتم عدنا »

وقد يعبر بالمضارع عن الماضى ، بناء على تشبيه غير الحاضر بالحاضر فى استحضار صورته الماضية ، لنوع غرابة فيها نحو : (١) « إنى أرى فى المنام أنى أذبحك » (٢) « فريقا كذبتم وفريقا تقتلون » (٣) « يسألونك عن الأهلّة » (٤) « يسألونك ماذا ينفقون »

وجَعل بعضهم إطلاق الماضى على المضارع وعكسه مجازا مرسلا علاقته الاطلاق والتقييد ؛ أو علاقته المجاورة . أما الاطلاق والتقييد فان

تطرح الآلة إثر إتمام العمل الذى يؤدى بها . وقال بعضهم إنها أصلية نظراً للمصدر المؤول .

يلاحظ الماضى ويراد منه مطلق زمن، ثم يراد به الحال أو المستقبل، أو يطلق المضارع ويراد منه مطلق زمن ثم يراد به الماضى. وأما المجاورة فغرضهم منها المجاورة بين الماضى والحال أو بين الماضى والمستقبل، وقالوا: لا فصل بالحال بين الأخيرين، لأن الحال حد مشترك بينهما لا يقبل القسمة، ويصح أن يكون نهاية للأول وبداية للثانى (١).

استعارة المشتق

المشتق إما صفة (٢)، وإما اسم زمان، أو مكان، أو آلة: فالصفة نحو:

---

(١) تنبيه اسم الفعل كالفعل فى أن استعارته تبعية نحو: هيهات أن نلت مأربى: تريد عسر على نيله. شبه العسر بالبعد بجامع المشقة فى كل واستعير لفظ البعد للعسر استعارة أصلية تصريحية واشتق من البعد بمعنى العسر «بعد» بمعنى عسر ثم أحل محل بعد بمعنى عسر اسم الفعل الدال على البعد وهو «هيهات» فكان هو اللفظ المستعار ويلاحظ أن الاستعارة أجريت أولا بين مصدرين: أحدهما مصدر المشبه به وهو العسر والآخر مصدر الفعل الذى دل عليه هيهات وهو البعد.

(٢) يراد بالصفة اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل ويلحق بها المصغر والمنسوب كرجيل إذا أريد به رجل كبير يتعاطى ما لا يليق به وكقرشى لمصرى يتخلق بأخلاق القرشيين فان استعارتهما تابعة لاستعارة مصدرين لمشتقين يؤدى هذان اللفظان معناهما وهما صغير ومنتسب إلى قريش. شبه فعل ما لا يليق بالصغر بجامع أن كلا يسقط الهيبة واستعير لفظ الصغر لفعل ما لا يليق ثم اشتق منه صغير بمعنى فاعل ما لا يليق ثم عبر عن فاعل ما لا يليق بلفظ رجيل. أو شبه مطلق فعل ما لا يليق بمطلق الصغر فسرى التشبيه إلى فردى

حكم على قاتلك بالسجن . من القتـل بمعنى الضرب الشديد مجازا . ونحو : إنما أصادق الأصم عن الخنى، وأجاور الأعمى عن العورات . ونحو : فلسان حالى بالشـكاية أنطق : أى أدل ، ونحو : من بعثنا من مرقدنا (١)

المشبه والمشبه به وهما فاعل ما لا يليق ورجيل ثم استعير بناء على التشبيه الحاصل بالسريان رجيل للكبير الذى يفعل فعل الصغير . وشبه التخلق بأخـلاق قريش بالانتساب إليهم واستعير الانتساب للتخلق واشتق منه المنتسب بمعنى المتخلق بأخـلاقهم ثم عبر عن هـذا بلفظ يؤديه وهـو « قرشى » على سبيل الاستعـارة التصريحية التبعية .

(١) تقدم فى استعارة المعقول للمعقول أن كلمة «مرقد» فى الآية يجوز أن تكون مصدرا ميميا فتكون استعارتها أصلية وأن تكون اسم مكان فتكون استعارتها تبعية . وقد تقدم إجراؤها فراجعه . هذا وقد خالف بعضهم فى أسمـاء الزمان والمكان والآلة فجعل استعارتها أصلية وإن كانت مشتقة . وردوا عليه بأنا إذا قلنا : مقتل فلان نعنى به الموضع الذى ضرب فيه ضرب شديدا أو مرقده نريد قبره فان المعنى على تشبيه الضرب الذى وقع على فـلان فى هذا المـكان بالقتل وعلى تشبيه الموت بالرقاد لا على تشبيه مـكان الضرب بمحل القتل ولا على تشبيه القبر بمحل النوم ، فالاستعـارة فى المصدر لا فى لفظ المـكان إذ المقصود الأهم فى المشتقات كلها وفى الفعل هو المعنى القـائم بالذات أو بالزمان أو بالمـكان لا نفس الذات أو الزمان أو المـكان والذى يدل على المعنى القائم بها هـو المصدر فهو الجدير أن يعتبر فيه التشبيه . ولذا كانت الاستعارة أولا فى المصدر إذا كان المستعار فعلا أو مشتقا : صفة أو اسم زمان أو مكان أو آلة . ويرى الأستاذ « نجاتى » أن كلمة «مرقد» حقيقة لا استعـارة وأن القوم لاختـلاط عقولهم ظنوا أنهم كانوا نياما لذلك استفهموا عن مُوقظهم وهو رأى لبعض المفسرين ذكره الألوسى .

ونحو : جئت بمقتا لك (١) : أي بالآلة التي أضربك بها ضربا شديدا .

قرينة التبعية

مدار قرينة التبعية فى الفعل والمشتق :

(١) على الفاعل نحو : إنا لما طغى الماء ، ونطقت الحال بكذا (٢) .

(٢) أو على نائبه نحو : ضُربت عليهم الذلةُ والمسكنة (٣) أو على المفعول به نحو :

جمع الحق لنـــا فى إمـــام قتل البخل وأحيـــا السماحا (٤)

(٤) أو على المفعول به الثانى نحو :

---

(١) شبه الضرب بالقتل بجامع شدة الايذاء فى كل ، ثم استعير للضرب الشديد على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، ثم اشتق منه «مقتال» بمعنى آلة الضرب على سبيل الاستعارة التبعية . وشبه الاعراض عن سوء القول وعدم سمعه بالصمم بجامع عدم تأثر النفس بالقول فى كل . وكذا شبه الاغضاء عن العورات بالعمى بجامع عدم تأثر النفس بالمرئى فى كل .

(٢) لأن كلا من الطغيان والنطق من شأن الانسان .

(٣) لأن الضرب من شأن الخيام لا من شأن الذلة التى هى أمر معنوى .

(٤) لأن القتل والاحياء لا يقعان إلا على ذى روح والبخل والسماح معنويان لا روح فيهما فدل هذا على أن المراد بالقتل الازالة وبالاحياء الاكثار . شبه الازالة بالقتل بجامع مايترتب على كل من العدم . والاكثار بالاحياء بجامع إظهار المتعلق فى كل .

صبحنا الخزرجيةَ مُرهفـات أباد ذَوِى أرومتهـا ذووها (١)

وقول القطامي :

نقريهم لهـذميات نَقُدّ بهــا ما كان خاط عليهم كل زراد (٢)

(٥) أو على المفعولين كقوله تعـالى : « وقطعناهم فى الأرض أممـا »

وقول الحريرى :

وأَقرى المسامع إما نطقت بيانا يقود الحرونَ الشموسا

(٦) أو على الفاعل والمفعولين كقول الآخر :

---

(١) القرينة تعلق الفعل « صبح » بمرهفات وهى مفعول به ثان يقال . صبحه كقطع سقاه الصبوح ، وهو شراب الغداة . ومرهفات أى سيوفا مرهفات ، يقال أرهف السيف إذا حدده ورققه . وأباده أهلكه . والأرومة الأصل . والضمير فى أرومتهـا للخزرجية . وفى « ذووها » للمرهفات يقول : أبدنا أصول هـذه القبيلة بسيوفنا المرهفات .نزل التضاد منزلة التناسب ، فشبه الاساءة إلى الخزرجية صباحا بالاحسان إليهم وتقديم الصبوح لهم ، بجامع إدخال السرور على النفس فى كل ، وإن كان ادعائيا فى المشبه ، ثم استعار لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية العنادية التهكمية ، ثم اشتق من الصبوح بمعنى الضرب بالمرهفات « صبح » بمعنى ضرب بها على سبيل الاستعارة التبعية .

(٢) تقدم الكلام على هذا البيت فى الاستعارة الداخلية .

(٣) القرينة تعلق أقرى بكل من المسامع والبيان وإنما يقع القرى على الضيف .وفرس حرون لا ينقاد وإذا اشتد به الجرى وقف. وشمس الفرس كدخل شموسا وشماسا منع ظهره ، ورجل شموس صعب الخلق ، وأراد بالحرون الشموس من لا ينقاد . يصف نفسه بعذوبة الكلام وسحر البيان . شبه إسماع الكلام الحسن بالقرى بجامع أن كلا يسر .

تقرى الرياحُ رياضَ الحَزْنِ مُزهرةً   إذا سرى النومُ فى الأجفان إيقاظا(١)

(٧) أو على المجرور نحو: « فبشرهم بعذاب أليم(٢) » ونحو: « فاصدع بما تؤمر » ونحو: « بل نقذف بالحق » هذا وقد تكون قرينة التبعية غير ذلك نحو: « قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا(٣) » إذ القرينة كونه من كلام الموتى مع قوله: « هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون »

استعارة الحرف (٤)

واستعارة الحرف نحو: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا

---

(١) تقدم الكلام على هذا البيت فى تعدد القرينة. والجفن غطاء العين وغلاف السيف استعير لأكمام الزهر بجامع التغطية فى كل، وكنى بسريان النوم فيها عن ذبولها، وإيقاظ مصدر أيقظ مستعار لتفتيح الزهر وإيجاد النضرة والبهجة فيه.

وقد حسن التعبير بالايقاظ مجيئه بعد النوم والأجفان. والمعنى: تهب الرياح على بساتين الحزن فتكسوها تفتيحا وحسنا ونضارة.

(٢) قوله بعذاب قرينة على أن « بشر » مستعار لأن التبشير إخبار بما يسر فلا يناسب تعلقه بالعذاب، وقوله: « بما تؤمر » كذلك لأنه معنوى والصدع للمحسوس، كما أن الحق معنوى أيضا، فكل منها كان صارفا عن المعنى الأصلى للفعل إلى المعنى المجازى.

(٣) هذا على أن مرقد اسم مكان وإلا فالاستعارة أصلية كما تقدم.

(٤) إيضاح: مثلُ الابتداء والظرفية والاستعلاء معان كلية يصح أن تكون مستقلة بالفهم، يحكم بها وعليها، وتكون مقصودة لذاتهاً، ولكن الابتداء المفهوم من لفظ «من» ابتداء مخصوص لم يقصد لذاته، بل الغرض منه الربط بين معنيين

وحزنا) فقد شبه مطلق ترتب علة واقعية على فعل (١) بمطلق ترتب علة غائية على فعل (٢)، بجامع مطلق الترتب فى كل (٣)، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، ثم استعمل فى جزئى المشبه (٤) اللام الموضوعة لجزئى المشبه به (٥) على سبيل الاستعارة التبعية (٦). ونحو: (لأُصَلِّبَنَّكُم

مستقلين بالفهم: هما السير والبصرة فى قولك: سرت من البصرة ولذا كان جزئيا بالنسبة للابتداء الأول، وما قيل فى الابتداء يقال نظيره فى الظرفية والعلة الغائية والاستعلاء، وغيرها من المعانى التى تستفاد من الحروف نحو: فى واللام وعلى، فأى معنى يستفاد من الحرف فى جملة ما يعتبر جزئيا من كليه، غير مقصود لذاته بل للربط بين معنيين مستقلين، وتعتبر الحروف حينئذ روابط بين المعانى المقصودة.

(١) العداوة والحزن علة واقعية للالتقاط.

(٢) العلة الغائية لفعل هى التى تحمل على تحصيله لتحصل بعد حصوله كتبنى فرعون لموسى ومحبة موسى إياه، لأن فرعون وآله إنما كفلوه بعد التقاطه لذلك.

(٣) إلا أن الترتب فى الغائية رجائى أو تقديرى، وفى العداوة والحزن واقعى.

(٤) جزئى المشبه هنا هو ترتب العداوة والحزن الخاصين المتعلقين بموسى.

(٥) جزئى المشبه به هنا هو ترتب علة الالتقاط الخاصة: وهى تبنى موسى والمحبة، لأنهما متقدمان على كفالته بعد الالتقاط ومرتبان عليه فى الخارج.

(٦) قال اليعقوبى: شبهت العداوة والحزن بالعلة الغائية إما تهكما إشارة إلى أن ذلك فعل الجاهل بالعواقب، فيكون منتزعا من التضاد بأن يجعل كالتماثل وإما تشبيها حقيقيا فيكون وجه الشبه مطلق الترتب اهـ. ومن أجراء الاستعارة على النحوين المذكورين يفهم أن التبعية فى الحرف لا يجب أن تكون تابعة لاستعارة أصلية بل هى تابعة للتشبيه فى الكليين.

في جذوع النخل (١)). ونحو: (زيد في نعمة (٢)). ونحو: (أولئك على هدى من ربهم (٣)). ومن الأمثلة السابقة تتبين أنه لا يشترط أن يكون للمشبه حرف موضوع له يدل عليه، كما في المثال الأول والمثالين الأخيرين.

رد التبعية الى المكنية

اختار السكاكي تقليلا لأقسام الاستعارة أن يستغنى عن التبعية في الفعل والمشتق والحرف؛ بأن يجعل قرينة التبعية استعارة مكنية، وأن يجعل التبعية قرينة للمكنية؛ ففي قوله تعالى: (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) يجعل القوم الطغيان مستعارا للكثرة المفسدة، ويقول السكاكي: في لفظ الماء استعارة مكنية، ونسبة الطغيان إليه قرينة وكذلك قول الشاعر:

---

(١) شبه مطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف بجامع التمكن أو مطلق الارتباط في كل، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات. فاستعير لفظ «في» من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه استعارة تبعية.

(٢) شبه مطلق ملابسة الانسان للنعمة بمطلق ملابسة بين ظرف ومظروف بجامع مطلق الملابسة في كل، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، فاستعير لفظ «في» من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه استعارة تبعية.

(٣) شبه مطلق ارتباط بين مهدى وهدى بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه، بجامع مطلق الارتباط في كل، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، فاستعير لفظ «على» من جزئيات المشبه به لجزئي المشبه استعارة تبعية.

ثقريهم لهذميـــات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد

يجعل السكاكى فى (لهذميات) استعارة بالكناية عن المطعومات الشهية ، على سبيل التهكم ، ونسبة القرى إليها قرينة لها . أما القوم فيجعلون الاستعارة فى الفعل (نقرى) كما تقدم . وكذلك « فبشرهم بعذاب أليم » جعل القوم لفظ (بشر) استعارة تبعية لأنذر على سبيل التشبيه التهكمى ، وجعلوا (العذاب) قرينتها . والسكاكى يجعل (العذاب) استعارة بالكناية عن النعيم تهكما ويجعل (بشر) قرينة لها . وفى قوله تعالى : (ليكون لهم عدوا وحزنا) جعل القوم اللام استعارة تبعية لترتب العداوة والحزن ، والسكاكى يجعل (العداوة والحزن) استعارة بالكناية عن العلة الغائية للالتقاط ، بأن شبه العداوة والحزن بالمحبة والتبنى ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه باللام الموضوعة لترتب العله الغائية فلام التعليل هى القرينة ، وكذلك قوله تعالى : (لأصلبنكم فى جذوع النخل) جعل السكاكى (الجذوع) استعارة بالكناية عن الظروف الادعائية ، ولفظ (فى) هو القرينة على ذلك .

وقد رُدَّ رأىُ السكاكى أولا بأن ذلك لا يمكن إذا كانت القرينة حالية ، نحو : « من بعثنا من مرقدنا » أى مكان رقادنا فان القرينة كونه من كلام الكفار ، وقوله تعالى : « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » وثانيا بأنه لا يخلو إما أن يجعل التبعية التى هى قرينة المكنية حقيقة أو مجازا ؛ فان أراد بالطغيان فى المثال السابق حقيقته فقد انفردت المكنية عن التخييلية ، وهو ما يخالف مذهبه من أنه لا بد لكل مكنية من

تخييلية معها، وإن جعله مجازا كانت استعارة ضرورة أنها مجاز علاقته المشابهة، والاستعارة فى الفعل لا تكون إلا تبعية، وعلى هذا لم يكن ما ذهب إليه مغنيا عما ذهب إليه غيره، ولا مؤديا غرضه من تقليل أقسام الاستعارة.

باعتبار الملائم (١)

الاستعارة باعتبار الملائم ثلاثة أقسام: مطلقة ومجردة، ومرشحة.

فالمطلقة (٢) هى التى لم تقترن بما يلائم المشبه والمشبه به، نحو: عطشى إلى لقائك شديد (٣). وقصف الموت شباب فلان (٤) ونحو: (فاصدع بما تؤمر (٥)) أو اقترنت بما يلائمهما معا كقول كثير عزة:

---

(١) المراد بملائم أحد الطرفين ما يناسبه: فان تم الكلام الذى هو فيه فهو صفة، وإن كان مستقلا جيء به بعد الكلام الذى تضمن الاستعارة مبنيا عليه، كقوله تعالى: «فما ربحت تجارتهم» بعد قوله: أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى» فهو تفريع سواء أكان بحرف تفريع أم لا وقولك: رأيت بحرا ما أغزر علمه، يجوز أن يكون صفة على تقدير القول، وأن يكون تفريعا إن جعل كلاما مستقلا.

(٢) سميت مطلقة لاطلاقها عن التقييد بما يلائم أحد الطرفين.

(٣) يريد: شوق إلى لقائك، وقوله: «إلى لقائك» قرينة الاستعارة، وهى تصريحية. شبه الشوق بالعطش بجامع ما يترتب على كل من التلهف. فالعطشان يتلهف على الماء. والمشتاق يتلهف على اللقاء.

(٤) شبه شبابه بالغصن وقوله: «قصف» قرينة فالاستعارة مكنية.

(٥) الاستعارة فى الفعل وقرينتها بما تؤمر كما سبق. لأن الصدع إنما يكون فى المحسوس كالزجاج.

ومتى بسهم ريشُهُ الكحل لم يَضر ظواهر جلدى وهو للقلب جارح

فقد استعار السهم للنظر والريش من ملائمات المشبه به ، والكحل من ملائمات المشبه ، وقد تعارضا فتساقطا وكانت الاستعارة مطلقة . وقد يقال إن الكحل قرينة والاستعارة مرشحة .

والمجردة [١] ما قرنت بما يلائم المشبه كقول البحترى :

يؤدون التحية من بعيـــد إلى قمر من الايوان بادى

فقوله : (من الايوان باد) تجريد لأنه من ملائمات الرجل الذى هو المشبه لا من ملائمات القمر الذى هو المشبه به [٢] ، وكقول كثير :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال [٣]

فانه استعار الرداء للعطاء ؛ لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ، ثم وصفه بالغمر الذى يناسب العطاء دون الرداء [٤]

---

(١) سميت مجردة لتجردها عما يقويها من إطلاق أو ترشيح لأن ذكر ملائم المشبه أضعف دعوى الاتحاد التى منها تنشأ المبالغة ، سواء أكان هذا الملائم تفريعا ، نحو : رأيت أسدا يطعن فلجأت إلى ظل رمحه ، أم صفة نحوية كبيت البحترى الآتى ، أم صفة معنوية كغمر الرداء فى بيت « كثير » الذى يليه

(٢) والقرينة : قوله : « يؤدون التحية من بعيد .

(٣) وصف ممدوحه بالوقار والبشر وغلقت : أى حبست فى يد السائلين من قولهم : غلق الرهن فى يد المرتهن إذا لم يقدر على فكاكه .

(٤) لأن الرداء واحد يناسبه الطول أو السعة فلا يوصف بالكثرة على أن حقيقة الغمر الكثير من الماء فاطلاقه على الكثير من العطاء مجاز . وتجريده لهـــذه الاستعارة تجريد بما يلائم المستعار له من طريق المجاز لا من طريق الحقيقة .

تجريدا للاستعارة ، إلا أن المقصود بالاستعارة لم يتضح إلا بقوله : (إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال) ولذا كانت القرينة هى المتأخر ، وكان وصفه بالغمر تجريدا وإن كان متقدما (١) .

ومن المجردة قوله تعالى : (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف . فقد استعير اللباس لما غشى الانسان من النحافة والاصفرار والضعف بسبب الجوع والخوف وآلامهما ، بجامع الشمول فى كل ، والاذاقة تجريد لذلك ، لأن المراد بالأذاقة الاصابة ، كأنه قال : فأصابها الله بلباس الجوع والخوف . وقد شاعت الاذاقة : فيما يمس الناس من البلايا والشدائد حتى جرت مجرى الحقيقة ، فالاذاقة استعارة لاصابة العذاب ، ثم أوقعت على اللباس فصارت تجريدا مجازيا ، كالتجريد فى بيت كثير السابق فان قيل : الترشيح أبلغ من التجريد كما سيأتى ، فلم لم يقل فكساها الله لباس الجوع والخوف ؟ قيل : إن الادراك بالذوق يستلزم الادراك باللمس ، وفى الاذاقة إشعار بشدة الاصابة ليس فى الكسوة ، وإن قيل لم لم يقل فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ؟ قيل : إن الطعم وإن لاءم الاذاقة مفوت لما

فالملائم فى الترشيح والتجريد يشمل ما كانت ملاءمته للطرف حقيقة . وما كانت ملاءمته له مجازا .

(١) إنما يكون الترشيح أو التجريد بعد استيفاء القرينة . ولذا فضلوا فى الاستعارة التصريحية إذا كثرت ملائمات المشبه أن يكون الأول قرينة وما عداه تجريدا . أما فى المكنية فاذا كثرت ملائمات المشبه به كان أولها قرينة وسائرها ترشيحا . إلا أنهم اعتبروا المتأخر فى هذا البيت قرينة . لأن القرينة هى التى تعين المقصود . والمقصود لم يبن إلا بالمتأخر .

يفيده لفظ اللباس من أن الجوع والخوف قد عم أثرهما جميع البدن عموم اللباس إياه، ونحو:

نقريهم لهذميات نَقُدّ بها ما كان خاط عليهم كل زرّاد

فقد شبه اللهذميات بما يقدم للضيف من طعام وشراب، ثم استعار له لفظ المشبه به وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (نقرى) فنقرى قرينة وقوله: (نَقُدّ) تجريد. ومما تقدم يتضح أن التجريد يكون في المكنية كما يكون في التصريحية.

والمرشحة (١) ما قرنت بما يلائم المستعار منه (٢) كقوله:

ينازعني ردائي عبدُ عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لِيَ الشطرُ الذي ملكتْ يميني ودونك فاعتجرْ منه بشَطْر (٣)

فإنه استعار الرداء للسيف، لأنه يصون عرض صاحبه كما سبق في استعارته للمعروف، وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء الذي هو

(١) سميت مرشحة من الترشيح بمعنى التقوية لأنها مبنية على تناسي التشبيه، حتى كأن الموجود في الواقع هو المشبه به لا المشبه، فإذا ذكر ما يلائمه كان ذلك موجبا لتأكيد المبالغة وقوتها، وكان فيه زيادة إشعار باتحاد الطرفين، فتقوى الاستعارة بتقوية مبناها بوقوعها على الوجه الأكمل أخذا من قولك: رشحت الصبي إذا ربيته باللبن قليلا قليلا حتى يقوى.

(٢) سواء أكان الملائم صفة كقولك: جاورت بحرا زاخرا متلاطم الأمواج، أم تفريعا كما في الآية بعد.

(٣) رويدك اسم فعل بمعنى أمهل، وفيه التفات. ودونك اسم فعل بمعنى خذ ومفعوله محذوف تقديره المتنازع فيه. والاعتجار لف العمامة، والثوب الذي يعتجر به

المستعار منه .وكقوله تعالى : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم .[١] (فانه استعار الاشتراء للاختيار ، وقفاه بالربح والتجارة اللّذَين هما من متعلقات الاشتراء [٢]

والترشيح أبلغ من التجريد والاطلاق ، لما فيه من قوة تأكيد المبالغة التي تؤديها الاستعارة ، وهو مبنى على تناسى التشبيه حتى قد يستعيرون الوصف المحسوس للمعقول ، ويجعلون تلك الصفة كأنها ثابتة لذلك الشيء حقيقة ، وكأن الاستعارة لم توجد أصلا كقول أبي تمام :

يسمى معجرا أو عجارا . وأراد بالشطر الذى ملكته يمينه قائم السيف ، وبالشطر الآخر صدره .

والمعنى ينازعنى عبد عمرو سيفى الذى أصون به نفسى وعرضى ، فقلت له تمهل فسأقسمه بينى وبينك ، فأعطيك صدره وأبقى لنفسى قائمه الذى ملكته يمينى ، فالاعتجار فى البيت على غير حقيقته ، إذ المراد أنه سيضربه على رأسه بصدر سيفه ضربا يعم ذلك الرأس ويشطرها ، وهو كناية عن إهلاكه قطعا للنزاع .

(١) أراد الربح والتجارة الواقعين فى الاختيار على سبيل المجاز ، لا حقيقة الربح والتجارة اللذين يقعان فى الشراء فالوصف ملائم للمستعار منه حقيقة ، وبهذا كانت الاستعارة مرشحة . وفى الآية مجاز عقلى أيضا والتقدير : فما ربحوا فى تجارتهم .

(٢) ترشيح الاستعارة التصريحية متفق عليه ، أما المكنية ففى ترشيحها خلاف . وقد تقدم أن لازم المشبه به إن كان به قوام وجه الشبه أو كماله فى المشبه به فهو تخييل ، وإلا فهو ترشيح ، ففى قوله : عضنا الفقر بنابه . يعتبر الناب تخييلا ، ويعتبر العض ترشيحا للمكنية الحاصلة بتشبيه الفقر بالسبع .

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة فى السماء

فقد استعار لفظ العلو المحسوس وهو الصعود لعلو المنزلة، ووضع الكلام وضع من يذكر علوا مكانيا، ولولا قصده نسيان التشبيه وإنكاره وجعْلَه صاعدا فى السماء صعودا مكانيا ما كان لهذا الكلام وجه.

وكذلك استعاروا اسم الشيء لغيره من نحو شمس أو بدر أو أسد، فبلغوا من تناسي التشبيه إلى حيث يدعى أن ليس هناك استعارة كقول الشاعر فى محبوب له:

قامت تظللنى من الشمس نفس أعز على من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

فلولا أنه نسى أن هناك استعارة ما كان لهذا العجب معنى؛ لأن مبعث العجب أن الشمس الحقيقية لا تظلل الناس، بل يحتاج الانسان إلى أن يظلل نفسه منها بشيء آخر. ومن هذا إلا أنه على عكس مذهب التعجب قول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

فمن خواص القمر على ما يقولون أن يبلى الكتان، وقد أنكر الشاعر على أصحابه أن يتوهموا أن صاحب الغلالة إنسان قد سارع البلى إلى غلالته، فتعجبوا من ذلك فعمد إلى شيء هو من خواص القمر فجعله لممدوحه، ونهاهم عن تعجب لا محل له بعد معرفة السبب فى سرعة البلى، وهذا لا يتم إلا إذا تناسي التشبيه وجعل ممدوحه القمر نفسه ولو اعترف بالتشبيه لبطل الكلام(١)

(١) الفرق بين مذهب التعجب ومذهب النهى عنه أن مذهب التعجب فيه إثبات مالا

ترشيح التشبيه

وليس البناء على المشبه به مقصورا على الاستعارة، بل بنوا عليه فى التشبيه أيضا كقول المتنبى:

يقول لىَ الطبيبُ أكلتَ شيئا ... وداؤُك فى شرابك والطعامِ
وما فى طبِّه أنى جواد ... أضر بجسمه طول الجمامِ (١)
تَعَوَّدَ أن يُغَبِّرَ فى السرايا ... ويدخل من قَتامٍ فى قتامِ (٢)
فأُمسكَ لا يُطالُ له فَيَرْعَى ... ولا هو فى العليق ولا اللجام (٣)

فانه شبه نفسه بالجواد، ثم تناسى التشبيه وأخذ يذكر أحوالا تخص المشبه به. وكقول العباس بن الأحنف:

يناسب المستعار منه كاثبات التظليل للشمس، ومذهب النهى عنه إثبات ما يناسب المستعار منه كاثبات بلى الكتان بالنسبة للقمر.

(١) الجمام أن يترك الفرس فلا يركب. والجمام أيضا ضد التعب يقول: ليس فى طب الطبيب أن الذى أضر بى وبجسمى طول لبثى وقعودى عن السفر كالفرس، الجواد يضر بجسمه طول قيامه فيصير به بجموما.

(٢) التغبير إثارة الغبار. السرايا جمع سَرِيَّة وهى التى تسرى إلى العدو. يقول: هذا الجواد تعود أن يثير الغبار فى العساكر، ويدخل من هذه الحرب إلى حرب أخرى، فكنى بالقتام وهو الغبار عن الحرب.

(٣) يقول أُمسكَ هذا الجواد لا يرخى له الطِوَل فيرعى، ولا هو فى السفر فيعتلف، ولا هو فى اللجام. وهذا مثل ضربه لنفسه وأنه حليف الفراش ممنوع الحركة لمرضه. ويجوز أن يكون قد عنى كافورا، إذ منعه ما طلب من الانصاف.

هى الشمس مَسْكنُها فى السماء   فَعَزِّ الفؤادَ عزاءً جميلا
فلن تستطيع إليها الصعودَ   ولن تستطيع إليك النزولا (١)

فقد شبهها بالشمس ثم تناسى التشبيه وأخذ يذكر أحوالا تخص المشبه به كذلك، وكقول أبى العلاء:

هى قالت لما رأت شيب رأسى   وأرادت تَنَكُّرا وازْوِرَارا
أنا بدر وقد بدا الصبحُ فى رأ   سك والصبح يطرد الأقمَارا
لَسْتِ بدرا وإنما أنت شمس   لا تُرَى فى الدجى وتبدو نهارا

فقد شبهت نفسها بالبدر، ثم تناست التشبيه فذكرت ما يخص المشبه به، وشبهها بالشمس ثم تناسى التشبيه، وذكر ما يخص المشبه به وهو الشمس، وإذا جاز فى التشبيه البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه كان البناء على المشبه به مع جحد المشبه فى الاستعارة أولى.

المجاز المركب

المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى، وهو نوعان: مجاز مركب علاقته المشابهة بين المعنيين، ويسمى تمثيلا (٢)، أو استعارة تمثيلية، ومجاز مركب علاقته غير المشابهة، ويسمى مجازا مركبا مرسلا.

---

(١) العزاء الجميل هو الذى لا قلق معه، وإنما يجىء بأن يتنبه لعدم إمكان وصوله إليه وليس من العقل أن يطلب الانسان ما لا يمكن.

(٢) إذا أطلق التمثيل انصرف إلى الاستعارة التمثيلية، فاذا أريد التشبيه ذو الوجه المركب قيل تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلى.

الاستعارة التمثيلية

التمثيل أو الاستعارة التمثيلية مجاز مركب علاقته المشابهة نحو: « فنبذوه وراء ظهورهم (١) » ونحو: «أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها (٢) » ونحو:

---

(١) فنبذوه وراء ظهورهم حقيقته فتركوا الميثاق وأهملوه لم يعتدوا به ولم يلتفتوا إليه، ونقيضه: جعله نصب عينيه. يقال شبه حال من تركوا الميثاق فلم يراعوه، بحال من كان معه شيء لا يهمه ولا قيمة له عنده فطرحه وراء ظهره و بجامع عدم الاعتداد به والحرص عليه في كل، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه، على سبيل الاستعارة التمثيلية. وقد أخرج أمرا معنويا في صورة أمر حسي إيضاحا له وتوكيدا وتمكينا في النفس.

(٢) شبه هيئة من آمن بعد الكفر وعرف الله بعد ما أنكره، وأذعن للقرآن فأخذ نصيبه من العمل الذي ينجيه يوم المعاد، بهيئة من كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس، بجامع ما في كل من الانتقال من العجز إلى القدرة على النفع، ومن حال سيئة إلى حال يستطيع فيها أن ينفع نفسه وغيره. وشبه هيئة المنغمس في الكفر لا يفارقه، ولا يرى لنفسه المخرج منه فيضل في أعماله: يحرم ما أحل الله ويحل ما حرم، فيستوجب سخطه تعالى وعذابه بمن يخبط في الظلمات لا يدري كيف يتوجه، وأي طريق يسلك، فيحمل نفسه من أليم المشاق ما يضنيها، بجامع الهيئة التي في كل من الحيرة والعجز والاضرار بالنفس وحرمانها الخير. وقوله: من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس «مشبه» ومن مثله في الظلمات ليس بخارج منها «مشبه به» ووجه الشبه مركب وهو الهيئة الحاصلة من العجز، والاضرار بالنفس، والخطل في الرأي. والإنكار

« إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء (١) » وكقولك لمن يعطيك تفاحا رديئا ناقص الوزن : أحشفا وسوء كيلة (٢) ؟!

ومتى اشتهرت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها صارت مثلا ، والأمثال لا تغير ، فلا يلتفت فيها إلى مضاربها إفرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا ، بل يشبه مضرب المثل بمورده (٣) فينقل إليه لفظه كما هو . فتقول لرجال ضيعوا الفرصة على أنفسهم ثم جاءوا يطلبونها : « الصيف ضيعت اللبن (٤) » بتاء مكسورة لأنه فى الأصل خطاب لامرأة .

مسلط على هذا ، ففى الآية استعارتان تمثيليتان ، وتشبيه تمثيلى طرفاه تانك الاستعارتان . وعلماء البيان يمثلون بقوله « ميتا » للاستعارة العنادية وبقوله «فأحييناه» للاستعارة الوفاقية ، على أنه قد استعير الموت للضلال ، والاحياء للهدى ، ويقولون : إن فى كلمة النور استعارة أيضا إذ المراد به القرآن ، وقد نزلت هذه الآية فى سيدنا عمر وفى أبى جهل وقيل حمزة بدل عمر وقيل عمار بن ياسر .

(١) شبه حال النبى مع الكفار إذ يتلو عليهم الآيات رجاء أن يهتدوا فيعرضون عنها ولا ينتفعون بها ، بحال من ينادى الموتى فلا يسمعون ولا ينتفعون ، بجامع أن كلا ليس عنده استعداد لأن يلتفت إلى ما يلقى إليه لينتفع به ، ومثله يقال فى« ولا تسمع الصم الدعاء » وحمل الآية على التمثيل أجود من جعل الاستعارة مفردة فى كلمتى الموتى والأصم . وهو أبلغ ما يؤذن بتحقير المعاندين .

(٢) شبه حال من يبيع تفاحا رديئا ناقص الوزن بحال من يبيع تمرا رديئا مع نقص فى الكيل ، بجامع أن كلا فيه ظلم من وجهين . والكيلة بكسر الكاف : الكيل .

(٣) مضرب المثل هو ما استعمل فيه المثل أخيرا ، ومورده هو ما استعمل فيه أولا

(٤) شبه حال أولئك الذين ضيعوا الفرصة ثم جاءوا يطلبونها ، بحال امرأة كانت متزوجة بأشيب فتركته وتزوجت بشاب فقير ، ثم عادت إلى زوجها الأول

بلاغة الاستعارة التمثيلية

تقدم أن تشبيه التمثيل من أبلغ التشبيهات إن لم يكن أبلغها وأروعها لغرابة وجهه، بما فيه من كثرة التفصيل التي تدعو إلى إمعان الفكر وتدقيق النظر. وعلى تشبيه التمثيل تبنى الاستعارة التمثيلية غير أنها تقع دائما فى الهيئات ولا يستعار فيها إلا المركبات. وتمتاز عن التشبيه التمثيلي -على بلاغته- بالمبالغة فى التشبيه، وبما تبنى عليه من تناسيه ودخول المشبه فى جنس المشبه به، وادعاء أنه فرد من أفراده، وهى أوجز منه لحذف أداتها وأحد طرفيها (١)، وهى مع إيجازها تعمل عمل الاطناب من إيضاح المعنى وحسن تصويره والكشف عنه، فهى تبرز الخفى فى صورة الجلى، والمعقول فى صورة المحسوس، فتقره فى النفوس وتمكنه منها، فكانت أقوى تحريكا للنفس إلى الغرض المقصود بالقول: من حجاج، أو وعظ أو ترغيب، أو ترهيب، أو غيرهما. وبهذا كانت الأمثال آنق للسمع وأوقع فى النفس.

تطلب لبنه، بجامع العودة إلى طلب النافع بعد الانصراف عنه وفوات وقته فى كل.

(١) من هذا نفهم بعض ما بين تشبيه التمثيل والاستعارة التمثيلية من الفروق، فتشبيه التمثيل قد يكون طرفاه مفردين، وقد يكونان مركبين، وقد يكونان مختلفين كما تقدم، ولابد فيه من الجمع بين طرفيه ولابد فيه من أداة ملفوظة أو مقدرة، إلا التشبيه الضمنى الذى يشكل فيه تقدير الأداة من غير تحوير فى التركيب. وتشبيه التمثيل لا يفيد المبالغة التى تفيدها الاستعارة، إذ ليس فيه ما فيها من تناسى التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به.

المجاز المرسل المركب

هو مجاز مركب علاقته غير المشابهة، ومنه الخبر المستعمل فى الانشاء (١) نحو: الحمد لله، وما قصد به إظهار التحسر والتحزن كقوله

---

(١) قيل إن الانشاء الذى على صورة الخبر لابد أن يكون على معنى صيغة من صيغ الانشاء كقولك: رحمه الله! فانه على معنى اللهم ارحمه. وقولك بعت واشتريت ليس على معنى صيغة من صيغ الانشاء يمكن أن يؤدى بها فهو باق على خبريته، غاية الأمر أنه ليس القصد به الاخبار، بل حصول ما علق الشرع حصوله على التلفظ به من انتقال الملكية، وكذلك قوله تعالى حكاية عن أم مريم: «رب إنى وضعتها أنثى» ليس على معنى صيغة من صيغ الانشاء، فهو باق على خبريته مستعمل فى معناه، غاية الأمر أنه لم يقصد به الأخبار، بل قصد به لازم معناه، فلا يخرج بذلك عن الخبرية إلى الانشائية وكذا قوله: هواى مع الركب (البيت). قال الشيخ عبد القاهر: الجملة الخبرية إذا انتقلت من معناها الخبرى إلى معنى الجملة الانشائية كمعنى الأمر فى قولك: رحمه الله كانت إنشائية، وأما إذا انتقلت إلى لازم لمعناها ليس معنى لجملة إنشائية فلا تصير إنشائية، وخالفه الزمخشرى وقال: تصير إنشائية. فعلى رأى الزمخشرى يكون من المجاز المركب كل من قوله تعالى حكاية عن أم مريم: «إنى وضعتها أنثى» وقول الشاعر: هواى (البيت). ونحو: بعت واشتريت، ولذلك قالوا نسبة الخبر حاكية لحالة بين الطرفين فى نفس الأمر ونسبة الانشاء غير حاكية بل هى محضرة فى ذهن السامع لغرض من الأغراض كالامتثال فى الأمر والنهى وانتقال الملك فى نحو بعت واشتريت، وتعظيم الممدوح فى نحو نعم الرجل فلان وإظهار التحسر فى نحو: إنى وضعتها أنثى، ونحو هواى مع الركب (البيت). وكون ما ذكر لا يدخل تحت قسم من أقسام الانشاء لا يمنع ذلك لكون الأقسام

تعالى : حكاية عن أم مريم : إنى وضعتها أنثى ، وقول الشاعر :

هوايَ مع الركب اليمانين مُصْعِدٌ جَنيب وجثمانى بمكة مُوثَقُ

ومنه الانشاء المستعمل فى الخبر كقوله صلى الله عليه وسلم : من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . أى يتبوأ ، لأن هذا كلام الشارع عليه الصلاة والسلام ، وهو لا يأمر أحدا بدخول النار ، وإنما يخبر بما سيقع .

ومنه الانشاء الذى خرج عن معناه الوضعى إلى معنى إنشائى آخر ، كالأمر والنهى المستعملين فى التمنى فى مثل قوله :

ياليل طل ياشوق دم ياصبح قف لا تطلع

علاقة المجاز المركب

قيل علاقة المجاز المركب اللازمية والملزومية ؛ لأن الاخبار بالاحتياج فى قولك : إنى محتاج يستلزم الاستعطاء ، والاخبار بوضع الأنثى فى الآية يستلزم إظهار التحسر والتحزن وهكذا .

وقيل العلاقة فى الانشاء المستعمل فى الخبر السببية ؛ إذ يتسبب عن الأمر بالتبوء الاخبار به ، وفى الخبر المستعمل فى الانشاء المسببية ، إذ

التى ذكروها موضوعة للانشاء صورة ومعنى ، وهذا إنشاء معنى وخبر صورة .
فان قلت : يمنع من هذا بالنسبة للآية ما صرحوا به من أن الانشاء لا يؤكد بأن .
قيل إن ذلك خاص بالانشاء الأصلى ، أما غيره فيؤكد نحو : إنى وضعتها أنثى ، ونحو : إن قومى كذبون .

أن إظهار التحسر والتحزن هو السبب فى الاخبار بوضع الأنثى.

وقيل هو مجاز بمرتبتين: فالخبر المستعمل فى الانشاء نقل من الاثبات على وجه الخبر إلى مطلق إثبات، ثم من مطلق إثبات إلى الاثبات على وجه الانشاء والانشاء المستعمل فى الخبر نقل من الاثبات على وجه الانشاء إلى مطلق إثبات ثم من مطلق إثبات إلى الاثبات على وجه الخبر، فالعلاقة التقييد ثم الاطلاق

تمرين

(١) فيما يأتى استعارات فبينها، وأجر كلا منها، وبين فضلها على الحقيقة:

« واتلُ عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » « وقذف فى قلوبهم الرعب » « وإذا مسَّ الانسان الضُّر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما » « وربَطْنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربُّنا ربُّ السموات والأرض » « الاسلام يَجُبُّ ما قبله » « الآن حَمِىَ الوطيس ».

(٢) بين فيما يأتى نوع المجاز، وإن كان مفردا مرسلا فبين علاقته، وإن كان استعارة فأجرها، بحيث لا يفوتك ذكر الجامع:

(وإنك لعلى خلق عظيم). (بل قلوبهم فى غمرة من هذا). (سنكتب ما يقول). (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك) (حرمت عليكم الميتة). (وإن حكمتَ فاحكم بينهم بالقسْط). (قل من ينجيكم من ظُلُمات البر والبحر). حبك الشىء يُعمى ويُصم. إنى على جناح سفر. (مَسَّنىَ الضر وأنت أرحم الراحمين). (قُتِلَ الانسانُ ما أكفره. من أى شىء خلقه).

(٣) فيما يأتى استعارات فبينها، وأجر كلا منها، بحيث تبين أمركبة هى

أم مفردة ، ثم أمكنية هي أم تصريحيــة ، أصلية أو تبعية ، مرشحة أم مجردة أم مطلقة ، وما قرينتها ؟ ، وما فضلهـا على الحقيقة : (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء) . (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله) . (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت) . (ولما سكت عن موسى الغضب) . عليكم بسنتي وسنة المهديين من بعدي وعضوا عليها بالنواجذ . إياكم والمشارة فإنها تحيي العرّة وتميت الغُرّة .

(٤) بين ما تراه في العبارات الآتية من تشبيه أو استعارة ، وقل كل ما تعرفه عما تجده منهما :

(وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) . (وجعلنا الليل لباسا) .(واخفض لها جناح الذل من الرحمة) . (وجعلنا الجبال أوتادا) . (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب . إنها ترمي بشرر كالقصر . كأنه جمالات صفر) .

(ا)سقاه الردى سيفٌ إذا سُلَّ أومضت إليه ثنايا الموت من كل مَرْقَب

(ب) لما نظرت إلى عن حدق المهـا وبسمت عن متفتّح النُّوّار
وعقـدت بين قضيب بان أهيف وكثيب رمل عُقْـدَةَ الزُّنار
عفّرتُ خدي في الثرى لك طائعا وعزمتُ فيك على دخول النار

(ج) وكأنهـا وكأن حامل كأسـها إذ قام يجلوها على النـدماء
شمسُ الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

(د) بعض التشبيهات الآتية يحسن فيـه إظهار أداة التشـبيه ، وبعضها يحسن فيه إظهار بعض الأدوات دون بعض ، وبعضها لا يصح فيه إظهار

الأداة إلا بتغيير فى صورة الكلام وبعضها لا يصح فيه إظهار الأداة مطلقا . فبين كلا منها ووجه ما تقول : أنت الأسد . أخوك شمس النهار

شمس تألقُ والفراقُ غروبُها ... عنا وبدرٌ والصدود كسوفه

أسدٌ دمُ الأسد الهزبرِ خضابُه ... موتٌ فريص الموت منه ترعد

(٦) قوله صلى الله عليه وسلم : المؤمن مُوهٍ راقع (١) ، يمكن اعتباره تشبيها ويمكن اعتباره استعارة

(ا) فما الفرق بين الحالين ؟

(ب) ضع لفظ الحقيقة موضع المستعار .

(ج) أجر الاستعارة وبين نوعها .

(٧) تقدم أن المتنبي فى قوله :

تعود أن يُغَبّر فى السرايا ... ويدخل من قتام فى قتام

قد كنى بالقتام عن الحرب فلم لم يكن هذا مجازا مرسلا علاقته المسببية .

الكناية

الكناية لغة أن تتكلم بالشيء وتريد غيره ، وهذا يشمل نوعى المجاز السابقين ، ككناية العرب عن المرأة بالقارورة (٢) ، والسرحة (٣) ,

---

(١) المراد أن المؤمن إذا أساء أحسن ، وإذا أخطأ ندم ، فكأنه يوهى دينه بمعصيته ، ويرقعه بتوبته ، فهو كمن يخرق ثوبا ، ثم يبادر رقْع ما خرق ورتْق ما فتق .

(٢) كقوله صلى الله عليه وسلم لحادى إبله : ياأنجشة ، رفقا بالقوارير . وقد تقدم فى الاستعارة .

(٣) كقول حُمَيد بن ثور :

والنخلة (١)، والحرث (٢)، وغيرها (٣).

والكناية اصطلاحا اللفظ الدال على ما له صلة ما (٤) بمعناه الوضعى لقرينة لا تمنع من إرادة الحقيقة، كفلان نقى الثوب: أى مبرأ من

وهل أنا إن عللتُ نفسى بسرحة ... من السرح مسدود على طريق

أبى الله إلا أن سرحة مالك ... على كل أفنان العضاه تروق

والسرحة الدوحة العظيمة يأوى الناس إلى ظلها. وأحسنها ما نبتت على الماء. ولذا عدوا من أحسن الكنايات قول الشاعر:

يا سرحة الماء قد سُدَّتْ موارده ... أمَا إليك طريق غير مسدود

شبه المرأة بالسرحة، لأن الرجل يأوى إلى المرأة ويسكن إليها ليستمتع بغرضه منها. كما يأوى إلى السرحة ليستظل بظلها ويستريح فى فنائها.

(١) كقوله:

ألا يا نخلة من ذات عرقٍ ... عليك ورحمة الله السلام

شبه المرأة بالنخلة فى الطول. واعتدال القامة. وحلاوة الجنى.

(٢) كقوله تعالى: «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم».

(٣) كانت تقع الكناية عن المرأة بهذه الألفاظ قصد التغطية والتعمية عمن يخشون الأهل والقرابة. فلا يجسرون على تسمية المرأة. أو ممن يتذممون من التصريح بها. أو يتوقعون أنه يسوءها. قال محمد بن نمير:

وقد أرسلت فى السر أن قد فضحتنى ... وقد بُحتَ باسمى فى النسيب وما تكنى

وفشا هذا النوع من الكناية أيام عمر بن الخطاب. بعد أن نهى الشعراء عن ذكر النساء فى أشعارهم. لما فيه من الفضيحة.

(٤) كالمشابهة والمجاورة واللزوم.

العيب (١) ، وكقول عنترة .

بزجاجة صفراء ذات أَسِرَّة قُرِنَتْ بأزهَرَ فى الشمال مُفَدَّم (٢)

قال ابن الأثير : كنى بالزَجاجة عن الخمر ، لأنها مجاورة لها ، وكقول الآخر :

طويل نجاد السيف شهم كأنما تصول إذا استنجدته بقبيل (٣)

فقد أراد بطول النجاد طول القامة ، لأن طول القامة رادف لطول النجاد ولازم له ؛ ومن أجل هذا درج علماء البيان على أن الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلى .

أغراضها

من أهم أغراض الكناية وألطفها :

---

(١) نقاء الثوب لايستلزم البرء من العيب . وقد يكون أنقى الناس ثوبا أكثرهم عيبا . ولكن بين المعنيين نوع من الشبه يتضح إذا قلنا : نقاء الثوب من الدنس يشبه نقاء العرض من العيب . أو العكس . ولم يعتبر مثل هذا من الاستعارة لجواز إرادة الحقيقة . والاستعارة لا تجوز فيها إرادة الحقيقة .

(٢) رأى ابن الأثير وبعض شراح المعلقات أنه أراد بالزجاجة الخمر . وجعل الصلة بين المعنيين المجاورة : وهى أن تريد ذكر الشيء فتتركه إلى ما جاوره . والأسرة الطرائق والخطوط واحدها سر بضم السين وكسرها . أو سرر أوسرار بكسر السين فيهما . وقوله « بأزهر » يعنى إبريقا من فضة أو رصاص . والمفدم ما سد فمه بخرقة أو ما عليه الفدام يصفى به : أى أنه يشرب كما تشرب السادة .

(٣) النجاد حمائل السيف وطوله يشهد بطول القامة ثم هو يشعر بتعظيم الممدوح

(١) الرغبة عن اللفظ الخسيس إلى لفظ شريف يدل على المقصود، من غير استكراه له ولا نفور منه، كقوله تعالى: «فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به» وقوله صلى الله عليه وسلم: حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها. وقول الشاعر:

وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه أو عرسه لكريهه لم يغضب (١)

ومن ذلك ما روى عن عمرو بن العاص أنه زوج ولده عبد الله امرأة فمكثت عنده ثلاث ليال لم يدن منها، وإنما كان ملتفتا إلى صلاته، فدخل عليها عمرو بعد الثلاث، فقال لها: كيف ترين بعلك. فقالت نعم البعل إلا أنه لم يغشَ لنا كنْفا (٢)، ولا قرب لنا مضجعا.

(٢) أن تمثِّل المعنى للذهن بجزئيات محسوسة يستدل بمجموعها عليه، فيؤدى بلفظ موجز يجمع بين الدعوى والدليل، فيتمكن من نفس السامع

لما يؤذن به من أنه من الأشداء أرباب السيف فينبه فى السامع إحساسا بقوة الممدوح وعظمته بخلاف ما لو قلت: طويل القامة فقوله: طويل النجاد معناه طويل شجاع. والقبيل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى: كالروم والزنج والعرب وقوله «كانما تصول إذا استنجدته بقبيل» يريد كانما هو قبيل تصول به إذا استنجدته ففيه تشبيه الواحد بالجمع فى القوة والنفع.

(١) كانت العرب تقول إن الجنين إذا تمت أيامه فى الرحم وأراد الخروج منه طلب بأنفه الموضع الذى يخرج منه فكنى الشاعر كناية لطيفة بمطلب أنفه عن فرج أمه. يقول إن الرجل الذى لا يحمى عرض أمه ولا يحمى امرأته لا يغضب بعد ذلك من شىء يؤتى إليه.

(٢) الكنف الستر والكنف الوعاء وكلاهما محتمل هنا.

ويتحدد القدر المعنى منه أو يكاد، فالشاعر الذى يقول:

أزبــد وأرغ أبا يزيــد فما وعيدك لى بضائر

كنى عن غضب يزيد غضبا شديدا بجزئيات محسوسة من أعراضه: هى الارغاء والازباد والوعيد، وهى لا شك شاهد على مقدار ذلك الغضب من الشدة. والشاعر الذى يقول:

نصبوا بقارعة الطريق خيامهم يتسابقون إلى قرى الضيفان
ويكاد مُوقدُهم يجود بنفسه حُبَّ القرى حطبا على النيران

وصفهم بالجود من طريق الكناية عنه بذكر ما يستلزمه من أعمالهم المحسوسة: من نصب الخيام بقارعة الطريق، ومن تسابقهم إلى القرى، ومن اهتمامهم بايقاد النيران، فصور المعنى تصويرا يمكنه فى النفس ويقرره فيها لما تضمنه من البرهان. وكذا الذى يقول:

رمَيتُهُم ببحر من حديد له فى البَرّ خلفهُمُ عُباب
فمسَّاهم وبسطهمُ حرير وصبّحهم وبسطهُمُ تراب

وصفهم من طريق الكناية أولا بالعز والغنى، إذ لا يقتنى بسط الحرير إلا من كان غنيا عزيزا ثم كنى ببسط التراب عما آل إليه حالهم بعد الحرب من الذل والفاقة.

لهذا قالوا: إن الكناية أبلغ من التصريح؛ لأنها ذكر الشىء بواسطة لازمه، ووجود اللازم يدل على وجود الملزوم، وذكر الشىء مع دليله أوقع فى النفس، وأبلغ من إثباته بنفسه، وفرق بين الدعوى التى يؤيدها الدليل والدعوى التى لا يؤيدها برهان ولا تعليل. قال صاحب الطراز:

والكناية تفيد الألفاظ جمالا ، وتكسب المعانى ديباجة ، وتحرك النفوس إلى عملها ، وتدعو القلوب إلى فهمها : فان أوقعتها فى المدح كانت أرفع وأحسن ، وفى نفس الممدوح أوقع وأمكن ، وإن صدرتها للذم كانت آلم وأوجع ، وإلى ذكر فضائح المذموم أسرع وأخضع ، وإذا أدخلتها من أجل الحجاج كان البرهان أوضح وأنور ، والسلطان بها أقدر وأقهر . إلى آخر ما قال فراجعه .

وإنما تحسن الكناية إن وفت بالغرض المقصود ، وأدت الفائدة المرجوة منها بلفظ شريف حسن كما فى الأمثلة السابقة . قال ابن الأثير : وتقبح إن لم تكن كذلك ، كقول الشريف الرضى يرثى امرأة : (إن لم تكن نصلا فغمد نصال) فى هذا من أسوأ الكناية مالا خفاء به . وهذا المعنى أخذه من قول الفرزدق ، فمسخه وشوه صورته : فان الفرزدق رثى امرأته فقال :

وجفن سلاح قد رزئتُ فلم أنح ... عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى جوفه فى دارم ذو حفيظة ... لوَ انّ المنايا أمهلته لياليا

وهذا حسن بديع فى معناه ، وما كنى رجل عن امرأة ماتت بأحسن من هذه الكناية ، فجاء الشريف الرضى فشوه صورتها . وقد عكس مع المتنبى ، فأحسن فيما أساء المتنبى فيه ، فقد أخطأ المتنبى إذ قال :

إنى على شغفى بما فى خُمْرها ... لأعف عما فى سراويلاتها (١)

(١) الخمر ككتب جمع خمار ككتاب سكن للضرورة والخمار ما تغطى المرأة به رأسها . والسراويل واحد السراويلات يذكر ويؤنث وهى أعجمية عربت وبعضهم يقول : إنها جمع سروال وسروالة . وهذا البيت مما عاب به الصاحب ابن عباد

وهذا كناية عن العفة إلا أن الفجور أحسن منها، وقد أخذ الشريف الرضى هذا المعنى فأبرزه فى أجمل صورة إذ قال:

أحِنُّ إلى ما تَضْمَنُ الخُمْرُ والحلى　　وأَصْدِفُ عما فى ضمان المآزر

أقسام الكناية

وتنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه ثلاثة أقسام: —

الأول: أن يكون المكنى عنه فيها ليس صفة ولا نسبة، وهو نوعان: أحدهما ما الكناية فيه معنى واحد (١) كقوله:

الضاربين بكل أبيضَ مِخْذَمٍ　　والطاعنين مجامعَ الأضغان (٢)

وكقول الآخر يرثى رجلا مات بعلة فى صدره:

ودبَّتْ له فى موطن الحلم علّةٌ　　لها كالصلال الرقش شرّ دبيب (٣)

وكقول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها قتله الذئب:

على المتنبي. وقال: كثير من العهر عندى أحسن من هذا العفاف. إلا أنى أرى أن ابن الأثير بالغ كثيرا فى تفضيل كناية الشريف الرضى على كناية المتنبي وإن كنت لا أنكر أن كناية المتنبي دونها.

(١) المراد بالمعنى الواحد ألا يكون من أجناس مختلفة وإن كان مثنى أو جمعا كمجامع الأضغان.

(٢) الأبيض السيف. والمخذم كمنبر القاطع. والضغن الحقد. كنى بمجامع الأضغان وهو معنى واحد عن القلب، وهذه الكناية تشعر بسبب الطعن والضرب وهو الحقد والكراهة. وتؤذن باحكامها وشدة تأثيرهما وقدرة الضاربين والطاعنين على النكاية وشدة الفتك. لما فى إصابة القلب من تحقق القتل.

(٣) الصل بالكسر ضرب من الحيات لا نجاة من لدغه. والرقشاء ذات نقط سود

فأتبعتها أخرى فأضللتُ نَصْلَهـا بحيث يكون اللُّبّ والرعب والحقد(١)

فقوله « بحيث يكون اللب والرعب والحقد » ثلاث كنايات لاستقلال كل منها بافادة المقصود. وثانيهما ما الكناية فيه مجموع معان ضم بعضها إلى بعض لتصير جملتها مختصة بموصوف، فيتوصل بذكرها إليه، كقولهم كناية عن الانسان: حيّ مستوى القامة عريض الأظفار (٢).

وشرط كل من هاتين الكنايتين أن تكون مختصة بالمكنى عنه لا تعداه، ليحصل الانتقال بها إليه (٣). وقد جعل السكاكى الأولى منهما قريبة لبساطتها بساطة تسهل على المتكلم الاتيان بها، وعلى السامع الانتقال منها، وجعل الثانية بعيدة لتركبها وصعوبة الاتيان بها والانتقال منها (٤).

فى بياض. كنى بموطن الحلم عن الصدر. وفى البيت تشبيه العلة الصدرية بالصلال الرقش. من حيث أن كلامنهما لا نجاة منه إذا دب.

(١) يقول أتبعت طعنة بطعنة أخرى أخفيت بها حديدة السيف فى القلب الذى هو موطن كل من تلك الصفات الثلاث.

(٢) فكل صفة من هذه الصفات لا تصلح وحدها كناية عن الانسان، إذ أن الوصف « حى » مشترك بينه وبين غيره من الحيوان، « واستواء القامة » يوجد فى النخل أيضا، وهكذا، بخلاف الكنايات الثلاث التى فى بيت البحترى فان كلا منها مختص وحده بالمكنى عنه.

(٣) هذا الشرط ليس خاصا بهاتين الكنايتين بل كل كناية لا بد فيها من ذلك، ولعلهم ذكروه بجانبها تذكرة.

(٤) البعيدة هنا غير البعيدة فيما يأتى لأن معناها هناك ما كثرت فيها الوسائط.

والثانى من أقسام الكناية أن يكون المكنى عنه صفة (١) وهو نوعان أيضا : ما كنايته قريبة ، وما كنايته بعيدة .

فالقريبة ما ينتقل منها إلى المقصود بدون واسطة (٢) . وهى نوعان : واضحة (٣) كقولهم : فلان طويل النجاد وخفية كقولهم كناية عن

---

(١) المراد بالصفة ما قام بغيره كالجود والكرم لا النعت . ومعنى كون المكنى عنه صفة أن يكون المقصود بالذات هو إفهام معنى الصفة من صفة أخرى أقيمت مقامها ، لا أن يكون المقصود إثباتها ، كأن يذكر جبن الكلب لينتقل منه إلى الجود لا إلى إثبات الجود .

(٢) سميت قريبة لقصر زمن إدراكها بسبب انتفاء الوسائط فصار الانتقال سريعا.

(٣) الواضحة ما سهل الانتقال منها إلى المطلوب بها ، كقولهم : فلان طويل نجاده وفلان طويل النجاد ، ومن الواضحة ما هو كناية ساذجة لا يشوبها شىء من التصريح ، نحو : فلان طويل نجاده ، ومنها ما هو كناية فيها تصريح : كفلان طويل النجاد . والفرق بينهما أن الساذجة لاترفع ضمير الموصوف بل ترفع اسما ظاهرا هو النجاد لينتقل منه إلى طول قامة فلان أما غير الساذجة فتتضمن نوعا من التصريح بتحملها ضمير الموصوف لاحتياجها إلى مرفوع تسند إليه ، فاشتملت بثبوت الطول للموصوف على نوع تصريح . والدليل على تحملها الضمير أنك تقول : فلانة طويلة النجاد والزيدان طويلا النجاد فتؤنث وتثنى ولولا إسنادها لضمير الموصوف ما طابقته تذكيرا وإفرادا وغيرهما ، وإنما قيل إن الصفة مشوبة بالتصريح ولم يكن هذا تصريحا للقطع بأنها فى المعنى صفة فى الظاهر بعدها وهو النجاد . لا فى نفس الموصوف الذى هو فلان واعتبار الضمير إنما جاء رعاية لأمر لفظى وهو أنه لا يجوز أن تخلو الصفة من مرفوع بها .

الأبله : هو عريض القفا (١) .

والبعيدة ما ينتقل منها إلى المقصود بواسطة كقوله :

وما يك فيَّ من عيب فاني   جبان الكلب مهزول الفصيل

فقد كنى عن جوده وكثرة قراه الضيفان بجبن الكلب وهزال الفصيل ، إذ ينتقل الذهن من جبن الكلب إلى تأديبه ، ومن تأديبه إلى استمرار ما يوجب نباحه ، وهو اتصال مشاهدته وجوها إثر وجوه ، ومن هذا إلى كون صاحبه مقصدا للداني والقاصي ، ومن هذا إلى أنه يقرى الأضياف ، ومن القرى إلى الجود والسخاء .

وكذلك ينتقل من هزال الفصيل إلى فقد أمه بنحرها (٢) ، ومنه إلى

---

(١) الخفية هي التي يتوقف الانتقال منها إلى اللازم على تأمل وروية كقولهم في الأبله : عريض القفا ، فان عرض القفا وعظم الرأس في إفراط مما يستدل بهما على البلاهة . فهي لازمة لكل منهما إلا أن الانتقال منه إلى البلاهة فيه نوع خفاء . وهذا على ما يعتقده بعض الناس . ويعتقد بعضهم أيضا أن عظم الرأس بلا إفراط يدل على النبه وكمال العقل . وقد فخر طرفة ابن العبد بصغر رأسه وخفة لحمه فقال :

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه   خشاش كرأس الحية المتوقد

والضرب الخفيف اللحم . والخشاش بفتح الخاء وكسرها صغير الرأس . والعرب تتمدح بخفة اللحم لأن كثرته داعية إلى الكسل والثقل وهما يمنعان من الاسراع في دفع الملمات وقوله : كرأس الحية المتوقد يريد المتوقد عينه . وعين الحية من العيون التي توصف بالحمرة والحية تقع على الذكر والأنثى ولذا ذكّر الوصف هنا وصغر الرأس دليل عندهم على الذكاء .

(٢) أو إلى أخذ لبنها للضيوف .

قوة الداعى إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق ولا سيما المُتْلِيَات، ومنه إلى صرفها إلى الطبائخ، ومنه إلى أنه مضياف، ثم إلى أنه سخى كريم. وبحسب قلة الوسائط وكثرتها تختلف الدلالة على المقصود وضوحا وخفاء.

الثالث من أقسام الكناية أن يكون المكنى عنه نسبة: وذلك بأن يصرح المتكلم بالصفة مثبتة لشيء ويقصد باثباتها له الكناية عن إثباتها للموصوف، أو يصرح بها منفية عن شيء ويقصد بنفيها عنه نفيها عن الموصوف. والأول كقول زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة والندى ... فى قبة ضربت على ابن الحشرج(١)

فقد أراد أن يقول إن السماحة والمروءة والندى مجموعة فيه، أومقصورة عليه أو مختصة به، لكنه عدل إلى ما هو أرق وأدخل فى الاعجاب والمدح، فكنى عن ذلك بثبوتها فى مكانه وحيزه وما كان فى مكانه وحيزه فهو له. وكقولهم: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه: فقد كنوا عن ثبوت الكرم والمجد له بثبوتهما فى محله على النحو السابق. والثانى كقول الشنفرى يصف امرأة بالعفة:

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها ... إذا ما بيوتٌ بالملامة حُلّت

فانه حين أراد أن يبين عفافها، وبراءة ساحتها عن التهمة، وكمال نجاتها عن أن تلام بنوع من الفجور، على سبيل الكناية — قصد إلى

---

(١) عبد الله بن الحشرج كان أميرا على نيسابور فوفد عليه زياد فأكرمه ووصله. ويفهم من قوله «فى قبة» أن هذا الممدوح ممن تضرب فوقهم القباب، وهذا عنوان الغنى والسيادة، ومن شأنها أن ينبها النفس إلى إعظام الممدوح وإجلاله.

نفس النجوة عن اللوم ، ثم لما رآها غير مختصة بتلك العفيفة ، لوجود عفائف كثيرة فى الدنيا ، نسبها إلى بيت يحيط بها تخصيصا للنجاة عن اللوم بها ، فهو قد نفى اللوم عنها بأن نفاه عن بيتها .

هذا وقد يكون الموصوف بالكناية غير مذكور كقولك لمن يؤذى المسلمين : المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه ، فانه كناية عن نفى صفة الاسلام عن ذلك المؤذى دون أن يكون له ذكر فى الجملة .

ويرى السكاكى أن الكناية إن كثرت فيها الوسائط سميت تلويحا (١) نحو : كثير الرماد ، وإن قلت وخفيت سميت رمزا (٢) نحو : هو رخو سمين ، وإن قلت أو لم تكن ووضحت سميت إيماء وإشارة (٣) نحو :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله   فى آل طلحة ثم لم يتحول (٤)

كناية عن أنهم أمجاد ، وإذا مال الكلام إلى عرض (٥) يدل على

---

(١) لأن التلويح أن تشير إلى غيرك من بعد .

(٢) لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية ، قال الشاعر :

رمزت إلى مخافة من بعلها   من غير أن تبدى هناك كلامها

(٣) لأن الاشارة تستعمل عادة فى الدلالة على المحسوس .

(٤) البيت للبحترى وإلقاء الرحل كناية عن الاقامة . والتحول الارتحال يقول : قد علمت أن المجد أقام فى آل طلحة ولم يرتحل عن خيامهم ، فأثبت المجد فى مكانهم وبهذا أثبته لهم ، فالمكنى عنه فيه نسبة .

(٥) العرض بالضم الجانب والناحية . وجعل التعريض من الكناية غير متفق عليه . ومن مزاياه أنه يمكنك من أن تنال من خصمك وتشير إلى عيوبه بما لا يخرج عن حد الأدب ولا يجعل له عليك سبيلا .

المقصود كان تعريضا كقولك لشخص لا ينفع : خير الناس من ينفعهم . والله أعلم .

شواهد للكناية من كتاب الايضاح

١ أبت الروادف والثدى لقُمصها مسَّ البطون وأن تمس ظهورا(١)

٢ لعبد العزيز على قومه وغيرهم منَنٌ ظاهرة

فبابُك أسهل أبوابهم ودارُك مأهولة عامرة

وكلبك آنس بالزائرين من الأم بابنتها الزائرة (٢)

---

(١) فى البيت كناية عن صفة ، فقد كنى بمنع الروادف والثدى قمصها أن تمس بطنها وظهرها عن عظم كفلها وتهديها ، وضمور بطنها ودقة خصرها . وجمع الروادف مبالغة فى عظم الكفل كأن لها منه جملة روادف ، وجمع البطن والظهر مراعيا فى كل منهما ما حوله ، وجمع الثدى وليس لها إلاَّ ثديان ، وهكذا كانت العرب تجمع فى موضع الافراد والتثنية ، فقد قالوا شابت مفارقه وقال الشاعر :

والزعفران على ترائبها شرق به اللبات والنحر

فجمع التربية واللبة بما حولها ، وإذا جاز الجمع فى موضع المفرد فالجمع فى مكان المثنى أجوز ، كما هو فى كلمة الثدى هنا . هذا وفى البيت من البديع اللف والنشر ، فقد جمع بين الروادف والثدى ، ثم ذكر ما لكل منهما ثقة بأن السامع يرد ما لكل إليه .

(٢) كنى عن وفور إحسان عبد العزيز إلى الخاص والعام واتصال أياديه لدى القريب والبعيد ، بأن جعل كلبه آنسا بالزائرين ذلك الأنس ، فدل بمعنى أنسه بالزائرين على أنهم معارف عنده ، لأن الكلب لا يأنس إلا بمن يعرف ، ودل بمعنى كونهم

٣ يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبّـه وهو أعجم (١)
٤ لا أمتع العوذ بالفصـال ولا أبتاع إلا قريبة الأجـــل (٢)
٥ تشتكى ما اشتكيت من ألم الشو ق إليها والشوق حيث النحول(٣)

معارف عنده على اتصال مشاهدته إياهم ليلا ونهارا ، ودل بهذا على لزومهم سدة عبد العزيز ، ودل بهذا على تسنى مبـاغيهم هنالك تسنيا لا ينقطع ، فدل بذلك على ما أراد من وفور الاحسان ولوح له مع بعد المسـافة بين أنس الكلب بالزائرين وبين إحسان عبد العـزيز الوافر . وفى وصف ابنتهـا بالزائرة زيادة مبـالغة فى استئنـاس الأم بها وإذا كان الكلب آنس من أم قد بولغ فى استئناسها بابنتها ، فعنى هـذا المبـالغة فى استئنـاس الكلب بالزوار وهـذا يقتضى شـدة المبالغة فى الوصف بالاحسان وقوله « فبـابك أسـهل أبوابهم » فيه التفـات من الغيبة إلى الخطاب .

(١) الشاهد فيه كالذى قبله والبيت لابن عرفة (حماسى) والضمير فى يـكاد للـكلب ومقبلا حال والبيت فيه غلو مقبول لوجود لفظ يـكاد وفيه طبـاق بين قوله « يكلمه » وقوله « أعجم » .

(٢) العوذ بضم العين الابل الحديثات النتاج جمع عائذ مثل حائل وحول . وفى البيت كناية عن صفة : دل بقوله : « لا أمتع العوذ بالفصال » على أنه لا يبقى لها فصالها تفرح بها وتشاهدها ، بل يذبح تلك الفصال أو دل بقوله لا أمتع العوذ بالفصال على أنه لا يبقى العوذ بسبب وجود فصالها بل يذبحها ودل بأنه لا يبقيها على أنه ينحرها ودل بنحرها على أنه كثير القرى فدل بذلك على وفور الجود ، وكذا دل بقوله « قريبة الأجل » على أنها لاتثبت عنده حية ودل بهذا على أنه ينحرها ودل بنحرها على أنه مضياف .

(٣) والشوق حيث النحول كناية عن كذبها فى شكواها ألم الشوق ، لأن فيه تعريضا بسمانتها

٦ إلى كم ترد الرسل عما أَتَوْا له كأنهم فيما وهبتَ مَـــلام (١)
٧ فان أنا لم يحمدك عنى صاغرا عدوُّك فاعلم أننى غير حامد (٢)

وهذا يقتضى عدم التفكير فيمن تدعى حبه ، وعدم التفكير يقتضى عدم الشوق ، وعدم الشوق يقتضى عدم الألم ، فهى كاذبة . ثم إن هذه الكناية كناية عن صفة، وقد تعددت فيها الوسائط ، وكأنه قال : تشتكى ما اشتكيت إليها من ألم الشوق وهى سمينة ، ولو كانت صادقة فى شكواها لهزلها شوقها :

(١) يصفه بأنه اعتاد أن يرد ملام من يلومونه على كثرة العطاء ، وبأنه يرد الرسل الذين أتوا يطلبون الهدنة ، واستعمل فى ذلك طريقة السؤال ، فقال : إلى كم ترد طلاب الهدنة كما ترد لوم من يلومونك فى العطاء ، فكنى بالشطر الأول عن شجاعة الممدوح ، لأن رد طلاب الهدنة يدل على الرغبة فى مداومة الحرب ، والرغبة فى مداومة الحرب تدل على الشجاعة . وكنى بالشطر الثانى عن سخائه و لأنه أخبر بأنه يرد ملام من يلومونه فى العطاء ، وهذا يدل على الرغبة فيه ، والرغبة فيه تدل على الجود الذى هو المقصود .

وفى البيت استفهام ظاهره الاستبطاء ، ولكن فيه معنى التعجب من شدة رغبته فى الحرب والمثابرة عليها ، وفيه تشبيه : طرفه الأول حال الممدوح مع طلاب الهدنة من حيث رجاؤهم إياه ورفضه طلبهم ، وطرفه الثانى حاله مع من يلومونه فى عطائه ، وعدم قبوله اللوم عشقا للجود ، والجامع رد كل منهما بالخيبة لايثار الممدوح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وإعراضه عما يبغيه كل منهما .

(٢) كنى بحمد عدو الممدوح إياه صاغرا عن إجادة القول فيه إجادة تدفع عدوه على الرغم منه أن يحفظ مدائحه ويرددها ، فجعل من ترديد العدو لتلك المدائح التى راقته مدحا للممدوح بها ففيه كناية عن صفة .

٨ ضعيف العصا بادى العروق ترى له   عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا (١)
٩ والمجد يدعو أن يدوم لجيده   عقدٌ مساعى ابن العميد نظامُهُ (٢)
١٠ فما جازه جود ولا حل دونه   ولكن يسير الجود حيث يسير (٣)
١١ أَبِنَّ فما يزرن سوى كريم   وحَسْبُك أن يزرن أبا سعيد (٤)

---

(١) يصف راعى إبل وغنم بالرفق بها والشفقة عليها والعمل بلطف على تحسين حالها وبخاصة وقت الحرب فكنى عن هذا بضعف العصا أى لينها وقوله : « بادى العروق » كناية عن هزاله وإنما أراد بالأصبع أثرها الحسن فعبر عنه بها لأن الأعمال اللطيفة الدقيقة إنما تعمل به ففيه مجاز مرسل علاقته السببية من قبيل العلة الفاعلية أو علاقته الآلية.

(٢) أثبت المجد لابن العميد بأن أثبت له مساعى وجعلها نظام عقد وبين أن مناط ذلك العقد هو جيد المجد فنبه بذلك على اعتناء ابن العميد بتزيين المجد ونبه بتزيينه إياه على اعتنائه بشأن ذلك المجد وعلى محبته إياه فنبه بذلك على أنه ماجد ولم يقنعه ذلك حتى جعل المجد المعرف بال داعيا أن يدوم ذلك العقد لجيده فنبه بذلك على طلب حقيقة المجد ودوام بقاء ابن العميد ونبه بذلك على أن تزيينه والاعتناء بشأنه مقصوران على ابن العميد حتى حكم بتخصيص المجد بابن العميد وأكده أبلغ تأكيد. وحاصله أن الشاعر جعل المجد متزينا فى المآل بابن العميد وجعل تزيينه به تخصيصا له به على نحو ما يقال : تزينت الوزارة بفلان إذا حصلت له.

(٣) كناية عن نسبة الجود إليه باثباته فى مكانه وملازمته إياه أينما كان فهو لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه ولكن يسير حيث يسير.

(٤) جاء به القزوينى شاهدا للايماء أو الاشارة وهما ما كانت فيه الكناية واضحة فافادة أن أبا سعيد كريم من قوله « وحسبك أن يزرن أبا سعيد » واضحة غير خفية والضمير فى «أبِنّ» للابل. يقول: كافيك من كل كريم أن تزور إبلك أبا سعيد

١٢ متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو من تميم (١)

تطبيق

(١) بين ما فى الأمثلة الآتية من الكناية ، ومن أى نوع هى بالنسبة للمكنى عنه ، وبم تمتاز عن التصريح ؟

قال حاتم الطائى :

وما تشتكينى جارتى غير أننى إذا غاب عنى بعلها لا أزورها
سيبلغها خيرى ويرجع بعلها إلىّ ولم تُسْبَل على ستورها

وقال آخر :

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يدمى بنانه

وقال أبو نواس فى الخمر :

ولما شربناها ودب دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفى

وقال أبو الطيب المتنبى :

المجد عوفى إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك السقم

وقال السرى الرفاء :

مواطن لم يسحب بها الغى ذيله وكم للعوالى بينها من مساحب

وقال أبو تمام :

نامت همومى عنى حين قلت لها هذا « أبو دلف » حسبى به وكفى

(٢) الشاهد فيه كالذى قبله فانه فى إفادة كرم مسلمة أظهر . ومتى استفهامية والاستفهام للانكار فهو يقول : ما دام مسلمة بن عمرو من تميم فهى لا تخلو من كريم .

وقال آخر:

فلما بلغنا الأمهات وجدتم بنى عمكم كانوا كرام المناكح

ويقال: مجلس فلان موطن الجود والكرم. فلان من المستريحين. فلان خفيف اليد.

(٢) ماذا تقول إذا أردت أن تعدل عن كل من الكنايات الآتية إلى التصريح؟

(ا) اليمن يتبع ظله، والجود يمشى فى ركابه.

(ب) نفض الخوف جراب معدته.

(ج) فلانة لا ترد يد لامس.

(د) ولست بواقع فى قدر قوم إذا كرهوا كما يقع الذباب

(٣) ما الفرق بين المجاز والكناية، ولم كانت الكناية أبلغ من التصريح؟

(٤) ايت بثلاثة أمثلة للكناية عن النسبة، وبمثلها للكناية عن صفة، وبمثلها للكناية عن موصوف.

(٥) ضع كناية عن كل مما يأتى فى جملة: الفرج. الصدر. القلب الجماع.

(٦) هات مثالين للكناية عن صفة العفة، وآخرين للكناية عن الذلة

(٧) قال مسكين الدرامى:

نارى ونار الجار واحدة وإليه قبلى تنزل القدر
أعمى إذا ما جارتى برزت حتى يغيب جارتى الخدر
ما ضر لى جارا أجاوره ألا يكون لبيته ستر

فبماذا يفتخر ؟ . وقد حكى أنه وقع بينه وبين زوجه سب ، فلما قال البيت الأول قالت امرأته : القدر لجاره فهى تنزل إليه قبله . ولما قال الثالث قالت : بل يتسور على جارته . فما رأيك ؟ أيحتمل كلام مسكين ما ذهبت إليه ؟ وبم تؤيد رأيها أو تمنعه ؟

(٨) قال تعالى : « وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

أغبط الناس عندى مؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من صلاة (١) وقال : أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا . وقال : ذلك رجل بال فى أذنه الشيطان . وقال : عليكم بسنتى وسنة المهديين من بعدى ، وعضوا عليها بالنواجذ . وقال : اليد العليا خير من اليد السفلى .

وقال حسان بن ثابت :

بنى المجد بيتا فاستقرت عماده ... علينا فأعيا الناس أن يتحولا

وقال البحترى :

ظللنا نعود المجد من وَعكك الذى ... وجدت وقلنا اعتل عضو من المجد(٢)

وقال بعض الشعراء :

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل ... أبوها وإما عبد شمس وهاشم

---

(١) الحاذ اسم لما وقع عليه الذنب من مؤخر الفخذين . هذا قول الأصمعى وقال غيره : بل هو لحم باطن الفخذ . يقول إن أغبط الناس عندى من قل ماله أو من قلت عياله.

(٢) كان الممدوح قد اعتل بعض أعضائه .

فبين المكنى به ، والمكنى عنه ، ونوعه فى كل من الجمل السابقة .

تمرينات عامة

(١) الأبيات الآتيـة من الشواهد التى بكتاب الايضاح للقزوينى فتكلم على ما فيها من البيان .

اـ أكلتُ دما إن لم أرعك بضرة ‌ ‌ بعيدة مهوى القرط طيبة النشر (١)

بـ أرى الشهباء تعجن إذ غدونا ‌ ‌ برجليها وتخبز باليـــدين (٢)

جـ بعَرْض تنوفة للريح فيها ‌ ‌ نسيم لا يَرُوعُ الترب وانى (٣)

د ـ يناجينى الاخلاف من تحت مطله ‌ ‌ فتختصم الآمال واليأس فى صدرى (٤)

هـ ـ ألم تك فى يمنى يديك جعلتنى ‌ ‌ فلا تجعلنِّى بعدها فى شمالكا (٥)

و ـ وهون عليك فان الأمور ‌ ‌ بكف الاله مقاديرهـــا

ز ـ وغداة ريح قد كشفتُ وقرَّة ‌ ‌ إذ أصبحتْ بيد الشمال زمامها

(٢) بين فى التشبيهات الآتيـةً وجه الشبه ، ثم حول كلا منهـا إلى

---

(١) كان العرب يكرهون أخذ الدية ويرونها عارا ويحرصون على الثأر فهو يدعو على نفسه بذلك العار إن لم يجىء لزوجه بضرة تروعها .

(٢) لأبى دلامة فى بغلته . وغدونا سرنا وقت الغدوة .

(٣) لسوار بن المضرب فى وصف اليمامة وطيب هوائها . والتنوفة المفازة . والوانى الضعيف اسم فاعل ونى .

(٤) المناجاة المسارة . واختصام الآمال ازدحامها .

(٥) لابن ميادة ومعنى كونه فى اليمنى أنه عزيز .

استعارة، وبين نوعها، وقرينتها والجامع فيها :

ا ـ قوم إذا نهضوا لنجدة صارخ ركبوا الجيـــاد كأنهن رياح

ب ـ وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علـــم فى رأسه نار

جـ ـ وكأن الهـــلال نون لجين غرقت فى صحيفة زرقاء

د ـ كان القرآن نور يستضاء به .

(٣) وازن بين :

ا ـ التشبيه فى قول النابغة :

فانك كالليـل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

والتشبيه فى قول الآخر :

فلو كنت فوق الريح ثم طلبتنى لكنتُ كمن ضاقت عليه المذاهب

ب ـ التشبيه فى قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

والتشبيه فى قول ابن المعتز :

إذا شئت أوقرت البلاد حوافرا وسارت ورائى هاشم ونزار

وعم السماءَ النقعُ حتى كأنه دخانٌ وأطراف الرماح شرار

جـ ـ استعارة السيل فى قول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

---

(٦) البيت للبيد وضمير زمامها للغداة أو للقرة والقرة البرد يقول : كشفتها بالطعام والكسوة وإيقاد النيران وقوله : إذ أصبحت بيد الشمال زمامها أى إذ أصبحت الغداة والغالب عليها الشمال .

وقول الأستاذ الجارم بك من قصيدة قيلت فى الصعيد يهنئ بها جلالة الملك فاروق بعيد مولده :

سالت إليك به المدائنُ والقُرىَ والبدر يُغْرى العين باستجلائه(١)
سَدّوا الشعاب وأَقبلت أرسالهم كالزاخر الهدَّار فى ضوضائه

وبين فى كل أى التشبيهين أو الاستعارتين أبلغ ، وأى الشاعرين كان أجود أداء للمعنى ، وما وجه ما تقول ؟

(٤) تكلم على ما فى الأبيات الآتية من علم البيان ، وبين ما تراه فيها من الحسن :

قال البحترى يصف مبارزة الفتح بن خاقان للأسد :

فلم أر ضرغا مين أصدقَ منكما عراكا إذا الهيابة النِّكس كذّبا
هزبر مشى يبغى هزبرا وأغلبٌ من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا

وقال المتنبي :

سفرت وبرقعها الحياء بصفرة سترت محاسنها ولم تك برقعا
فكأنها والدمع يقطر فوقها ذهبٌ بسمطَىْ لؤلؤٍ قد رصِّعا (٣)

---

(١) به أى بالصعيد ويغرى : يجذب واستجلاؤه : النظر إليه . أى كما أن البدر يحمل الناس على النظر إليه كذلك كنت تحفزهم على تدفقهم إليك .

(٢) الأرسال : الجماعات واحدها رسل بالتحريك والزاخر الهدار البحر الذى قد طغت مياهه واشتد صوت خريره .

(٣) سفرت أى ظهرت ، وضمير كأنها للصفرة ، وقوله « والدمع » الخ منظور فيه إلى قول أبى نواس :

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب

كشفتْ ثلاثَ ذوائب من شعرها في ليلة فأرتْ ليالىَ أربعا
واستقبلتْ قمر السماء بوجهها فأرتنىَ القمرين فى وقت معا

وقال ابن المعتز:

وتهتز من تحت الثياب كأنها قضيب من الريحان فى الورق الخُضْر
أبى الله إلا أن أموت صبابة بساحرة العينين طيبة النشر

وقال آخر:

والسحب تلعب بالبروق كأنها قار على عجل يقلب مصحفا
قد قلدت بالنَّوْر أجياد الربى حليًا وألبست الخمائل مُطْرفا

وقال أبو القاسم الزاهى:

الريح تعصف والأغصان تعتنق والمزن باكية والزهر معتبق
كأنما الليل جفنٌ والبروق له عين من الشمس تبدو ثم تنطبق

(٥) بين طرفى التشبيه، ووجهه، والغرض منه فيما يأتى:

ا ـ قال ابن الرومى فى سوداء:

أكسبها الحبَّ أنها صُبغَتْ صبغة حب القلوب والحدق

ب ـ وقال أبو القاسم الزاهى:

سفرن بدورا وانتقبن أهلة ومسْنَ غصونا والتفتن جآذرا
وأطلعن فى الأجياد بالدر أنجما جُعلْنَ لحبات القلوب ضرائرا

(٦) استعر كلا مما يأتى لحال تناسبه، ثم أجر الاستعارة مبينا فيها الجامع:

ا ـ وإذا خفيت على الغبي فعاذر ألا ترانى مقلةٌ عمياء

ب ـ وإذا أتتك مذمتى من ناقص   فهى الشهادة لى بأنى كامل

جـ ـ ما الجرح بميت إيلام (د)   فى الخمر معنى ليس فى العنب

(٧) تكلم على مافى الأبيات الآتية من علم البيان، موضحا ما تراه فيها من أسرار البلاغة:

قال الحُصْرى الضرير:

نصبت عيناى له شركا   فى النوم فعز تصيده
صاح والخمر جنى فمه   سكران اللحظ معربده
يا من سفكت عيناه دمى   وعلى خديه تورده
خداك قد اعترفا بدمى   فعلام جفونك تجحده

وقال حفنى بك ناصف:

ودعت باريس وقلبى بها   عند فتاة حسنها يفتن
ترنو بمغناطيس أحداقها   فتجذب الأرواح والأعين
الدر من مبسمها يستحى   وإن تثنت تخجل الأغصن

وقال النابغة:

نُبِّئْتُ أن أبا قابوس أوعدنى   ولا قرار على زأر من الأسد

وقال أبو تمام فى مرثية له:

ألا إن فى كف المنية مهجةً   تظل لها عين العلا وهى تدمع
هى النفس إن تبك المكارمُ فقدَها   فَمِن بين أحشاء المكارم تُنْزَع

وقال آخر:

ومشمش روض بددته يد الصَّبا   لنا بين أشجار له وغصون
كُرَى عسجد قامتْ لها من زبرجد   صوالج فى أيدى خرائد عين

(٨) قل كل ما تراه من تشبيه أو مجاز أو كناية فيما يأتى من الآيات والأحاديث والمأثور من كلام العرب ، بحيث تبين طرفى التشبيه ، وحقيقة المجاز ، والمكنى به ، والمكنى عنه ، والغرض من كل منها ، وسر بلاغته :

الآيات :

(١) وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا

(٢) وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا (٣) الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى (٤) والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون (٥) وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره (٦) حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت (٧) إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (٨) أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير (٩) إنا لنراك فى سفاهة (١٠) ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار (١١) ويسألونك عن المحيض قل هو أذى (١٢) يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان (١٣) والكاظمين الغيظ [1] (١٤) لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض [2] (١٥) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم (١٦) لا تحملنا [3] مالا طاقة لنا به (١٧) فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا (١٨) وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم .

---

(١) الكظم أن يملأ السقاء ماء ثم يشد على فمه بكظامه

(٢) أى كفر ونفاق وغيرهما مما يفسد القلب (٣) أى لا تكلفنا

الأحاديث

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) لا تستضيئوا بنار المشركين[١] (٢) أخاف عليكم إذا صُبَّتْ عليكم الدنيا صبا (٣) كيف بكم وبزمان يُغَرْبَلُ الناس فيه ويبقى حثالة قد مَرِجَتْ عهودهم وأماناتهم[٢] .

وقال سيدنا على :

وأيم الله لأقودن الظالم بخزامه حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها

وقال الشريف الرضى :

إذا أنت أفنيت العرانين والذرا   رمتك الليالى من يد الخامل الذكر
وهبك اتقيت السهم من حيث يتقى   فمن ليد ترميك من حيث لا تدرى

وقال بعضهم فى الأقلام :

نَبْل حباها من رءوس بنانه   ريشا ومن حلل المداد نصولا
فَقَرَتْ شواكل كل أمر مشكل   ورددن كل مُفَضَّل مفضولا
وترى الصحيفة حلبة وجيادها   أقلامه وصريرهن صهيلا

وقال آخر :

أتتنى الشمس زائرة   ولم تك تبرح الفلكا

وقال المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت   منها الشموس وليس فيها المشرق

---

(١) أى برأيهم ومشورتهم . (٢) مرج الشىء كفرح مأخوذ من القلق والاضطراب والمجى والذهاب .

وقال أيضا :

فلم أر قبلى من مشى البحر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الأسد

وقال زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعُرِّى أفراسُ الصبا ورواحله

وقال أبو نواس :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت سرح اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك أثام

وقال :

ملك إذا اعتبر الأمور مضى به رأى يفل السيف وهو حسام
داوى به الله القلوب من العمى حتى أفقن وما بهن سقام

وقال الشريف الرضى :

كأن تراجيع الحداة وراءها صفير تعاطاه اليراع المثقب

وقال بعضهم فى سحاب ذى رعد وبرق :

عارض أقبل فى جنح الدجى يتهادى كتهادى ذى الوجا
أتلفت ريح الصبا لؤلؤه فانبرى يوقد عنها سرجا

وقال آخر :

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وقال آخر فى وصف ميدان القتال :

وإذا السنابك أنشأت ليلا به بعث الصباح له سنى الأسياف

وقال البارودى :

أبى الدهر إلا أن يسود وضيعه ويملك أعناق المطالب وغده
تداعت لدرك الثأر فينا ثعاله ونامت على طول الوتيرة أسده (١)

وقال :

وليل جمعت اللهو فيه بغادة لها نظرة تسدى الهوى وتثير
عقلنا به ماندّ من كل صبوة وطرنا مع اللذات حيث تطير

وقال :

من النفر الغر الذين سيوفهم لها فى حواشى كل داجية فجر
إذا استل منهم سيد غرب سيفه تفزّعت الأفلاك والتفت الدهر

وقال :

أخذ الكرى بمعاقد الأجفان وهفا السُّرى بأعنّة الفرسان
والليل منشور الذوائب ضارب فوق المَتالع والربى بجِران

وقال :

بلد خلعت به عذار شبيبتى وطرحت فى يمنى الغرام عنانى

وقال شوقى بك فى وصف الطيارة :

مركب لو سلف الدهر به كان إحدى معجزات القدماء
حمل الفولاذ ريشا وجرى فى عنانين له نار وماء
وجناح غير ذى قادمة كجناح النحل مصقول سواء
وذنابى كل ريح مسها مسه صاعقة من كهرباء
يملأ الآفاق صوتا وصدى كعزيف الجن فى الأرض العراء

---

(١) الثعال : علم أنثى الثعالب . والوتيرة : الفتور والتوانى والثأر

أرسلته الأرض عنها خبرا   طنَّ فى آذان سكان السماء

وقال :

ولقد تمر على الغدير تخاله   والنبتَ مرآةً زهت باطار
حلو التسلسل موجه وخريره   كأنامل مرت على أوتار
ينساب فى مخضلَّة مبتلة   منسوجة من سندس ونُضار (١)

وقال فى مشروع ٢٨ فبراير :

ضموا الجهود وخلوها منكرة   لا تملئوا الشِّدق من تعريفها عجبا
أفى الوغى ورحى الهيجاء دائرة   تحصون من مات أو تحصون ما سلبا؟
خلوا الأكاليل للتاريخ إن له   يدا تؤلفها درا ومَخْشَلَبا (٢)

وقال :

دار النيابة هيئت درجاتها   فليرق فى الدرج النوائب والذرا
الصارخون إذا أسىء إلى الحمى   والزائرون إذا أُغيرَ على الشرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الألى   يمشون فى ذهب القيود تبخترا

وقال من قصيدة فى تكريم سعد زغلول باشا :

إنى نظرت إلى الشعوب فلم أجد   كالجهل داء للشعوب مُبيدا
الجهل لا يلد الحياةَ مواتُه   إلا كما تلد الرمامُ الدودا

وقال حافظ بك يخاطب عيَّابة كثير العيوب :

يا ساكن البيت الزجا   ج هبلت لا ترم الحصونا (٣)

---

(١) اخضل الشىء : صار نديا بليلا .

(٢) المخشلب : الزجاج . (٣) هبلت بالبناء للفاعل ، وقال ثعلب بالبناء للمفعول أى ثكلتك أمك .

أرأيت قبلك عاريـــا يبغى نزال الدارعينـــه

وقال على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى وناديت قومى فاحتسبت حياتى (١)
رمونى بعقم فى الشباب وليتنى عقمت فلم أجزع لقول عداتى (٢)
ولدت ولمـــا لم أجد لعرائسى رجالا وأكفاء وأدت بناتى (٣)
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتى
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى ومنكم وإن عز الدواء أساتى (٤)

ومن كتابه وهو بالسودان إلى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده :

أناديه نداء الأَخِيذة (٥) فى عمورية ، شجاع الدولة العباسية ، وأمد

---

(١) الحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عددتها عند الله فيما يدخر .

(٢) العداة الأعداء . (٣) يريد بالعرائس الألفاظ المجلوة الحسنة .

(٤) الأساة جمع آس وهو الطبيب .

(٥) الأخيذة الأسيرة فعيلة بمعنى مفعولة . وعمورية بلد من بلاد الروم فتحه المعتصم بالله ثامن خلفاء بنى العباس سنة ٢٢٣ هـ . ويريد بشجاع الدولة العباسية المعتصم بالله السابق ذكره . ويشير بهذا الكلام إلى امرأة من نساء المسلمين أسرها الروم فى عمورية فى عهد المعتصم ، وكان الروم يعذبونها فصاحت : وامعتصماه ! فقال لها بعض الحراس ساخرا بها : سيأتيك المعتصم على جواد أبلق وخلفه خيول بلق ، فينقذك من أيدينا ، فنمى خبر هذا الكلام إلى الخليفة المعتصم ، فأقسم أن يفتح بلاد الروم ويعود بالأسيرة ، ثم جرد لوقته على بلاد الروم جيشا كثيفا كله خيول بلق ، وتقدمه هو على جواد أبلق ، فنكل بالروم وفتح عمورية ودخل على الأسيرة فى سجنها واستخلصها وأعادها إلى بلادها .

صوتى بذكر إحسانه، مد المؤذن صوته فى أذانه، وأعتمد عليه فى البعد والقرب، اعتماد الملاح على نجمة القطب.

وقال أصيحابى وقد هالنى النوى وهالهم أمرى: متى أنت قافل؟ (١)
فقلت إذا شاء الامام فأوبتى قريب وربعى بالسعادة آهل (٢)

وهأنا متماسك حتى تنحسر هذه الغمرة(٣)، وينطوى أجل تلك الفترة، وينظر لى سيدى نظرة ترفعنى من ذات الصدع (٤) إلى ذات الرجع، وتردنى إلى وكرى (٥) الذى فيه درجت رد الشمس قطرة المزن إلى أصلها، ورد الوفى الأمانات إلى أهلها.

فان شاء فالقرب الذى قد رجوتُهُ وإن شاء فالعز الذى أنا آمل
وإلا فانى قاف (رؤبة) لم أزل بقيد النوى حتى تغول الغوائل (١)

---

(١) النوى: البعد. وقافل: راجع.

(٢) قال «قريب» ولم يقل قريبة لأنه يستعمل فى المذكر والمؤنث كما قال الله تعالى: «إن رحمة الله قريب من المحسنين» وآهل بالسعادة: عامر بها.

(٣) تنحسر هذه الغمرة أى تنكشف هذه المصيبة.

(٤) الصدع: الشق، ويريد بذات الصدع الأرض. والرجع: المطر بعد المطر، وذات الرجع أى السماء قال تعالى: «والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع».

(٥) الوكر: عش الطائر والمراد به هنا وطنه. ودرجت: مشيت. والمزن (بضم فسكون) السحاب. ويشير بهذه العبارة إلى ماء المطر الذى يسقط من السماء فتحوله الشمس بحرها إلى بخار، ثم يعود إلى أصله سحابا.

(٦) رؤبة هو ابن العجاج بن رؤبة من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، وكان هو وأبوه من رُجَّاز الاسلام وفصحائهم المذكورين المقدمين منهم، ومات

فلقد حللت السودان حلول الكليم (١) فى التابوت، بل حلول الوزير (٢) فى تنور العذاب، والكافر فى موقف يوم الحساب، بين نارين: نار القيظ ونار الغيظ.

فناديت باسم الشيخ والقيظ جمرة ... يُذيب دماغ الضب والعقل ذاهل (٣)
فصرت كأنى بين روض ومنهل ... تدب الصبا فيه وتشدو البلابل (٤)

وقال الأستاذ أحمد نجاتى:

رؤبة فى أيام المنصور، وكان يصنع أكثر أراجيزه على روى القاف الساكنة فضرب بقافه المثل فى السكون وعدم الحركة، والمراد هنا إن لم يدركنى الأستاذ الامام بمساعيه، فانى مستقر فى هذه البلاد البعيدة لا أبرحها كقاف رؤبة فى سكونها حتى يأتى الأجل. وفى قاف رؤبة هذه يقول أبو العلاء:

مالى غدوت كقاف رؤبة قيدت ... فى الدهر لم يقدر له إجراؤها

والغوائل الدواهى التى تأخذ الانسان من حيث لا يدرى.

(١) الكليم نبى الله موسى عليه السلام، وقصة وضعه فى التابوت وإلقائه فى اليم وهو وليد قد قصها الله تعالى فى القرآن.

(٢) يريد بالوزير أبا جعفر بن محمد بن عبد الملك الزيات وزير الخليفتين المعتصم بالله وابنه الواثق بالله، ويشير بهذه العبارة إلى ما يروى من أن هذا الوزير كان لشدة ظلمه قد صنع تنورا يدخل فيه من أمر بقتله مبالغة فى تعذيبه، فأراد الله أن يكون هو أول من عذب فيه حتى مات، وذلك بأمر الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٣ هـ.

(٣) الضب حيوان قصير الذنب معقده خشن الجلد، ولونه إلى غبرة مشربة بالسواد.

(٤) الصبا: ريح الشمال. وتشدو: تغرد.

وجه الفتى كصحيفة ولطالما قرأ الضمير بها اللبيب الأكيس
ولرب ذى ضغن تبسم ثغره ملقا وفى ثوبيه ذئب أطلس
كالحية الرقطاء فى أنيابها سم ذعاف لان منها الملمس

وقال :

كم من قريب ليس فيه مودة تغلى مراجل صدره من حقده
أدنته أرحام إلى وشيجة فحرصت أن يهدى السبيل لرشده
أغضيت جفنى من أذاه على قذى ووضعت سيف عقابه فى غمده
وصفحت عنه أرتجى إصلاحه حتى استقام فلت صافى وده

وقال الأستاذ على بك الجارم من قصيدة فى تهنئة صاحب الجلالة مولانا المعظم «فاروق الأول» بتولى سلطته الدستورية يوم الخميس ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ هـ و ٢٩ يوليه سنة ١٩٣٧ م .

(فاروق) عيدك هز أدواح المنى وتعطرت بعبيره الأزهار (١)
اليُمنُ يسطع فى جبين نهاره والسعد كوكب ليله السيار (٢)
رقصت به الرايات بادية الحُلى الحب رنَّحها والاستبشار (٣)

وقال فى أخرى هنأ فيها جلالته بعيد الميلاد :

(فاروق) أنت مناط آمال الحمى وسلالة الأمجاد من نصرائه
أحييت دين الله فى محرابه شكرا على ماتم من نعمائه (٤)

---

(١) الأدواح جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة الملتفة . والعبير : الطيب .

(٢) اليمن : الخير والبركة

(٣) بادية الحلى : ظاهرة الزينة والتجمل . ورنحها : أمالها وهزها .

(٤) المحراب : مقام الامام فى المسجد . يريد بيوت الله حيث يعبد ويصلى له .

ووقفت بين يديه وقفة خاشع يرجو مثوبته وحسن جزائه (١)
الدين طب النفس من آلامها وهداية الحيران فى بيدائه (٢)
ما أجمل التوفيق فى شَرْخ الصِّبا والعمر فياض السنى بفَتائه (٣)

واحتفل خريجو دار العلوم فى أغسطس سنة ١٩٢٧ بانقضاء خمسين عاما منذ إنشائها فأنشد قصيدة منها :

إيه دار العلوم كنت بمصر فى ظلام الدجى ضياء الشِّهاب (٤)
فى زمان من كان يمسك فيه قلما عد أكتب الكتاب
أنت أم الأشبال إن غاب ليث صال للحق بعده ليثُ غاب
تلدين البنين من كل ماض شَمَّـرِىٍّ مزاحم وثاب (٥)

إلى أن قال :

لك دار العلوم فى كل نفس أثر القَيْن فى صقال الحراب (٦)
حسب مُطْريك أن كل نجيب نفحةٌ من رجالك الأنجاب

---

(١) المثوبة : الثواب .

(٢) البيداء : الفلاة الواسعة يضل فيها الانسان .

(٣) شرخ الصبا : أوله وريعانه . والفتاء الشباب .

٤) الشهاب : أحد نجوم سبعة تعرف بالدرارى .

(٥) الماضى : المقدام الذى لا يثنيه شىء . والشمرى (بفتح الشين والميم أو بكسرهما) المجرب الجرىء غير الهياب ، والمزاحم الذى يغالب غيره ويقوى عليه والوثاب : السباق إلى الغايات .

(٦) القين : الحداد . وصقال الحراب : شحذها وإعدادها .

أنت كالنيل كلما مس جدبا هزه بالنماء والاخصاب
كيمياء العقول أنت ، تصوغين نضارا من النحاس المذاب
إن خمسين حجة قد كفت منك لملء الدنيا بكل عجاب
نهضت مصر نهضة النَّسر فيها واستوت فوق مستقر العقاب
كل عام كالفجر يهزم ليلا نابغى الهموم والأوصاب (١)
كل عام كأنه الأمل الضاحك وافاك بعد طول ارتقاب

ومن الأدعية المأثورة:

اللهم إن هذا حالنا لا يخفى عليك ، وهذا ضعفنا ظاهر بين يديك ، فعاملنا بالاحسان إذ الفضل منك وإليك ، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين .

---

(١) نابغى الهموم : كثيرها وشديدها . وهو نسبة إلى النابغة الذبيانى ، يشير الشاعر إلى قول النابغة :

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب

﴿ تم الكتاب ﴾

فهرس كتاب علم البيان

الخطأ والصواب

صفحه	سطر	الخطــأ	الصــواب
٩	١٣	المشبه به	المشبه
١٠	١٢	عنه	عنها
١٠	١٦	دان إلى	دان على
١٤	١	وقد يكون ذلك	وقد يكون هذا
١٥	١١	غير أن هذه	غير أن هذا
١٧	١٣	إلا ما لا يحسن	إلى ما يحسن
١٩	٨	أما	إما
٢١	٣	التشبه	التشبيه
٢٦	١٢	تَفَوُّتاً	تَغَوُّثاً
٢٩	٢٧	يصد	يصيد
٣٠	٤	الرَّى	الرِّى
٣٢	٥	كمعلَّق	كمعلِّق
٣٣	٥	كقطعة	كنقطة
٣٦	٨	وإن يكون	وإن يكن
٤٣	٨	بهْم	بهم
٥٩	١٢	يوصف	بوصف
٦٨	١٦	والمشبه	والمشبه به
٧٠	١١	كان التركيب	كان التشبيه
٧٤	٣	ما بلع	ما بلغ
٧٩	١٩	فهو من تشبيه	فهو تشبيه

صفحه	سطر	الخطــأ	الصـــواب
٨٣	١	وقول	وقال
١٠٢	٧	فانمـا	فانـنا
١٤٦	٦	والتعبير	والتعيين
١٨٦	٦	والحرب	والجدب

صواب ما ظهر أخيرا من الخطأ المطبعى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
ا	١٢	ثمينه	سمينة
ج	١٢	سرواه	سراوة
ى	١٩	اذا اعتبر	اذاعتبر
٢	١٥	بالفتح والتكرار	بالفتح كالتذكار والتكرار
٦	٤	مع	معه
١٩	٥	تفتحه	يفتحه
١٩	٩	حصوره	حضوره
٥١	١٧	عقلى	مرسل
٨١	٥	هذه الدنيا	هذه الحياة الدنيا
٨٤	٤	الأول	الثانى
٨٤	٥	الفاعل	الخبر
١٠٦	١٥	نائمون	قائلون
١٨٦	٤	فيما	فما